العراقية وزارة الاعلام

د. عصام عبد علي

مهيار الديلمي

حياته وشعره

مهيار الديلمي

حياته وشعره

تأليف

عصام عبد علي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

يتناول هذا البحث شاعرا نادر المثال في جوانبه التاريخية والادبية فهـــو رغم كونه اسما لامعا في عالم الشعر العربي في عصر بني بويه ظل بعيدا عـــن متناول البحث والدراسة على ما في حياته وادبه من تعبير صريح عن عصره في غلوه وتناقضاته ومساوئه •

ولعل كون مهيار تعبيرا صريحا عن هذا العصر من الاسباب التي ادت الى ان يتحامى هذا الشاعر ، وان لا يدور حوله بحث يتناوله بجرأة وصراحـــة وموضوعية يكشف الجوانب التاريخية الخاصة به ، ويضع تقديرا سليما لشعره وملامحه الفنية ، ويبين ما لهذه الملامح مـــن اهميـــة في تاريـــخ الشـــعر شـــكلا ومحتوى •

فشعر مهيار لم يكن انتاج شاعر عاش في عصر من العصور الادبية فحسب، وانما هو وثيقة فنية واضحة المعالم توضح للباحث نهاية التطور الفنـــي للشـــعر العربي وبداية السقوط لهذا الشعر في رحلته الطويلة •

وشعر مهيار في محتواه يمثل مظاهرة خاصة في كونه صورة ناضجة لقصيدة التشيع وتطورها في تاريخها الطويل ، ولقصيدة الشعوبية في آخر مراحلها فـــي العصر العباسي ، وهو بعد ذلك النموذج الواضح للتلمذة الشعرية وتطورها في الشعر العربي •

ولم يقدر لشاعر ان تتضارب حوله الاراء كما قدر لمهيار الديلمي ، فقـــد ظلت اصابع الاتهام تشير اليه مثيرة الشكوك حول اسلامه وتشيعه ، كما اشـــير اليه بالبنان من قبل آخرين وجدوا فيه مثالا صادقا للايمان والثبات على الدين والمذهب • ولم يقف هذا التناقض في الاراء عند حدود تاريخ الشاعر الشخصي وفكره ومعتقده ، وانما امتد الى الجوانب الفنية وشمل شعره ،فهناك من النقاد

القدامى ومؤرخي الادب من انكر مهيار اشد الانكار وفضل ان لا يشير اليه ، وان لا يضعه مع ادباء العصر • وهناك ايضا من هؤلاء من نظر في شعر مهيار نظرة فاحص مدقق ليستشهد به ويبرّر عيوبه ونواقصه •

ولم يكن هذا التناقض في الرأى عند عصر بعينه ، فما زالت الاراء المحدثة تتناول مهيار مختلفة حوله بين الاعجاب الواسع والاشارة الصريحة الى الفراغ الفني الفكرى في شعره •

وكان علي ان اضع لمهيار المنهج الواضح لدراسته من جديد محاولا ان اكون بعيدا عن التحيز والانسياق وراء العاطفة لأَجلو هذه الصورة الطريفة في جوانبها التاريخية والفنية ولازيل الغموض الذى أحاطها في تاريخنا الادبي •

ولابد من القول انني عانيت كثيرا من اجل اداء حق هذا البحث المجرد بصدق ودأب ، وارجو ان يكون لهذه الجهود حقها ونفعها •

واني لاعجز عن شكر استاذنا الجليل الدكتور جميل سعيد الذى تولى الاشراف على رسالتي ، وتفضل بتوجيهاته السديدة الموفقة وارائه الهادية وتحمل معي مشقة البحث والدراسة برعاية ابوية مخلصة • ولا يفوتني ان اقدم جزيل الشكر لاستاذى الدكتور سليم النعيمي الذى تولى رعاية البحث في بدايته ، فلهما اجزل الشكر والله الموفق الى سبيل الصواب •

القسم الاول

العصر والشاعر

الفصل الاول

عصر مهيار السياسي

عرف العصر العباسي الثاني بعصر نفوذ الاتراك وتحكمهم في السلطة وضياع هيبة الخلافة ، وانحلال الدولة . وعندما بدأ عصر إمرة الأمراء سنة ٣٢٤–٣٣٤ هـ انحسر ظل الخلافة تماما عن كثير من الامصار والولايات وشارك الامير التركي خليفته في مسؤولياته وفوض اليه تدبير المملكة وخطب له على المنابر[١] .

وقد وصف ابن الاثير حال الخلافة في قوله « ولم يبق للخليفة غير بغداد واعمالها ، والحكم في جميعها لابن رائق وليس للخليفة حكم » وقد تناثرت الاقاليم الشرقية مقسمة بين السامانيين والديالمة وغيرهم ، حيث امتد حكم هؤلاء في فارس والجبل وما وراء النهر ، كما امتد حكم الامارة العربية الحمدانية في الموصل وديار بكر ومضر وربيعة[٢] . ويبدو وان العنصر العربي لم يكن اقل طموحا من الاتراك والديالمة رغم النكسة التي اصابته في العصر العباسي ، قد استطاع الحمدانيون ان يدخلوا بغداد بعد ان استعان بهم الخليفة العباسي المتقي لله ، وقد قتل القائد التركي ابن رائق على يد ناصر الدولة بن حمدان ، ولقب هذا بامير الامراء الى ان خرج الحمدانيون من بغداد ، وعادت سيطرة الاتراك من جديد[٣] .

وقد تميز نشاط الديالمة في فارس والجبل وما وراء النهر ، و « خرج

---

(١) تجارب الامم – أبن مسكويه مطبعة التمدن الصناعية مصر ١٩١٤ جـ ٥ ص ٣٥١

والكامل في التاريخ – ابن الاثير المطبعة المنيرية ١٣٥٣ هـ جـ ٦ ص ٢٥٤

ديار مضر تشمل بلاد الفرات وقاعدتها الرقه تمتد الى عنه

ديار ربيعة شمال ما بين النهرين .

(٢) الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٥٥

(٣) تجارب الامم جـ ٦ ص ٢٧–٢٨ والكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٢٨٤ حوادث ٣٣٥هـ

من بلاد الديلم جماعة لتملك البلاد منهم ما كان بن كالي ، وليلى بن النعمان واسفار بن شيرويه ، ومرداويج وخرج مع كل واحد منهم خلق كثير من الديلم، وخرج اولاد ابي شجاع في جملة من خرج »[٤] والتحقوا في خدمة القائد الديلمي ما كان بن كالي ، ثم تحولوا الى اسفار بن شيرويه بعد ضعف امر سيدهم ، كما اختلفوا مع غيره من قادة الديلم بعد ان توطدت مراكزهم ، وقويت سيطرتهم واتسعت ، وتوجهت انظارهم الى بغداد عاصمة الخلافة حيث الخليفة العباسي في ضعفه وضياع هيبته في ظل الحكم التركي •

وقد احيط تاريخ اسرة بني بويه بالطلاسم والخرافات والغموض وبقيت « سلسلة نسب هذه الاسرة مسألة يحيطها الشك شأن الملوك والامراء الذين تظهر عظمتهم مرة واحدة »[٥] وعندما قدر لهذه العائلة الديلمية ان تدخل بغداد منتصرة سنة ٣٣٤ هـ أصبح تأريخها حافلا بالامجاد الكسروية • وتبدو لنا الشكوك في قول ابن الاثير حين نسبهم الى سابور ذى الاكتاف ثم قال « وهكذا ساق نسبهم الامير ابو نصر بن ماكولا ، اما ابن مسكويه فأنه قال :ـ انهم يزعمون أنهم من ولد يزدجردين شهريار آخر ملوك الفرس الا ان النفس أكثر ثقة لنقل ابن ماكولا ولا شك أنهم نسبوا الى الديلم حيث طال مقامهم في بلادهم[٦]•

وفي بدء التسلط البويهي شهدت بغداد الديالمة وهم يقودون الخليفة المستكفي بالله ماشيا الى دار معز الدولة ليعتقل هناك ، ولتنهب دار السلطان بعد أن قدموا له في أول عهدهم فروض الطاعة والخضوع[٧]• وأصبحت عمليات السلب والنهب وسمل العيون من ملامح الحكم البويهي ، وقدر للديلم والاتراك والجيل أن يدخلوا دور الآمنين وأن يتحمل الناس هذه الشدة العظيمة •

---

(٤) الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٢٣٠

(٥) تاريخ الاسلام السياسي الدكتور حسن ابراهيم حسن مطبعة الشبكشي جـ ٣ ص ٥٥

(٦) الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٢٣٠ وشك في نسبهم ابن خلدون في تأريخه مجلد ٣ ص ٨٣٦ والبيروني في الاثار الباقية ص ٣٨ ، ٣٩ طبعة المثنى

(٧) تجارب الامم جـ ٦ ص ٨٧ والكامل جـ ٦ ص ٣١٤ و ٣١٥

ويظهر أن العائلة البويهية اتخذت من التشيع شعارا سياسيا استعانت بـه في تحقيق اطماعها وقد طلب عماد الدولة أن يدخل في طاعة الخليفـة رغـم تشيعه[٨] • أما معز الدولة الذى سيطر على بغداد وقويت شوكته ، فقد فكر في عزل الخليفة العباسي ووضع رجل علوى مكانه ، الا انه تراجع عن نيته لاسباب تتعلق بمستقبل العائلة البويهية وحكمها[٩] ، وبقي الخليفة العباسي رمزا تثـار حوله الشكوك في صحة خلافته وأحقية أهل البيت فيها وقد أثار هذا التشـيع السياسي الشكوك في تأكيد أتجاههم المذهبي ، ورغم ما يقال عن زيديتهم بحـكم نشأتهم في بلاد الديلم حيث ينتشر المذهب الزيدى ، فأن المذهب الامامي كـان نشطا في أيام حكمهم • وفي الوقت الذى كان البويهيون يمسكون السلطة بأيديهم كان المذهب السائد عند العامة هو المذهب الشيعي الامامي[١٠] كما أن في تصرفات معز الدولة في تشيعه المتطرف ، وموقفه من الصحابة ما يدل على مشاركتهـم للعامة في اتجاهاتهم الامامية[١١] •

وقد تحملت بلدان الخلافة العباسية ويلات الحروب والفتن بين أمـراء الاسرة البويهية بعد انتهاء فترة المودة والاخاء ، وكان صدى هذه الحروب في بغداد فتنا مستمرة بين العامة تُذكي جذوتها الخلافات المذهبية •

وكان من نتاج الغزو المحتمل والاضطرابات والفتن ظهـور طبقـة مـن المفسدين والعيّارين وهي الطبقة الاجتماعية الضائعة التي وجدت مرتعا خصبـا في هذا الجو المضطرب • وقد اضطر الوزير عميد الجيوش على اغراقهم في نهر دجلة نهارا لتخليص الناس من شرورهم وآثامهم •

وصف ابن الجوزى حالتهم في قوله « وزاد أمر العيارين والفُسّاد ببغداد وكان فيهم من هو عباسي وعلوى فواصلوا الحملات وأخذوا الاموال وقتلـوا

---

(٨) تجارب جـ ٥ ص ٢٨٤ والكامل جـ ٦ ص ٢٣٢
(٩) الكامل جـ ٦ ص ؟ ٣١٥ وحاشية تجارب الامم جـ ٦ ص ٨٧
(١٠) دائرة المعارف الاسلامية
(١١) الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ٤

وأشرف الناس معهم على خطة صعبة ، فبعث بهاء الدولة عميد الجيوش أبا علي بن استاذ هرمز ليدبر أمورها ، فدخلها فزينت له بغداد خوفا منه فكان يقـرن بين العباسي والعلوى ويغرقهما نهارا »[١٢] •

ويظهر ان أمنية أهل بغداد والعراق في أوائل القرن الخامس للهجرة كانت أن يعيشوا في طمانينة وسلام في محلاتهم ودورهم ، وكان مهيار بن مرزويـه الشاعر الفارسي لسان أهل بغداد في رثائه لعميد الجيوش وأشادته بحزمه •

وفي قصيدة مهيار صورة واضحة لسوء الحال وفجيعة الناس في هـذا العهد ، فهو يبشر أهل الفساد بذهاب القائد الحازم الذى استطاع أن يعيد الامن الى بغداد كما يبدو في قوله :

بشراك يا ساعي الفساد وغِبطـهً ذهب المقـومُ يا بنـي الاجـرام
عاد القوى على الضعيف مسلَّطـا ونمى الشكاة فدبّ في الاحلام[١٣]

وتبدو لنا الصورة واضحة في أثر الخلافات المذهبية في أثارة الفتن التـي يستغلها أهل الفساد في عدم سماح القائد عميد الجيوش للطوائف من اظهـار صور النشاط المذهبي في الاحتفالات التي تقام من قبل السُنة والشيعة بحكـم الصراع المذهبي السائد في ذلك العصر •

وفي عهد السلطان البويهي جلال الدولة ممدوح مهيار ، والقائد الـذى وصفه الشاعر بأن الافلاك خاضعة له ، أصبح الناس « يعدون البقـاء ردى ، والعز ذلا » لاوطانهم وهذه الصورة ليست منتزعة من كتب التاريخ ، فهي بريشة الامير البويهي ، وفي قصيدته التي هنأ فيها جلال الدولة ومـدح وزيره هبة الله ابن علي بن ماكولا الذى استطاع أن يعيد جلال الدولة الى بغداد بعد هروبـه أثر فتنة الاتراك وفيها يقول في حق الوزير الشجاع •

---

(١٢) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ابن الجوزي حيدر آباد الدكن سنة ٢٥٨ جـ ٧ ص ٢٢٠ •

(١٣) ديوان مهيار طبعة دار الكتب جـ ٣ ص ٣٥٠

عافيتَ أهلَ الارضِ مِن سَقَم   عرضوا لـه بالمال والاهـل
وغـدَوْا يعدُّون البقـاءَ ردىً   والعزَ للاوطـان كالـذُّل
في فتـرةٍ عميـاءَ جائـرةٍ   فظهرت بالاحسان والعدل[١٤]

ولم يكن وضع الوزراء والقادة أحسن حالا من العامة والطبقة الحاكمة تأكل نفسها ، وتنتهي حياة المنهزم من المعركة الى النفي ، والتشريد ، والمصادرة ، والقتل . وكان على الوزير أن يفكر ألف مرة قبل أن يقبل منصب الوزارة ، وقد رفض مؤيد الملك ابو علي الرُخَّجي قبولها عندما عرضت عليه وأشار الى غيره[١٥].

وعرف الشاعر مهيار كيف يواسي الممدوحين من الوزراء عندما تعصف بهم الوشايات ، ويلفُهم ظلام السجن ، وعندما حبِس ممدوحه الوزير ابو سعد بن عبدالرحيم كانت مواساته تعبيرا عن مرض العصر ومصائبه فأيام الملوك كما وصفها الشاعر مهيار :

حُبِستَ وايامُ الملوكِ كذاكـا   تكـون إسـاراً مرّةً وفكاكـا
ويحجبُظلُ الأرضغُرّةَ شمسِها   فتنزل خَفْضا تارةً وسُكاكا[١٦]

وأصبح مألوفا أن يكتب مهيار العديد من القصائد مهنئا ممدوحيه لخلاصهم من الجفوة ، وعودة الوزارة ، أو مواساتهم بقرب عودتها[١٧] وكان مهيار بنظرته النافذة وتجربته أكثر من الوزراء تقديرا للوزارة ومنزلتها ، وقد صارح أحد ممدوحيه في قولهم واصفا الوزارة .

بين بنـي العاهـات منبوذةً   يزاحمُ الأعمى بهـا الأعورا
واستامَها المُفلسُ لمـا غـدت   تُباع بالفلس ولا تُشتَرى[١٨]

---

(١٤) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢١٠
(١٥) الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ٣٠٠
(١٦) ديوان مهيار طبعة دار الكتب جـ ٢ ص ٣٧٠
(١٧) المصدر نفسه ٢ ص ١٢٣ ، ٢٦ ، جـ ١ ص ١٤١ ، ١٣٦ ، ٣٨٧
(١٨) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٤٧

وكان على أمراء بني بويه أن يأخذوا نصيبهم من القتل والتشريد ، بعد أن أصابوا العامة والاشراف والرؤساء بشرورهم ، وكانت حروب الاسرة البويهية مثالا للقسوة والشدة ، كما قدر لهم أن يبحثوا عن العون والنصر في صراعهم الدامي ، وشاء القدر أن تساهم القبائل العربية ذات التقاليد العريقة في توجيه الحكم البويهي الفارسي • وكان أول استغاثة صدرت من آل بويه عندما استنجدوا بني عُقيل لصد هجمات باذ الكردى من الشمال[١٩] •

ولعبت القبائل العربية الاخرى دورها في هذا الصراع السياسي ، وساهم فيه بنو مزيد وكان لهم أثرهم في الصراع الدامي بين جلال الدولة وأبي كاليجار[٢٠] واستطاع الامير المزيدى أن يتدخل لدى الحضرة البويهية في اعادة الشيخ المفيد فقيه الامامية عندما نفي من بغداد أثر الفتنة الدامية بين الشيعة والسنة[٢١] •

ولم يقل نفوذ بني عقيل وبني خفاجة عن نفوذ بني مزيد في التأثير على الحكم ووجهته ، وكان لهذه القبائل القبائل العربية أثرها غير المباشر في وجهة الشعر والمحافظة على تقاليده البدوية العريقة ، وفي شعر مهيار مثال واضح للتقاليد البدوية التي قدمها في مدائحه لآل مزيد[٢٢] ، والاشادة بأمجادهم وأيامهم ، ومثل الشريف الرضي هذه التقاليد في قصائده الرثائية لبني عقيل[٢٣] •

ويبدو لنا من هذا العرض لحكم آل بويه أنهم أخذوا برقاب العرب ، وأن المجد الادبي في بغداد قد عصفت به عاصفة غريبة من الجهل والخشونة ، ولكن الصورة القاتمة للوضع السياسي ترافقها صورة مضيئة من الازدهار الادبي والفكري • وهذه العائلة البويهية الفارسية التي بدأ حكمها بمعز الدولة وهو يدخل بغداد ، ويحاول أن يجد من يترجم له كلام الوزير علي بن عيسى

---

(٢٠) حـ ص ٣٣٧ الكامل
(٢١) المنتظم : ابن الجوزي جـ ٧ ص ٢٣٨
(٢٢) ديوان مهيار دار جـ ٢ ص ١٠٣ ، ١١١ ، جـ ٣ ص ٣٠١
(٣٢) ديوان الشريف الرضى طبعة بيروت ١٩٦١ مجلد ٢ ص ٣٦٩ ، ٤٩٠ ،

من العربية الى الفارسية[٢٤] أعتاد أبناؤها فيما بعد أن يقولوا الشعر العربي ، ويساهموا في نقده ويتذوقوا غرره[٢٥] .

ويحدثنا بن مسكويه عن أهتمام عضد الدولة بأهل العلم والفضل والادب ورعايته لهم ويقول عنه وقد أفرد في دار عضُد الدولة لاهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وأقيمت لهم رسوم تصل اليهم أو كرامات تتصل بهم فعاشت هذه العلوم وكانت مواتا وتراجع أهلها وكانوا اشتاتا ورغب الاحداث في التأدب والشيوخ في التأديب وانبعثت القرائح[٢٦] .

وليس هناك ما يدعو الى العجب من هذه الظاهرة ، فبغداد مركز حضاري لابد أن يستمر في نشاطه الذاتي ، وكان على البويهيين أن يتطبعوا بطبع بغداد وثقافتها ، وقد وجدوا في تشجيع العلم والثقافة والادب ، ما يرضي روح التفخيم في طبعهم الايراني الميال الى المجد الكسروي وهم بحكم تشيعهم كان عليهم أن يكونوا على ألمام بالمذهب وأصوله وتأريخه وما يتبع ذلك من ثقافة عربية :ـ

ولا شك في أن التنافس السياسي بين أقاليم الخلافة العباسية كان سببا فعالا في تشجيع البويهيين للعلم والثقافة والادب ، وكان على بغداد مركز الخلافة العباسية أن تنافس الاندلس والقاهرة وبلاط الحمدانيين في الغرب ، وأن تجتذب رجال الفكر والثقافة لكي تنافس المراكز السياسية الادبية في بخارى وخوارزم وغزنة .

وقد استطاع الثعالبي أن يعطينا صورة واضحة المعالم لهذه المراكز الثقافية وتأثيرها الفعال في النهضة الادبية كما يبدو وفي الفصل الذى كتبه عن فضلاء خوارزم[٢٧] ، وحديثه عن المجد الثقافي الذى أقامه السامانيون في بخارى ، وما ضمت حضرتهم من رجال العلم والثقافة والدين ، حيث أصبح قول الشعر

---

(٢٤) الضارة الاسلامية آدم متز ج ١ ص ٣٤ الطبعة الثالثة ٢٥٧
(٢٥) يتيمة الدهر ابو منصور الثعالبي مطبعة حجازي ٩٤٧ ج ٢ ص ٢١٦ـ٢٢٢
(٢٦) تجارب الأمم ج ٦ ص ٤٠٨ سنة ٣٦٩
(٢٧) يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٩٤ ـ ٢٠٤

العربي حرفة يزاولها أعيانُ العمال وأصحابُ البريد مع فضلاء القوم[٢٨] وكان قصر محمود الغزنوى في غزنة مركزا ثقافيا كبيرا ضم كبار العلماء ورجال الادب أمثال البيروني والشاعر أبي الفتح البُستي[٢٩] ، وكان على بغداد أن تنافس قابوس بن وَشَمْكري صاحب جُرجان وَطَبرستان الذى اعتاد الشعراء أن يتجمعوا على بابه في النيروز والمهرجان ينتظرون هباته كل حسب منزلته[٣٠] .

ومن هنا نستطيع أن نقدر كيف ازدهرت الثقافة العربية على يد أمراء بني بويه لكي يستطيعوا الاحتفاظ بمجد بغداد الذى أصبح مجدهم ، وقد أحسنوا اختيار وزرائهم في العراق وفارس ، وضمت قائمة الوزراء رجالا عرفوا بالادب والثقافة الواسعة ، والمواهب العالية في الشعر والنثر أمثال الصاحب بن عباد وخليفته اليافي الاوحد وفخر الملك وسابور بن اردشير والوزير المغربي وبن ماكولاه وكان الصاحب بن عباد وزير البويهيين في الرى رائدا في هذا الباب حيث أحتف به « من نجوم الارض وأفراد العصر وفرسان الشعر ما يربو عددهم على شعراء الرشيد[٣١] ، وكان بلاطه مجلس ثقافة وأدب يرتاده ادباء العصر ليجدوا فيه التقدير والرزق . واستطاع هذا الاديب الوزير أن يلعب دورا أساسيا في توجيه الادب ، وقد حفظ لنا صاحب يتيمة الدهر صورة نادرة لقصائد شعراء العصر في رثاء برذون أبي عيسى بن المنجم بناء على طلب الصاحب بن عباد[٣٢] .

ولم يقدر لمهيار أن يتصل بالصاحب الذى توفي سنة ٣٨٥ هـ . ويظهر ان موهبته الشعرية لم تكن مكتملة بعد ، وكان خليفة الصاحب الوزير أحمد بن ابراهيم الخبّي جذوةً من نار الصاحب ونهرا من بحر ، وبقيت بلاغة العصر متماسكة بأبي العباس الخبي وأشرفت على التهافت بموته[٣٣] .

---

(٢٨) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٣٤٦ ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤
(٢٩) تاريخ الأدب في ايران براون ترجمة ابراهيم الشواربي ط السعادة ـ
(٣٠) معجم الأدباء : ياقوت الحموي نشر احمد رفاعي جـ ١٦ ص ٢١٩
(٣١) معجم الأدباء جـ ٦ ص ٢٨١
(٣٢) يتيمة الدهر جـ ٣ ص ٢١٥ والأدب في ظل بني بويه ص ١٣٠
(٣٣) يتيمة الدهر جـ ٣ ص ٢٨٧

وقد أشار مهيار الى أيادي الوزير الخبي البيضاء على أهل الفضل والادب وكان انتصار الادب به عظيما :ـ

بك انتصر الآدُب المستضام وأنشَر ميتِه المُضجَع
سفَرتَ بفضلك عن وجهه وظلَّ الخمول به برقُع[٣٤]

وعندما توفي هذا الوزير بكاه مهيار باسم أهل الادب والعلم وقال في رثائه •

أبكيك لي ولمرمَلين بنوهُم الايتام بعدكَ والنساءُ أراملُ
ولمَعشَرٍ طَرْقُ العلومِ ذنوبُهم في الناس وهي لهم اليك وسائل[٣٥]

ولم يكن وزير بهاء الدولة سابور بن أردشير أقل اهتماما من سابقيه وهو صاحب دار العلم ببغداد التي نقل اليها الكتب وفتحها لطالبي الثقافة وأهل العلم ، وكانت بابه محط الشعراء ، ومن خلال مديح مهيار لهذا الوزير نستطيع أن نقدر أهمية رابطة الادب واعتبارها مساويةً لرابطة النسب والقربى وقد شكا اليه مهيار الحال وانتظر هباته :ـ

أشِلْ بضَبعي من الحال التي لَعِبتْ بماء وجهي لِعبَ الماء بالسُفن
وكيف لا تتلافاها اما أدبي حقٌ اما اردشيرٌ منك قرّبني[٣٦]

ولا شك في ان وزراء بني بويه ساروا على دين ملوكهم في تشجيع الادب والثقافة ، وكانت ثقافتهم ومواهبهم في النظم النثر وما يتطلبه كرسي الوزارة في الباب سببا آخر في رفع شأن الادب •

وقد عرف الوزير أبو القاسم الحسين بن علي المغربي بكونه صاحب مؤلفات في المنطق والادب ، وقد فرض على مرتاد مجلسه أن يكون ملما بثقافة

---

(٣٤) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٢ ص ١٨٠
(٣٥) ديوان مهيار « دار » جـ ٣ ص٢٨ وفي معجم الادباء ولمن بلين بفرقة الأيتام وطرق العلوم حـ ٢ ص ١١٣
(٣٦) ديوان مهيار دار جـ ٤ ص ٢٨ ـ ٢٩ (٣) المنتظم جـ ٨ ص ٣٢

العصر ، فهو يناقش الفقيه في النحو والنحوى في الفرائض والشاعر في تفسير القرآن(٣٧) ، كما وصف الوزير هبةالله علي بن جعفر بن ماكولا ممدوح مهيار بأنه حافظ للقرآن عارف بالشعر والاخبار •

وكان صديق مهيار وممدوحه عميد الرؤساء ابن ايوب وزير الخليفة « فاضلا شجاعا صنف كتابا في الخراج وروى شعر البحترى كما روى ديوان ابن نباته السعدي » • وعرف الوزير ابو سعد بن عبدالرحيم عالما بالحساب مؤلفا في أخبار الشعراء يحضر مجالس العلماء ويسمع الحديث •

وقد اصبح امرا مألوفا أن يُمدحَ الوزير برعايته للأدب واعتبار هذه الرعاية من المكارم العظيمة وقد أشاد مهيار بالوزير ابن ماكولا في قوله :

بك عزّت الآدابُ واثّأرت ... من بعد ما نامت على الذَحْل
رخُصتْ على قوم فقام لها ... منك المنافسُ دونَها المُغلي(٣٨)

وعندما مدح مهيار الوزير الحازم فخر الملك أشاد برعايته للأدب الى جانب حزمه كما يبدو في قوله :

ورِشتَ محصوصةَ الآدابفانفسحت ... محلّقاتٍ لهن القُور والقِممُ
من بعدِ ما كان فضلُ المرءِ مِنقصةً ... فيالناس ماقام يبغي الفضل عندهم(٣٩)

وفي حياة مهيار ما يؤكد هذه الرعاية ، حيث استطاع مهيار ان يحترف الادب ويجعل الشعر مورد رزقه الوحيد ، يطالب في قصيدته ويعاتب من ينكر الهبة والصلات • ولعل من مساوىء هذا العصر ان قصيدة المديح انسجمت مع طبيعة العصر ومع طبيعة الشاعر المؤثر للسلامة ، وكانت مهمتها تقتصر على التهنئة بالوزارة ، والمواساة بذهابها والتبشير بقرب عودتها ، ومثلت القصيدة في هذا

---

(٣٧) الوافي بالوفيات الصفدي استنبول ٩٤٩ جـ ٢ ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥
(٣٨) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٣ ص ٢١١
(٣٩) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٦١ ــ المحصوصة : ــ المقصوصة
الغور : الجبل المنقطع عن غيره ،

المجال بداية السقوط الفني والفكرى في شكلها ومحتواها • ولاشك في أن مهيار أحس أن توثيق الصلة بأرباب الحكم ، والسلطان لها نتيجتها غير المحمودة ، كما أن مشاركة الساسة في تأييد سياستهم لن يؤدى به الا الى الهلاك ، وكان اعتقاله في عهد جلال الدولة بسبب الوشايات فرصة للتعبير عن مخاوفه من هذه العلاقات كما يظهر في قوله مخاطبا جلال الدولة :

اتعرفُ يا مـولى الملوكِ كقصـةٍ بُليتُ بها بالأمس والحرُ يُبتلى
أبعـد قُنوعـي بالثِمـاد تعففـاً وهجرى ابوابَ الملـوك تَعَزُّلا
وظلمي فضلي واهتضامي توحدى مخافـة أن أوذى وأن اتبـذّلا
يسيء رَعاعُ الناسِ عندَك سمعتي ويُشعر أني حُزتُ مالا مؤثلا(٤٠)

ومهيار من حقه أن يشكو ، وأن تأخذ به المخاوف من السجن ، والتشريد والمصادرة فقد اصبحت هذه مرضا للعصر أصابت أبناءه ، وكانت وباء اجتماعيا وسياسياً عاما لم يسلم منه الشريف والوضيع •

---

(٤٠) ديوان مهيار طبعة دار الكتب جـ ٣ ص ١٩٧ ، الثماد :ـ الماء القليل

الفصل الثاني

عصر مهيار الاجتماعي

كان المجتمع العربي في العصر العباسي الاول ، وفي عاصمة الخلافة خصوصا خليطا من العناصر المختلفة من عرب وفرس ومغاربة وغيرهم ، وقد ادخل العنصر التركي في عهد الخليفة المعتصم بالله مساهما مع هذه الجنسيات بعاداته وتقاليده ، وعندما بدأ حكم الديالمة ببغداد أصبح للديلم ضجة وسطوة في ظل حكم بني بويه[1] •

وقد جنى عهد بنى بويه ثمرة التناقض الاجتماعي والعنصرى في مختلف العصور العباسية ، وأصبحت عاصمة الخلافة مسرحا للعصبيات الجنسية والمذهبية، وساهم الاتراك والديلم في اذكاء جذوة الخلافات والفتن والاضطرابات بعد أن تخلصت هذه العناصر من الحدود الصارمة التي كانت تفرضها هيبة الخلافة•

وشهدت محلات بغداد وجوامعها في أيام الاحتفالات الدينية كثيرا من المآسي والفواجع ، وكان على بغداد أن تشيع ضحاياها بعد كل فتنة دينية أو حديث عن غزو مطبق على أبواب بغداد •

ويظهر أن المجتمع البغدادى كان متكتلا مذهبيا وعنصريا ، وقد وصفت أكثر محلات الكرخ وباب الطاق بكونها مراكز تجمع للشيعة الامامية وعرفت باب الشعير وباب البصرة مناطق لتجمع أهل السنة ، وكانت مناسبات الالتقاء بين الطائفتين في أيام الاحتفالات الدينية وما يتبع ذلك من اقتتال وضحايا[2] •

وقد اعتاد الحكام البويهيون أن يمدوا أصابعهم في الظلام لاشعال كثير من الفتن بين أبناء المجتمع الواحد ، وأشاعة الفوضى والاضطراب لتوطيد حكمهم الغريب بعد ان مثلوا التطرف الحاد في تشيعهم تحقيقا لاغراضهم السياسية[3] •

---

(١) ظهر الأسلام احمد امين مطبعة خلف سنة ٩٥٨ ج ١ ص ٧٥
(٢) المنتظم ج ٧ ص ٢٢٢ والكامل جـ ٢١٨ و ٢٨١
(٣) الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ٦

ولم يكن هذا التطرف مقتصرا على العامة ، بل كانت مجالس العلماء ميادين للنقاش المذهبي والجدال التاريخي في قضايا الخلافة ، ومسألة المفضول والافضل، وقد اعتاد الشعراء المتطرفون مذهبيا أن يمدحوا علماء المذهب بقوة حججهم ، وكان مهيار صريحا في اعطاء صورة واضحة لهذه الحالة في قصيدته التي رثى بها شيخ الامامية محمد بن النعمان وفيها يقول :

من للخصوم اللُدِّ بعدك غُصّةً في الصدر لا تهوى ولا هي تعتلي
من للجدال اذا الشفاه تقلّصت واذا اللسانُ بريقه لم يُبلَل

ويصور مهيار ما يدور من جدال في قضايا الخلافة والافضل والمفضول في قولـه :

لا تطّبيكَ ملالةٌ عن قولةٍ تَروى عن المفضول حقَ الأفضلِ
كانوا يروَن الفضل للمتقدم السبّاق والنقصان في المتقبّلِ
قولُ الهوى وشريعةٌ منسوخةٌ وقضيةٌ من عادة لمِ تعدِلِ
حتى نجَمتَ فأجمعوا وتبينوا أنْ الاخير مقصرٌ بالأول(٤)

ويظهر ان نتيجة هذا الجدال المذهبي أنْ تثار الاحقاد والفتن بين العامة ، وأن يتعرض فقهاء المذاهب للاعتداءات كما حدث للشيخ المفيد نفسه ، ولفقهاء السنة أمثال أبي محمد الأكفاني والاسفرايني(٥) .

وقد ساهمت العناصر الدخيلة بحكم تكوينها النفسي والفكرى في اثارة جو من الاساطير والخرافات والقصص التي يغلب عليها طابع الاثارة الطائفية التي كلفت العامة كثيرا ، ومثل الشاعر مهيار في بعض قصائده في مدح آل البيت صورة واضحة من التطرف المذهبي في مبالغاته وتعرضه لاصحاب الرسول بشكل مثير يتلاءم ومشاعر المتطرفين في المجتمع البغدادي :

---

(٤) ديوان مهيار ط دار ج ص ١٠٦ ـ ١٠٧
(٥) المنتظم ج ٧ ص ٢٣٧

ألله يا قوم يقضي النبي مطاعاً ويعصى وما غُسّلا
ويوصي فتخرص دعوى عليه في تركه دينه مهملا
ويجتمعون على زعمهم وينبيك « سعد » بما اشكلا
فيعقب اجماعهم أن يبيت مفضولهم يقدم الأفضلا[٦]

ومهيار في قصائده الاخرى يمثل هذه الحالة ، وتكاد تكون هذه القصائد بمثابة رد على الآراء المعارضة في هذا الباب[٧] .

ولم تحفظ كتب التاريخ اية صورة للمناقضات الشعرية المذهبية في عصر مهيار، ولكننا نستطيع ان نجد في ترجمة شاعر السنة علي بن عيسى السكرى المتوفى سنة «٤١٣» هـ ما يشير الى هذه الحقيقة ، وعنه يقول الخطيب البغدادى : « وله ديوان كبير وكله الا اليسير منه في مدح الصحابة والرد على الرافضة والنقض على شعرائهم[٨] ، وقد سماه ابن الاثير شاعر السنة لانه أكثر من مدح الصحابة ومناقضات شعراء الشيعة[٩] .

وقد تسللت الاسطورة الى معتقدات العامة ، ولعبت الاتجاهات الفارسية دورها في اشاعة هذه المعتقدات وقد اطلق الامير البويهي جماعات من الناس اعتقدت ان روح علي حلت فيهم خوفا من ان يتهم بعدم ميله الى التشيع[١٠] ، وكانت كرامات الاولياء مقبولة ومصدقة لدى أكثر الناس في عضر بني بويه ، وفي شعر مهيار عرض تفصيلي لكرامات الامام علي ومناقبه وما كانت تؤمن به العامة من معتقدات[١١] .

وقد اتخذ التطرف الديني في المجتمع اتجاها آخر مثلته تجمعات الصوفية

---

(٦) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ٥٠ نخرص ظن وكذب وحدس بالظن
(٧) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٠٠ ـ ، ٢٠١ ـ جـ ٢ ص ١٨٣ ، ١٨٢
(٨) تاريخ بغداد الخطيب البغدادي مطبعة السعادة ٩٣١ جـ ١٢ ص ١٧
(٩) الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ٣١٣
(١٠) ابن الاثير جـ ٦ ص ٣٣٥
(١١) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ١١٥

قرب جامع المنصور ببغداد ، وانتشار أفكار اليأس والاستسلام والتأسي بظهور الاولياء والانصراف الى الزهد ، وكان الفقر وسوء الحالة الاقتصادية من الاسباب التي ساعدت على نمو هذه الاتجاهات الدينية بعد ان شهد العصر موجات من الغلاء والجوع والحرمان[١٢] .

ولاشك في ان التناقض الاجتماعي لم يكن سببه الخلافات المذهبية والعنصرية فحسب ، وكان التأثير الاقتصادى فعالا في نشوء طبقتين : تمثل الاولى أرباب الملك والسلطان والحاشية بنفقاتها الباهضة واسرافها الباذخ في مجالس الانس والطرب، وما يصاحب ذلك من تأنق في مختلف صنوف حياتها ، والى جانبها طبقة العامة من فلاحين وعمال وكسبة بعيدة عن امجاد السلطان تلاقي الشقاء والبؤس والعذاب على أيدي عمال الضرائب الذين عينوا بالرشوات[١٣] .

ولقد أصاب الضيق عددا من العلماء ورجال الادب الذين لم يسعفهم الحظ في التقرب الى ارباب السلطان وقد اضطر الاديب الفقيه عبدالوهاب المالكي ان يغادر بغداد طلبا للرزق ، وأكد لمودعيه حبه لبغداد في قوله : « لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداة ما عدلت عن بلدكم[١٤] » وعبر شعراء الكُدية عن الشكوى والضيق وما أصاب الناس من جراء ذلك ، وأصبح ادعاء الفقر امرا مشروعا للخلاص من الضرائب والمصادرات ووشايات الوشاة ، وقد اعتبر الاستاذ احمد امين العامل الاقتصادى عنصرا اساسيا في نشوء ادب الشكوى من سوء الحال والحظ وتقلبات الدهر[١٥] ، وأصبحت هذه الشكوى مرض العصر البويهي ، فكان مهيار شاعر العصر كثير الشكوى من الدهر ومصائبه والاصدقاء والوشاة بعد ان دهمه الدهر بخطوبه ولم يبق له الصبر :

قــل لزمــاني مــا شئتَ فاضغط قــد دَيــرَ الجابْــر الجليبُ

---

(١٢) ظهر الأسلام جـ ص ١٢١
(١٣) تاريخ التمدن الاسلامي ط ٤ مطبعة الهلال ٩٣٥ جـ ٤ ص ١٨٣
(١٤) ابن خلكان جـ ص ٣٨٧
(١٥) ظهر الأسلام جـ ١ ص ١٢١ وما بعدها

اصبتَنـــي بالخطـوب حتـــــى لم تُبسـقِ لي مقتـــلا تُصيب
في كـــل يـوم جـــور غـريب عنـــدى عليـــه صبر غريب[١٦]

وهو يشكو سوء الحظ ويستغيث بممدوحيه في قوله :

اليـــكم الصـرخُة لامنكـــم ما أخونَ الحظ وما اجـورا[١٧]

وديوان مهيار حافل بمر الشكوى من الزمان ، والحظ ، وتقلب اهـــل الدنيا ونفاقهم ووشاياتهم[١٨] ، وعرف مهيار أن طريق خلاصه في بقائه فقيرا معدما بعيدا عن أهل السلطان والحكم بعد أن كلفته هذه الاتصالات اعتقالا وتبذلا وعلمته التجربة أن الناس :

صديقُ نفـــاقٍ او عـدُو فضيلـةٍ متى طُبّ عاد الداء ادهى واعضـلا
وُلوُجٌ الى الشر الذى يرصُدونه متى وجدوا يوما الى الشر مدخـــلا
اذا مارأَوا عند امرىء زادَ يومِـــه مَشوا حسدا أو باتجوعان مُرمِلا[١٩]

وكان تأثير العناصر الدخيلة كبيرا في الانحلال الاجتماعي الذى ســـاد مختلف الطبقات ، وساعدت تجارة الرقيق النشطة في افساد المجتمع ، وكثرت محلات القيان والغلمان واعتاد الناس التردد عليها ، وألـــف المجتمـــع أن يـــرى القضاة يطرحون الحشمة ويتبسطون في القصف والخلاعة •

وتسلل الفساد وعادات شرب الخمر الى بيوت الاشراف والاسر الكريمة• وقد صورها ابو حيان التوحيدى في الليلة المجونية التي قدمها بناء على طلب الوزير ابن سعدان وفيها أحاديث حافلة بألوان الفسق والمجون[٢٠] •

---

(١٦) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٨٥ــ٨٦
(١٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ٤٩
(١٨) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٠٦ ، ٢٤٣ ، ٢٧٨ ، ج ٣ ص ٤٤ ، ٦٩ ، ج ٤ ص
(١٩) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٩٥
(٢٠) الأمتاع الموانسة : التوحيدي ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ٦٥٣

ويظهر ان مجالس الوزراء والاشراف كانت حافلة بألوان الغزل بالمذكر والمؤنث يقدم بناء على طلب الحاضرين ، وألف الحضور أن يتداولوا هذا النوع من الشعر ، ولم يتحرج الشريف الرضي على علو مكانته من وصف غلام اعجمي عندما سئل في هذا الامر[٢١] .

وديوان مهيار حافل بالمقطوعات التي قيلت في أغراض الغزل وغيره مما يحصل تداوله في مجالس الانس والطرب والادب[٢٢] ولعل الاحاجي والالغاز التي أكثر منها مهيار كانت من جملة وسائل التسلية التي يرغب فيها ابناء العصر[٢٣] . ومهيار لم يسأل في وصف غلام اعجمي او غيره ، الا ان هذا لا يقلل من الرأي القائل ان حب الغلمان والتغزل بهم ـ وتبادل الفاظ المجون قد اصبح من الامور المألوفة في المجتمع البويهي على مختلف طبقاته[٢٤] .

ولم يستطع الحنابلة رغم قوة بأسهم أن يقفوا بوجه هذا التيار المجوني السائد ، وهم يجوبون محلات الانس والطرب ويكسرون اواني الخمر ويحطمون الآلات الموسيقية بعد أن اصبح المد قويا تساهم في تقوية روافده العناصر الدخيلة على مختلف جنسياتها ، ويتهادن فيه اصحاب الملك والسلطان من الدخلاء على العراق العربي[٢٥] .

ولعل من تناقضات هذا المجتمع أن يقتتل المسلمون في مهرجاناتهم الدينية وأن تسود من جهة اخرى روح التسامح مع الفئات الدينية الاخرى من مسيحيين ويهود ، حيث كانوا يمارسون شعائرهم الدينية في أمن ودعة[٢٦] ، وشارك المسلمون أهل الكتاب في اعيادهم ومباهجهم ، وكان عيد الفصح فرصة للالتقاء بين أهل الطرب من المسلمين والمسيحيين في « دير سمالوا »

---

(٢١) ديوان الرضي ط بيروت مجلد ص ٢٧٣
(٢٢) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ١٥٩ ، ٣٤٤ ، ج ٢ ص ٢٠٤ ، ١٢٨ ، ١٣
(٢٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٨ ، ١٥٢ ، ٢٩٨ ، ج ٢ ص ١٢١ ، ٥٧ الامثلة
(٢٤) الادب في ظل بني بويه ص ٢٠٧
(٢٥) تاريخ الأسلام السياسي ج ٣ ص ٤٠٠
(٢٦) الحضارة الأسلامية ج ١ ص ٥٩ والأسلام السياسي ج ٣ ص ٤٠١

اذ لا يبقى احد من اهل الطرب واللهو الا حضره[٢٧] . وقد حصل الصابئة في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة على منشور كتب لهم وأعطيت الحقوق لهم في صيانتهم وحراستهم والذود عنهم[٢٨] ، وكان الخليفة القاهر قد قرر الفتك بهم نتيجة لفتوى محتسب بغداد ابي سعيد الاصطخرى في اعتبارهم من عبدة الكواكب وتمييزهم عن أهل الكتاب[٢٩] .

ويظهر ان المجوس آخر من حصل على هذا الحق الا ان المجتمع ابقاهم موضع سخريته لكفرهم وعبادتهم النار ، وقد وصفهم الأستاذ آدم متز : بأنهم بقية عدو باسل لم يتم التغلب عليه ، ولعل جذورهم الفارسية واعتزازهم بها من اسباب النقمة التي أصابتهم .

ويبدو من الاخبار المتواردة عن المجوس انهم بقوا على ضعة منزلتهم وقد ذكر المقدسي تجمعهم جنوبي فارس يشتغلون في كرى حميرهم ويضربون بها في الآفاق[٣٠] ، وكان من دلائل تمردهم قيامهم بأشعال النيران ، والاكثار من تقاليد دينهم ، وقد نهب المسلمون دور المجوس في شيراز بعد احتفالهم ، وقتلوا جماعة منهم الى ان تدخل عضد الدولة وأعاد الامن والهدوء الى تلك البلاد[٣١] .

ولم يكن وضع المجوس على مستوى الطبقة الحاكمة احسن حالا وقد رفض قادة عسكر بهاء الدولة ومنهم ابو جعفر استاذ هرمز ان يتولى قيادة جيشهم رجل من اصل مجوسي وعندما أرسل القائد المجوسي رسوله الى الجيش قال له كبار الديلم « تنصحا لهذا المجوسي حتى ينصرف ولا يفسد امرا »[٣٢] . ويذكر لنا ابن خلكان ان المجوسي ابا سعيد ماهك بن بندار كان من الديالمة

---

(٢٧) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٧٩
(٢٨) المصدر نفسه جـ ١ ص ٦٠ نقلا عن رسائل الصابي المخطوط
(٢٩) الحضارة الأسلامية جـ ١ ص ٦٧
(٣٠) المصدر نفسه والصفحة نفسها
(٣١) الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ١٠٢ حوادث سنة ٣٦٩ هـ
(٣٢) تاريخ ابي الحسين هلال ابن المحسن الصابي اعتناء أمد روز مرجليوث طبعة المثنى عن الطبعة المصرية ٩١٩ ص ٣٧٩ــ٣٨٢ (٥) ابن خلكان جـ ٥ ص ١٥٢

المعروفين يكتب لعلي بن سامان ، وعندما التقى به الوزير ابو محمد المهلبي جعله موضع سخرية امام الحاشية والخدم[٣٣] .

وكان ذم عبادة النار وتكفير اصحابها وشتمهم امرا طبيعيا في المجتمع البويهي ، وقد ذكر هلال الصابي لابيه أبي علي المحسن بن ابراهيم ابياتا في ذم المجوس فيها كثير من الالفاظ الفاحشة أذكر منها هذا البيت للدلالة على منزلة الطائفة وذم الصابئة لهم :

اذا ما ذَوو الاديان صلوا لربهم تقدم يهذى في الصلاة مزمزما[٣٤]

ولقد كانت قلة دية المجوسي اذا ما قيست لاهل الكتاب دليلا على احتقار الناس لهم لبقائهم على كفرهم والحادهم ، ولاشك في أن نمو التيارات الشعوبية ، وتبني المجوس لهذه الاتجاهات كانت من اسباب موقف المجتمع العربي الاسلامي من هذه الفئة .

اما المسلمون الفرس فقد استطاعوا ان يفرضوا كثيرا من تقاليدهم ومظاهرهم الفارسية ، واعتاد المجتمع البويهي ببغداد ان يحتفل بالمهرجان والنيروز وليلة السذق ، وكان الناس يتهادون في هذه الاعياد وتقدم الهدايا والخلع للوزراء والاشراف[٣٥] واعتاد الشعراء ان يقدموا قصائد التهنئة للخلفاء وأمراء بني بويه ، والوزراء ، وقد ساهم في تقديمها الشريف الرضي[٣٦] والمرتضى والسلامي وغيرهم .

وتكاد تكون اغلب قصائد مهيار في المديح قد نظمت في هذه المناسبات ،

---

(٣٣) وفيات الاعيان ــ حـ ٥ ص ١٥٣
(٣٤) معجم الادباء جـ ١٧ ص ٨٥
(٣٥) الحضارة جـ ١ ص ٢٩٠
(٣٦) ديوان الشريف الرضي مجلد ١ ص ٥١ ، ٥٧ ، ١٠٢ جـ ص ١٣٥ ، ١٤٥ ، ٥٤٦

واعتد مهيار ان يختتم قصيدته بالتهنئة بالاعياد الاسلامية والفارسية معا وفي قصيدة له يمدح بها الوزير فخر الملك ، ويقول فيها واصفا ليلة السذق :

تُعمى على العُجم خصتُهم كرامتُها لابل تساهم فيها العرب والعجم
قوم يرَون القِرى بالنار يكسبُهم فخراً وقومٌ يرون النارَ ربهم(٣٧)

واصبح من تقاليد المدح لذوى السلطان من العرب أن يشاد بالتقاليد الفارسية التي يلتزم بها الممدوح كما يظهر في قول مهيار يمدح الامير المزيدى العربي :

وافتح بمجدِ الدين اِنْ مد لها يمينَه بابَ السماح المقفلا
بالعربي نَسَباً وكرما والفارسي سيرةً ومنزلا(٣٨)

ومن هنا تختلط التقاليد الفارسية بالاصول العربية بعد ان اصبح مألوفا ان يمدح العربي بأمجاد الفرس ، والفارسي بالصفات العربية الاصيلة ، ولعل هذا المظهر في حقيقته يمثل لونا من الوان الصراع بين القيم المتضاربة في هذا العصر المبتلى بالتيار الشعوبي الدخيل •

وأصبح المثقفون الفرس والشعراء منهم احرارا في ان يشتموا العرب بلغتهم العربية ، وان ينفثوا احقادهم اللئيمة في ظل السلطان الاجنبي ، وقد عبر مهيار الديلمي عن احقاده اكثر من مرة ولعل هذه الابيات التي مدح بها احد اصدقائه الفرس تعطي صورة كاملة الملامح والابعاد :

اِن يُفتنا الخطيبُ والمِنبُر المنصوبُ فالتاجُ حظّنا والسريرُ
حَسبُنا ان تعلّم المُلكُ منا والسياساتُ فيه والتدبيرُ
وكفيناه امرَ « رستَم » في الحرب اذا عدّد الرجال الذُكور

---

(٣٧) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ٣٦٣
(٣٨) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٢

والذى قـد سقى من الـدم « ذو الاكتاف » حتى روّى الثَرى » سابور[٣٩]

ومهيار في هذه الابيات يعبر عن احقاده صراحة ، ويشير الى ذى الاكتاف الفارسي الذى عرف بانتصاره على العرب ونزعه اكتافهم •

نستخلص من هذا العرض السريع لملامح العصر الاجتماعية ان العصر مثل صراعا حادا بين مختلف القيم والمثل منها العربية الاصيلة والفارسية وغير الفارسية الدخيلة ، وقد ساعد تكوين المجتمع واختلاطاته ان تمتد مُثُلُ هذا المجتمع تطرفا في مختلف الابعاد وكان هذا التأثير واضحا وقويا على شعر الفترة وعـلى مهيار الديلمي نفسه •

(٣٩) ديوان مهيار طبعة دار جـ ص ٦١

الفصل الثالث

عصر مهيار الأدبي

تحدد بيئة مهيار الادبية بعصر بني بويه الذى عاش في ظله وشهد نموه وقوته وضعفه ، وهو زمنيا كشاعر أخذ مكانه في نهاية القرن الرابع مع ابن نُباته ، والشريف الرضي ، والمرتضى والسلامي ، وأعلن انفراده بالمجد الشعرى بعد وفاة ابن نباته والشريف الرضي سنة ٤٠٦ للهجرة • وتسمية الفترة سياسياً بعصر بني بويه تنطبق على نشاطها الادبي ايضا ، لذلك تبقى هذه التسمية قريبة من الصواب وحسن التحديد •

وقد وصفنا هذا العصر في استعراضنا للحياة الاجتماعية والسياسية واعتبرنا اهم مميزاته تناقضاته وتطرفه ، واذا أخذنا المصطلح الادبي المحدث الذى يقول : ان الادب صورة" للمجتمع والحياة ، فأدب بني بويه يلائمه هذا التعبير اكثر من غيره •

وما دام الأدب يشمل الشعر والنثر فلابد من عرض موجز لملامح النثر في هذه الفترة ، لاننا امام ظاهرة جديدة في ادب هذه الفترة نجد فيها ان اكثر كتاب بني بويه شعراء وشعرائهم كتاب ، وشاعرنا مهيار وضعت له هاتان الصفتان في أول ترجمة كتبت عنه وسمي الشاعر الكاتب[١] •

واعتاد مهيار أن يتراسل مع ممدوحيه شعرا ونثرا ويشير الى مواهبه في نظمه ونثره[٢] ، كما تميزت قصيدته بكثير من ملامح النثر في العرض والالفاظ واسلوب الفقرة والاستهلال والدعاء[٣] •

وقد التفت اكثر الباحثين المعاصرين الى هذه الظاهرة الادبية في عصر بني بويه ، وكان الدكتور زكي مبارك موفقا في قوله : ان النثر نافس الشعر في مواضعه ودخل مواقعه وأصبحت أكثر الموضوعات مشتركة يأخذها الشعر والنثر[٤] ، كما

---

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٧٦
(٢) ديوان مهيار ط دار ج ص ٣٦٩
(٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٨ كنموذج وستفصل هذه الظاهرة في مديح مهيار
(٤) النثر الفني في القرن الرابع دار الكتب المصرية زكي مبارك ط ١ ٩٣٤ ج ١ ص ١٠٧

اشار المستشرق يوهان فك الى الملامح الفنية المشتركة بين الشعر والنثر في قوله : « ان السهولة والرشاقة والانتقاء هي المطالب التي تتوخى في الاسلوب البليغ ، وهذه الامور تعد معايير مشتركة في النثر كما هي في الشعر ، وهكذا يصبح الشعر الرفيع ضربا من بلاغة التعبير يقترب من النثر ، وعلى العكس يكتسب النثر المسجوع شعرية فنية »[٥] .

وفي يتيمة الدهر نماذج من نثر الصابي وأبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف وزير عضد الدولة تعتبر تأكيدا وتثبيتا لهذا الرأى ، فرسالة عبدالعزيز بن يوسف الى الصاحب بن عباد تبدأ بمقدمة نثرية مسجوعة غنية بالمحسنات والتزويق مطعمة بالشعر وفيها يقول الكاتب : « ابتدأت اطال الله بقاء مولاى الصاحب بكتابي هذا وفي نفسي اتمامه نثرا فمال طبعي الى النظم »[٦] .

ويلاحظ من النماذج التي عرضها الثعالبي في يتيمة الدهر ان الكاتبين ابا اسحاق الصابي وعبدالعزيز ابن يوسف شاركا الشعراء مواضيعهم وأغراضهم في نثرهما الذى كتب في اغراض التهنئة والشكوى والوصف والتهاني[٧] ، اما الهمذاني فقد كتب النثر في اغراض الشكوى والمدح والرثاء[٨] .

ولاشك في ان ملامح النثر كانت صدى لروح العصر في تناقضاته وتطرفه بؤسا ، وشقاء وكدية وترفا وتأنقا ، وساهم الروح الفارسي بتأثيراته وتقاليده وجذوره في نمو هذه الظاهرة وقد عبر الدكتور شوقي ضيف عن هذه الظاهرة في قوله « ان تأنق وتفنن كتاب الدولة البويهية في حياتهم تسرب الى كتاباتهم بشكل واضح ، واصبح التصنع امرا اساسيا في السجع والجناس وروعة التصوير ، وتحولت الكتابة الى تحف فنية فيها الشيء الكثير من المبالغات والتهويلات[٩] ،

---

(٥) العربية دراسات يوهان فك نقل الدكتور عبدالحليم النجار مطبعة دار الكتاب العربي ـ ٩٥١ ص ١١٦

(٦) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٣١٧

(٧) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٣١٧ وغيرها

(٨) المصدر نفسه حـ ص ٢٨٦ وما بعدها

(٩) الفن ومذاهبه في النثر العربي شرقي ضيف دار المعارف قاهرة ط ٣ ـ ٩٦٠ ص ٢٠٣ وما بعدها

ويضيف الاستاذ متز الى هذه الظاهرة ظاهرة التكرار والحشو التي نمتها عمليات التطويل في الاسلوب النثرى[١٠] •

وتلقى الشعر مؤثرات العصر الاجتماعية والفكرية والسياسية على خطين : خط معتدل يمثل المحافظة على التقاليد الاساسية للقصيدة العربية في المبنى والمعنى وقد تمثل هذا الخط في شعر الرضي وابن نباته والمرتضى ومهيار النيلمي ، وخط ثان ظهر عليه التأثر الشديد بقيم العصر ومثله وقد مثل هذا الاتجاه شعر الكدية والشكوى ، وشعر المجون والتهتك والغلمان •

ولابد من التأكيد على أن الاتجاهين تلقيا تقاليد العصر ومؤثراته وتمثلت فيهما ، كما اشتركا في كثير من الاغراض والفنون ، وأول هذه التأثيرات التي تلقاها الشعر متسللة الى محتواه التأثيرات المذهبية ، التي نمت بشكل حاد وعنيف نتيجة للصراع المذهبي وتشجيع السلطة لهذا الصراع •

وازدهر الشعر الشيعي بعاطفته الحزينة ، وألمه الحاد ، وشكواه المرة ، وبكره المجادل في مسألة الخلافة والافضل والمفضول والقضايا التاريخية المتعلقة بهذا الباب •

وقد مثل الاتجاه الهادىء المتزن العفيف الشريف الرضي في قصائده الرثائية لاهل البيت[١١] ، ومثل مهيار الطابع المتطرف في قصائده الشيعية ، وما تحتوى عليه من هجوم شديد وسب وقذف بالصحابة وقريش والعرب بصورة عامة[١٢] ، وهو امتداد للشعر الشيعي الذى مثله الصاحب بن عباد الذى قيل انه كتب عشر آلاف بيت في مناقب أهل البيت والتبرّي من اعدائهم[١٣] •

ولم يحفظ لنا التاريخ المناقضات الشعرية المذهبية التي أشار صاحب تاريخ بغداد في ترجمته للشاعر السكرى معاصر مهيار الذى أوقف اغلب شعره للرد

---

(١٠) الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٤٣٤
(١١) ديوان الرضى المجلد ١ ص ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، مجلد ٢ ص ١٨٧ (٥)
(١٢) ديوان مهيار جـ ١ ص ٢٩٨ جـ ٣ ص ٥٠ ومد بعدها ، ص ١٠٥
(١٣) الادب في ظل بني بويه ص ١٧٤

على الرافضة ومدح الصحابة ، الا اننا نستطيع ان نأخذ هذه الترجمة دليلا على نمو هذا الشعر وازدهاره في عصر بني بويه .

وقد تسربت هذه التأثيرات المذهبية الى اشعار الماجنين وعرف ابن الحجاج الشاعر المتشيع انه ينتظر الشفاعة ، رغم ما عرف عنه من تهتك وتبجح بمفاسده وموبقاته فهو يقول :

خمسةٌ حبهُم اذا اشتدّ حزني ثقتي عند خالقي واماني
قد تيقنت أنهم ينقلوني من يدَيْ مالك الى رَضوان[١٤]

وكان تأثير الوضع السياسي والاجتماعي المضطرب فعالا في نمو شعر الشكوى والكدية ، وقد ازدهر شعر الكدية كوجه اخر يمثل الحياة بلونها القاتم مقابل ادب اللهو والمفاسد الذى مثل نوعا من التشرد من متاعب المجتمع وآلامه ، وخير من يمثل هذا الاتجاه ابو دُلَف والاحنف العُكَبرى الذى سماه الثعالبي « فرد بني ساسان في مدينة السلام » .

وتفنن شعراء الكدية في شعرهم مفتخرين بحالتهم كما يبدو في قول الاحنف العكبرى :

على اني بحمد الله في بيت من المجد
بأخواني بني ساسان اهل الجد والحدِّ
لهم ارض خراسان وقاشان الى الهند
ومن خاف اعاديه بنا في الروع يستعدي[١٥]

وواضح أن هذه القطعة القصيرة بما فيها من رضا وفقر تحمل في روحها طابع الأسى العميق ، والضياع والفجيعة ، ونستطيع ان نلمح هذه الشكوى المرة في ابيات الاحنف العكبرى التي يقول فيها :

---

(١٤) يتيمة الدهر جـ ٣ ص ٦٦
(١٥) المصدر نفسه ص ١١٧ ، ١١٨

عشت في ذلـــة وقلـة مـــال   واغتراب في مَعَشـر أنــــذال
بالأمـــاني اقـــول لا بالمعـــاني   فغذائي حــــلاوة الآمـــال[١٦]

وقد شارك اهل المجون في هذه الشكوى وكان ابن الحجاج موفقا في التعبير عن آلام الطبقات الفقيرة المتعبة في قوله :

هربت من موطنـــي الى بلـــد   قد صفّر الجوع فيه منقـــارى
يقول قوم فـر الخسيس ولـو   كان فتى كـــان غـــير فـــرّار
لا عيب لا عيب في الفرار فقـد   فرّ نبي الهـــدى الى الغـــار[١٧]

وفي قولـــه :

فيـا مولاى رافقنـــي بكلــــب   لآكـل كـل يـوم مع رفيق[١٨]

وقد ساهم اكثر شعراء المجون مع ابن الحجاج وابن سُكّره في التعبير عن شقائهم ، وما ابن الحجاج الا صورة واضحة لهذا المظهر الذى مثله هؤلاء الشعراء في شعرهم .

والملاحظ في هذا الاتجاه الشعرى بساطته ، ووضوحه وعدم الاعتنـــاء بالصورة والتزويق ، وهو قريب من اسلوب النثر العادى الذى يقترب من كلام العـــامة .

اما الشعر الذى حاول المحافظة على التقاليد العربية بالقصيدة ، فلم يكـن بعيدا عن مرض العصر وما فيه من بؤس وحرمان ، وظهرت فيه روح الشكوى بشكل واسع ، وكان الثعالبي موفقا في الصفحات التي خصصها لشعراء العصر في التعبير عن الشكوى من الناس والزمن وسوء الحظ والخيبة ، ونرى فـــي قول ابن نباته السعدى صورة لهذه الشكوى من الدهر والحياة :

برمت من الحيـــاة واى عيش   يكون لـمَن مطاعمـه الخيال

(١٦) يتيمة الدهر جـ ٣ ص ٤٩
(١٧) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٥٧
(١٨) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٤٧

ولـو إني أعدُ ذنـوبَ دهـرى لضاعَ القَطْر فيها والرمـال[19]

والشاعر الحسن السلامي رغم اتصاله ببني بويه ، وكثـرة عطاياهـم لـه بقي منزله معرضا للانهدام في ايام الشتاء القارصة ، بعد ان احرق صندوق ثيابه طلبا للدفء .

وكيف ازوركم والمُـزن تبكـي عـلى دارى بأربعـة سِـجام
بناتي كالضفـادع فـي ثراهـا واهـلي في الروازن كالحمام[20]

وقد عرف الشريف الرضي كثير الشكوى من زمانه وأهله من خـلال نفسه الطموحة الخائبة في مساعيها وأحلامها في المجد والسلطان[21] ، كمـا اعتاد مهيار أن يكون شاكيا في كل قصيدة يكتبها الى وزير أو امـير ، وأصبحت هذه الشكوى مقدمة اساسية للهدية في قصيدة المديح عند مهيـار ، وكثيرا ما تُمزج الشكوى من الزمان بسوء الحظ كما يبدو في قوله :

عذيـرى مـن زمـن لا يُسـِّرُ بنعمـاءَ الا بهـا يُنكب
اذا قسـم الحظ بـين الرجـال فحظـي من شـر ما يُنصب[22]

وديوان مهيار يعطي صورة كاملة الملامح لطابع الشكوى والالم والاسى الذى طبع الديوان بطابعه ومثل لنا الشـاعر حزينا تلفـه الدنيـا بمصائبهـا وأحزانها[23] ويكاد يكون مهيار اكثر الشعراء انسجاما مع اهل الكدية بعـد ان اصبحت قصيدة المديح سؤالا واستغاثه وطلبا للمال للتغلب على مصائب الحياة ومتاعبها ، فهو يمثل شعر الكدية بالنسبة للشعراء الذين التزموا الخط التقليدى المحافظ للقصيدة العربية ، ومن الامثلة على ذلك قول مهيار :

---

(١٩) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٣٨٣
(٢٠) المصدر نفسه
(٢١) ديوان الرضى مجلد ١ ص ١٢٤ ، ١٣١ ، مجلد ٢ ص ٢٦ ، ١٣٢ ـ
(٢٢) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ٩٥ وانصبه جعل له نصبا
(٢٣) المصدر نفسه ص ٣٣ ٤٤ ، ٤٩ ، ٨٥ ، ٩٥ ٣٩٤ ، ٤١٠ جـ ٢ ص ٣٠ ٨٤ ٢٥٧ ، ٣٢٠ ، جـ ٣ ٤ ص ٤٤ ، ٦٩ ، جـ ٤ ١٠ ، ٢٣ ، ٧٩ وغيرها .

أجِرني بجودك من ان أُذَل وانصر دعائي فلا أُخذَلُ
وصُن بك وجهي عمن سواك فما مثلُ وجهيَ يُستَبذل[٢٤]

وفي قوله من قصيدة يمدح فيها امير عمان :

ولم استزدْ نُعماك الا ضرورةً وقد تُستزادُ المُزنُ وهي دوالح
بما ثقّلت ظهرى الخطوبُ وضاعفت تكاليفَ عيشي وانتحتني الجوائح[٢٥]

وامثلة الكدية في ديوان مهيار كثيرة ومكررة في اغلب قصائده ، بعد ان اصبح شعره يباع وينتظر الثمن ، وعندما تكسد البضاعة فلابد من الشكوى والكدية للحصول على موارد الرزق[٢٦] .

ولا شك في ان روح الشكوى لم تكن بسبب سوء الحالة فحسب ، فهي تعبير عن الام العصر وأحزانه ، ولعل شعر بني بويه كان موفقا كل التوفيق في اعطاء صورة سليمة لعصره في تناقضاته والوانه واتجاهاته .

ولقد كان من نتائج تأثيرات العناصر الدخيلة في المجتمع العربي ونشاط تجارة الرقيق وكثرة الغلمان ، ان نما شعر الغلمان الذى ظهر في العصور العباسية الاولى وازدهر بشكل مثير في عصر بني بويه ، وكان ازدهار هذا الغرض تعبيرا حيا عن طبيعة الحياة الاجتماعية وتأثير الاتجاهات والتقاليد الدخيلة في نموه ، واصبح من الامور المألوفة في هذا العصر أن يتغزل الشعراء بالغلمان وان يتفننوا في هذا الغزل ، كما يبدو في شعر السلامي الخاص بحب الغلمان على انواعهم من بدو وحضر وشطار وأتراك[٢٧] .

ولم تَخلُ مجالس رجال الدولة والاديان والعلماء من تداول هذا النوع من الغزل ، وقد وصف الشريف الرضي غلاما أعجميا في شعره ، وكتب

---

(٢٤) ديوان مهيار طبعة دار ج ٣ ص ١٣١
(٢٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢٤
(٢٦) الكدية في ديوانه ج ١ ص ٢٢٩ ، ٣٢٥ ، ج ص ٥٥ ، ج ٦٢ ، ٩٧ ج ٤ ص ١٢٢ للنماذج
(٢٧) يتيمة الدهر ج ٢ ص ٤٢ والادب في ظل بني بويه ص ٢٦٨

مهذب الدين الطرابلسي قصيدة حنين في غلامه « تتر » عندما تأخر عن العودة بعد ان ارسل معه بعض الهدايا الى الشريف المرتضى[٢٨] •

وكانت متطلبات مجالس الانس واللهو مقطوعات شعرية يتداولها اصحاب المجالس في مختلف الاغراض والفنون ، وفي وصف مظاهر الحياة وأدواتها وصور النعيم والترف ، كانت مجالس الامراء والوزراء حافلة بهذا الفن الشعرى المزدهر ، وقد ذكر لنا الثعالبي وصور طبيعة هذه المجالس في الحديث الذى نقله عن ابي بكر الخوارزمي قال : انه كان ينادم عضد الدولة ، ويحاضر بالاوصاف والتشبيهات ، ولا يحضر من الطعام والشراب وآلاتهما وغيرها ، الا وانشد فيه لنفسه او لغيره حسنا فبينا هو ذات يوم معه على المائدة ينشد كعادته قدمت بهطه ، ونظر عضد الدولة كالآمر اياه بأن يصفها فأرتج عليه وغلبه سكوت معه خجل ، فارتجل عضد الدولة وقال :

وبهطة تعجز عن وصفها يا مدعي الاوصاف بالزور
كانها في الجام مجلوة لالىء في ماء كافور[٢٩]

ومن هذه الحادثة نستيع ان نقدر مدى اتساع وشيوع هذا اللون من الشعر وما تتطلبه مجالس الامراء والوزراء والكبار ، ومجالس الانس والطرب من بديهة حاضرة ودقة ملاحظة •

وفي دواوين شعراء العصر نماذج كثيرة من المقطوعات الشعرية المعبرة عن هذه الظاهرة ، كما قدم الثعالبي نماذج واسعة من هذه المقطوعات في وصف الازهار والرياحين والبساتين وادوات الطعام ، يضاف اليها المقطوعات تقال في المناسبات الاخوانية المختلفة •

وقد مثل الشاعر السلامي روح العصر في مقطوعاته الكثيرة التي وصف

---

(٢٨) ظهر الأسلام جـ ١ ص ٣٧
(٢٩) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٢١٧ ـ البهطة : الأرز يطبخ باللبن والسمن
(٣٠) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٤٠٧ وما بعدها

فيها الازهار والنارنج والجلنار والبساتين ومجالس الخمر والغناء والحشرات بأنواعها وحياة القصور وترفها ومباهجها[30] ، ونجد ايضا في ديوان الشريف الرضي مقطوعات شعرية قصيرة اخوانية ووصفية في الازهار والخمر والنجوم وخيال الحبيب ومجالس الانس والرياض والاصدقاء والحساد والشكوى والتهاني[31] .

ومهيار الديلمي الذى أوقف اكثر ديوانه للمديح الرسمي التقليدى ، لم يقصر في هذا الفن ، وكتب كثيرا من المقطوعات في الغــزل والحب والناس ووصف الحمام[32] ، ونظم المقطوعات القصيرة على سبيل الاحاجي والالغاز مما يتلاءم وطبيعة المجالس وتبادل الاحازير وجلها[33] ، وشاركه في هــذا الفــن السلامي وابن نباته في أوصافهما التي تأتي على سبيل الاحاجي والالغاز[34] .

اما مظاهر التأثيرات الفارسية فكانت واضحة وصريحة في شــعر بنــي بويه ، وأصبح الاحتفال بالنوروز والمهرجان وليلة السذق من ايــام الشــعر ، ينتظرها الشعراء لتقديم التهاني للخليفة العباسي والامير البويهي ورجال الحكم .

وقد وصف ابن نباته السعدى ليلة السذق في قصيدة تهنئة للامير البويهي قال فيهــا :

هي الليلةُ الغراُء في كــل شتْــوةٍ   تُغادر جيدَ الدهر أتلعَ حاليــا[35]

وقال السلامي المخزومي في قصيدة وصفها الثعالبي بأنها عضُدية سذقية :

الست ترى الاوضاع في دُهمةِ الدجــى   ومنشؤها بالناظـرين دقيــقُ

دخانا سخامي الصفـات شـراُره   يروق وعِـقدُ الريح فيه وثيق[36]

---

(31) ديوان الرضى مجلد ١ ص ٤١٠ ، ٥١٣ ، مجلد ٢ ص ٨٢ ، ٢٢٧ وغيرها
(32) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ٨٣ ، ١٥٩ ، ٣٤٤ ، ج ٢ ص ١٢٨ ،
(33) ديــوان مهيار ج ١ ص ٨ ، ٢٩٨ ١٥٢ ، ٣٤٣ ، ج ١ ص ٧٥ ، ١٢١ ، ـ ١٥٧ ، ١٧١ ، ١١٨ ، ج ٤ ص ١٧٢ ، ١٨٧ ، ١٨٨
(34) يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٤٧
(35) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٩١
(36) المصدر نفسه ج ٢ ص ٤١٧

واذا اعتبرنا هذا الوصف لليلة السذق جزءاً من الشعر الوصفي الذي ازدهر ونما ، وأصبح يشمل كل مظاهر الحياة[٣٧] • فأن التهنئة بالنوروز والمهرجان اصبحت من العادات المتبعة تقدم فيها التهاني والهدايا ، واعتاد الشعراء ان يشاركوا المجتمع في تقاليده ، فالشريف الرضي اعتاد ان يقدم التهاني في هذه الاعياد الفارسية للخليفة العباسي والامير البويهي[٣٨] ، اما مهيار الديلمي فأغلب قصائد المديح قدمها في ايام النوروز والمهرجان وأصبح من التزاماته الشعرية ان يختتم قصيدته بالتهنئة بهذه الاعياد •

ولم تقف التأثيرات الفارسية في حدود هذه المظاهرة العامة ، وكان التأثير الفارسي واضحا في الغلو والميل الى الخيال وروح الزخرفة التي نمت بشكل واسع في الشعر العربي[٣٩] ، وساهمت طبيعة الفترة والروح الفارسية في نمو مظاهر الاسراف والغلو في اغراض الشعر وأصبح مألوفا ان يقول السلامي في مدح عضد الدولة :

وانما انت لطفُ الله جسّمه ... لنا وفي يدك الارزاق والقسم
اضحى يهنأ بالاضحى بمنزلة ... لا العُرُب نالت مراميها ولاالعجم[٤٠]

وان يقول الشريف المرتضى في مدح الخليفة :

ولم يك لي الا عليك توكلي ... ولا كان الا في ذراك مقامي[٤١]

ومن صور المبالغة الغريبة قول ابن نباته السعدي مفتخرا بنفسه :

فالعيش من نعمي والموت من نقمي ... وحكمة فلك الدوار من كَلِمي
لو يعلم الناس قدرى في زمانهم ... صلوا لوجهي واشتاقوا ثرىقدمي[٤٢]

---

(٣٧) الوصف في شعر العراق ٣٩٩ ، ٤٠٠
(٣٨) ديوان الشريف الرضى مجلد ١ ص ٨٢ ٨٧
(٣٩) تراث فارس ص ٣٨ ، ٢٦٣ ، ٤٦٣
(٤٠) يتيمة الدهر ج ٢ ص ٤٢
(٤١) ادب المرتضى ص ٢٧٤ قدمي
(٤٢) يتيمة الدهر ج ٣ ص٥٧

وقد اعتبر الامام عبدالقاهر الجرجاني قول ابن نباته في القصيدة نفسها :

ما زلت اعطِفُ ايامي فتمنحُني   نَيْلاً ادق من المعدوم في العدم

بانه ضرب من الاسراف والتهوس[٤٣]

ومهيار الديلمي بحكم تكوينه الفارسي وتأثره بروح العصر لم يقصر في باب المبالغات والاسراف ، وقد اعتاد ان يغلوا غلوا شديدا في مدح الامير البويهي جلال الدولة وأن يقول له :

لكم اول الدنيا القديمُ وعنكم   يكون قيامُ الامر في ساعة الحشر
وما الملكُ الاّ ما أحتبى متمدِحاً   بأيامكم فيه المحجلةِ الغرَ
ولا الدهرُ الا ما تقلّب صرفُه   على ما قسمتم من يَسارٍ ومن عُسر
ولا تُطعمُ الدنيا بنيها سوى الذى   تُشيرون من حلوٍ اليه ومن مُر[٤٤]

واكثر قصائد مهيار في مدح هذا الامير البويهي امتازت بطابع الغلو والاسراف[٤٥] .

ويظهر ان التأثير الفارسي بما فيه من ليونة وطرب قد تسرب الى شعر الفترة كما ان الجانب المترف من حياة الفترة ساهم في نمو هذه الروح الشعرية الجديدة ، واصبح استعمال الاوزان القصيرة الراقصة في المدح والرثاء متدوالا ومقبولا ، وكانت تجد كثيرا من الرضا ، وقد لاحظ الدكتور احسان عباس في دراسته للشريف الرضي ميله الى الاوزان القصيرة في مرحلة النضج الشعرى[٤٦] ، وقد شارك الشريف المرتضى في هذا الاتجاه وكتب قصائد الغزل ذات الاوزان القصيرة[٤٧] .

---

(٤٣) اسرار البلاغة ـ عبدالقاهر الجرجاني مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ص ٨٤
(٤٤) ديوان مهيار طبعة دار ج ٢ ص ٧٧
(٤٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، ٣٥١ ـ ٣٥٣
(٤٦) الشريف الرضي ـ دراسة احسان عباس دار بيروت ٩٥٩ ـ ص ٢٤٤
(٤٧) ديوان الشريف الرضي ج ١ ص ٥٣ ، ١٥٩ ، ج ٢ ص ٢٤٥ للنماذج

وكتب مهيار قصائد كثيرة امتازت بأوزانها القصيرة الراقصة في المديح مما يدل على أعجاب ممدوحيه بهذا الاتجاه الشعرى[٤٨] •

وكتب مهيار احدى قصائده في رثاء آل البيت مستعملا وزنا قصيرا رغم عدم ملاءمته لطابع الرثاء[٤٩] •

وكان التفاعل بين القيم الحضرية وما فيها من روح فارسية ، والقيم العربية الاصيلة البدوية واضحا ، وكانت طبيعة الحياة والاداة الفارسية في الحكم والقاعدة العربية التي مثلتها القبائل العربية عوامل فعالة في هذا التفاعل •

وكان الحكم الفارسي البويهي يحمل معه التقاليد الفارسية في الابهة والسلطان والتفخيم ، ولكن رجال هذا الحكم فرض عليهم ان يتثقفوا بثقافة عربية اصيلة ، وبقي الخليفة ايضا عربيا معتزا بنسبة ، وقد استطاعت هذه الثقافة والحكم العربي الاسمي مع العوامل التي ذكرناها ان تساعد القيم العربية و ُمثلَها على الصمود والثبات امام التقاليد الفارسية وكان هذا الصراع واضحا في طبيعة تكوين القصيدة العربية •

فهذه القصيدة حافظت على تقاليدها ، واستطاع التيار العربي الشعرى بروحه البدوية ان يبقى قويا يتمناه شعراء الحضر ، وعندما وصف ابو حيان التوحيدى شعراء العصر اعتبر الشعراء السائرين على نهج البادية شعراء العصر المتقدمين ، فهو يقول في احدى لياليه مع الوزير ابن سعدان :

(أما السلامي فهو حلو الكلام خفي السرقة لطيف المأخذ بدويا قحا وهو لم يَتِـم حضريا غزير الحفظ جامع بين النظم والنثر على تشابه بينهما في الجفوة والسلاسة •• اما ابن نباته فشاعر الوقت لا يدفع ما أقول حاسد او جاهل قد لحِقَ عصبة سيف الدولة وعدا معهم ووراءَهم على مثال سكان البادية لطيف

---

(٤٨) ديوان مهيار جـ١ ص ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢٠٩ ، جـ ٢ ص ١٠ ، جـ ٣ ص ٧٦ وغيرها

(٤٩) ديوان مهيار طبعة دار جـ ص ٣٦٧

الأئمام خفي المغاص في واديهم ظاهر الاطلال على ناديهم)[٥٠] •

ويظهر لنا من رأى التوحيدى ان الشعر بطابعه البدوى ظل مطلبا صعبا ، وأن الشعر الحضرى يتناوله كل الشعراء والناظمين ، فالالتزام بالمنهج البدوى يحتاج الى استعداد كبير لكي يستطيع الشاعر ان ينهج هذا النهج ، والشعر الحضرى ومقطوعاته امر مباح للناظمين •

لقد كان الشريف الرضي أكثر الشعراء هَياماً بالبادية وأهلها ومواقعها ، وتكاد تكون قصيدته هروبا من واقع مر اليم يعيشه الشاعر في المدينة[٥١] ، ومن الممكن ان يوضع مع شعراء النهج التقليدى البدوى الشاعر ابو سعيد الرستمي شاعر اصبهان على ضوء المقطوعات التي ذكرها الثعالبي له في يتيمة الدهر[٥٢]•

اما قصيدة مهيار فهي تمثل ذروة الصراع والتفاعل بين القيم العربية البدوية في الغزل والمديح التي مدته بها ثقافته العربية ، وبين القيم الفارسية وتقاليدها في المدح والقيم الحضرية في ذكر رسوم الوزارة وأوصافها ، ولم يستطع ان يرتفع بقصيدته الى مستوى استاذه الرضي في روحه العربية ، ولكنه اعتاد ان يقدم المثل العربية والفارسية في قصيدته فهو يمدح آل عبدالرحيم مدحا عربيا في قوله :

هم القائلون الأزْمَ والعامُ مسنِتٌ يقطّب في وجه المسيم جدوبُه

ويشيد في نفس القصيدة بتقاليدهم الفارسية المتوارثة فيقول :

ربا الملك طفلا ناشئا في حجورهم واشيبُ هذا الدهر بعدُ ربيبُه
لهم تاجُه المعصوب ايامَ تاجِه وفيهم اخيرا سبقُه وقضيبه[٥٣]

ومن الظواهر الفنية التي اتسم بها شعر هذه الفترة ظاهرة تكرار المعاني ،

---

(٥٠) الامتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٤
(٥١) ديوان الرضي مجلد ١ ص ٣٥ ، ٤٠ ، ٧٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٩ للامثلة
(٥٢) يتيمة الدهر جـ ٣ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٧
(٥٣)ديوان مهيار دار جـ ١ ص ١٣٤

والاعتماد على سابقيهم من الشعراء في معانيهم وتحويرها وتطويرها ، وقد اهتم الثعالبي بهذه الظاهرة واشار الى المتنبي كنموذج واضح لها وقدم نماذج من شعر السرى الرفاء في مكرراته واقتباساته من شعر ابن الرومي وأبي تمام والمتنبي(٥٤) .

وكان شعر الكدية رغم معانيه المبتذلة قد ابتلى بظاهرة التكرار بشكل واسع ، ولعل كثرة الانتاج وابتذاله كانا من اسباب شيوع هذه الظاهرة ، وكان مهيار الديلمي من أكثر الشعراء ابتلاء ، وحفل انتاجه الغزير بتكرار في مطالع القصائد والمعاني الاساسية وختام القصائد ، اضافة الى معانيه المقتبسة وميله لتقليد الاساليب العربية الشعرية المعروفة .

وقد اشار ابن سنان الخفاجي الى تكرار بعض الكلمات في شعر مهيار وقال: (وهذا الذى انكرناه من تكرار الالفاظ فن اولع به الشعراء والكتاب من اهل زماننا هذا .. وكان ابو الحسن مهيار ابن مرزويه ممن غري بلفظة طين وطينة فما وجدت له قصيدة تخلو من ذلك الا اليسير حتى وضع هذه اللفظة تارة في غير موضعها)(٥٥) .

وقد اعتاد مهيار ان يقول لاحد ممدوحيه ..

فلو كلمتك الشمس قالت لحقت بي   علاءً واشراقا فاين تريدُ(٥٦)؟

وان يقول لممدوحٍ ثان :

ومضى يريد النجم حتى جازه   شوطا فقال النجم اين تريد(٥٧) ؟

ولابد من الاشارة الى دخول المصطلحات الفلسفية الى دنيا الشعر ومحاولة الشعراء اقتباس هذه المصطلحات وتكرارها ، ومن جملة الامثلة التي ذكرها الثعالبي قول ابن نباته السعدى :

رضينا وما ترضىٰ السيوفُ القواضب   نجاذبُها عن هامكم وتُجاذب

---

(٥٤) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ١٢٢ ومكررات المتنبي جـ ١ ص ١٣٨ ـ ١٤٥

(٥٥) سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي مطبعة محمد علي صبيح قاهرة ٩٥٢ ص ١١٩

(٥٦) ديوان مهيار ط دار جـ ص ٣١١

(٥٧) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٢٨

فأياكم ان تكشفوا عـن رؤوسكم الا أن مغناطيسـهن الذوائب(٥٨)

وكان مهيار قليل الالتفات الى هذه المصطلحات سوى بعض الالفاظ الفلسفية الطارئة التي تمر في شعره مرورا عابرا لا يدل على اهتمام واسع بها(٥٩) .

اما الالفاظ الفارسية فقد انتشرت في الشعر الذى مثل طابع الكدية والمجون أكثر من غيره وتعتبر قصيدة ابن الحجاج التي تغزل فيها بغلام اعجمي اكثـر القصائد تمثيلا لكثرة استعمال الالفاظ الفارسية ، أما مهيار الديلمي فقد حـاول ان ينجو من هذا الداء المتفشي وكان قليل الالتفـات الى الالفـاظ الفارسـية فـي شـعره(٦٠) .

وقد مثل الشعر العربي في عصر بني بويه بمحتواه اهتمامه بأغراض تافهـة في الوصف كوصف الكرسي والسطل والزنبيل وغيرها من الادوات التافهة(٦١) ، وقد اشرنا سابقا الى الجهود المبذولة في رثاء برذون ابي عيسى بن المنجم في اصبهان والتي ساهم فيها السلامي والرستمي وابو القاسم الزعفراني وغيرهم ، وقد قـال مهيار ايضا قصائد طلب فيها جبة او كسوة شتاء ، وقدم القصائد الطويلة في هذه الاغراض التافهة(٦٢) .

اما الشكل الفني للقصيدة العربية التقليدية فقد أصابتها روح النثـر التـي ابتلى بها شعر الكدية ، واصبحت الليونة والرقة بداية النهاية للقصيدة العربيـة في سقوطها على يـد الشاعر مهيار ، رغم محاولته للمحافظة على تقاليدها بالتـزام النهج العربي التقليدى .

واساهم ايضا في سقوطها وجمودها وتحولها الى هياكـل انتشار التعقيـد والمحسنات والصور الباهتة الباردة ، واصبحت اصالة الشاعر السند الوحيد مـن السقوط الفني ، وكان هذا الامر طبيعيا بعد ان قدر لعصر بني بويه الادبي ان يشهد بداية السقوط الفني للشعر العربي .

---

(٥٨) يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٨٥
(٥٩) ديوان مهيار ط دار ج ٢ ص ٧٣ ، ٩٩
(٦٠) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٢٢٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ج ٣ ص ٣١٧
(٦١) يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٧٢
(٦٢) ديوان مهيار ط دار ج ٢ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٥ ، ج ٢ ص ١٤٠ ، ١٤٥

الفصل الرابع

حياة مهيار

ابو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي

اسمه وكنيته ولقبه :

في العقد الاخير من القرن الرابع للهجرة تعرف اهل الادب على شاعر فارسي الاصل ما زال على دين اجداده المجوس ، وهو يحاول ان يشق طريقه في عالم الادب والشعر ، وفي ظل دولته الفارسية البويهية ، وبدأت المعرفة بهذا الشاعر في بغداد تاركا وراءه تاريخا شخصيا غامضا وعرف الشاعر باسم « ابو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي الشاعر الكاتب »[1] ويظهر ان كنيته لحقته بعد اسلامه ، واختلف المؤرخون في هذه الكنية : فمنهم من لقبه بابي الحسن[2] ، واخرون لقبوه بابي الحسين[3] ، وقد ذكر الباخرزي ابن مهيار وسماه الحسن ، الا انه نسب اليه احدى قصائد مهيار الشهيرة[4] واغلب الظن ان لقبه كان « ابو الحسن » وقد اكده اقرب المؤرخين اليه ، ولقبه بهذا اللقب صديقه المحسن ابن ابي اسحاق الصابي في قصيدة عتاب كتبها اليه وقال فيها :

أنصفْ ابا حسن ولاتكُ جائراً واحكُمِ بربك حكمَ قاضٍ عادِل

او فأغتفر ذنبي ولست بمذنب وتجاف عن فعلي ولستُ بفاعل[5]

ويظهر ان قصيدة الصابي من المراسلات الاخوانية ، وقد اجاب عليها مهيار بقصيدة على نفس الوزن والقافية ، كما ان البيت الاول يؤكد كنية ابي الحسن وان تغييرها الى ابي الحسين يؤدي الى اختلال الوزن اختلالا واضحا . ويؤكد

---

(١) في وفيات الأعيان : مهيار بكسر الميم ومرزويه بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي والواو والهاء ساكنة وهما فارسيان جـ ٤ ـ ص ٤٤٤ ، وفي تاح العروس جـ ٣ ص ٥١ كمعراب ، وفي المشتبه في الرجال كذلك جـ ٢ ص ٦١٩ وورد اسم مرزويه بضم الزاي في المشتبه جـ ٢ ص ٥٨٢

(٢) تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٢٧٦ ودمية القصر ص ٧٦ والمنتظم جـ ٨٩ ص ٩٤

(٣) وفيات الاميان جـ ٤ ص ٤٤١ ومعالم العلماء لابن شهراشوب ص ١٤٦ ومجالس المؤمنين ط طهران ٣٧٦ هـ ، جـ ٢ ص ٥٣٢ ، ومن تبع ابن شهراشوب من مؤرخي الشيعة المحدثين

(٤) دمية القصر ص ٧٧

(٥) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ٤

صحة هذه الكنية ما كتبه الشاعر ابو الحسن الجهرمي يستعطف مهيار حيث قال مشيرا الى كنيته « ابو الحسن » •

ابا الحسن اصفح ان مثلي من جنى   ومثلك من اعفى من العدو او عفا[٦]

وقد حاول مهيار ان ينتحل لنفسه نسباً كرديا شأنه شأن اسياده البويهيين وهو الديلمي النازح الى بغداد ، والديلم كما هو معروف عنهم شعب ايراني سكنوا جبال المنطقة الجنوبية الشرقية من بحر قزوين ، وعرف الذين سكنوا الساحل بالجبل ، وقد وصفهم الاصخرى بنحافة الجسم وخفّة الشعر وقلة المبالاة[٧] ، ووصفهم المؤرخون بالتصعب وعدم الانقياد والتمرد الى ان دعاهم الحسن ابن علي العلوى المعروف بالاطروش الى الاسلام[٨] •

وقال عنهم المقدسي في وصف مناطقهم الجبلية بأنها كورة صغيرة المدن لا ترى لاهلها لباقة ولا علما ولا ديانة ، وبقي الكفر فيهم الى نهاية القرن الرابع للهجرة والذين اسلموا من الديلم على يد الاطروش اصبحوا شيعة زيدية[٩] •

وقد ارتد قسم منهم عن الاسلام وبقوا على مجوسيتهم او وثنيتهم وعرفوا بفساد المذهب والالحاد[١٠] •

وقد جاء مهيار مجوسيا الى بغداد حاملا تاريخاً غامضا عن ولادته وسكناه ، الا انه بحكم ديلميته لابد ان يكون من هذه المناطق التى عرفت قديما باسم « كيلان »[١١] •

---

(٦) الأذكياء ـ ابن الجوزي المطبعة الميمنية ١٣٠٦ هـ مصر ص ٨٣
(٧) مسالك الممالك ـ الاصطخري مطبعة الايدن ٩٢٧ م ص ٣٠٤
(٨) مروج الذهب ـ المسعودي ط ٢ السعادة ٩٤٨ م ج ص ٣٧٥
(٩) احسن التقاسيم ـ المقدسي ليدن ٩٠٩ م ص ٣٥٥
(١٠) مروج الذهب ج ٤ ص ٣٠٨
(١١) جيلان اسم لبلاد كثيرة وراء طبرستان والعجم يقولون كيلان ـ معجم البلدان مجلد ٧ ص ١٤ ٩، وقد جرى اطلاق اسم جيلان او الديلم على الاقليم الذي يكتنف جنوب غربي بحر قزوين ـ بلدان الخلافة الشرقية ليسترنج نقل كوركيس عواد ص ٢٠٦ـ٢٠٧

ولم يشر مهيار في ديوانه الى حياته الاولى ما عدا اعتزازه بفارسيته وامجاده الكسروية ، وقد افترض بعض المستشرقين والمؤرخين الايرانيين المحدثين ولادته في كيلان[١٢] ، الا ان هذا التقدير يظل قائما على اساس ديلميته ، وكون الديلم يسكنون هذه المناطق ، ونستطيع ان نضيف الى جانب هذا الافتراض قصائد مهيار التي حفلت بالحنين الى امجاده ، وذكر فيها اسم الجبل والجبال كمواضع لذكرى الامجاد الفارسية ، والمقدمة التي وضعت لاحدى قصائده الشيعية والتي قيل فيها ان مهياراً قالها بعد عودته من الجبل[١٣] .

ولادتة وحياته :

اغفل المؤرخون ميلاد مهيار واكتفوا بذكر سنة وفاته ، الا انه فصل تاريخ ميلاده في قصائد كثيرة ، وقال في قصيدته التي كتبها للوزير ابي القاسم المغربي عند توليه الوزارة :

ما لبنات العَشْر والعشر في جد بني الخمسين من ملعب[١٤]

وقد ارخت هذه القصيدة في ديوان مهيار بسنة ٤١٤ للهجرة وهي السنة التى تولى الممدوح الوزارة فيها ببغداد[١٥] ويستنتج من ذلك ان مهيار يضع سنة ٣٦٤ للهجرة تاريخاً لميلاده ، ويؤكد هذا الرأى ما قاله مهيار في قصيدة مدح فيها امير عمان ابا القاسم مكْرَم سنة ٤٢٤ للهجرة وفيها يقول :

وكيف مَطاري والخطوبُ تحصُّنّي ... واخذى شوطي والليالي كوابحُ
وقد كان جبنُ القلب يُقعِدُ عنكم ... فقد ساعدته بالنكولِ الجوارحُ
وقسمت الستون ما لخروقها ... اذا اتسعت في جِلدة المرء ناصح[١٦]

---

(١٢)
(١٣) تاريخ كيلان ـ حسن شمسي كيلاني طهران ١٣٢٨ بالفارسية ص ٤١٤
(١٤) ديوان مهيار جـ ٢ ص ١٨١ وجـ ٤ ص٣٩ ، ٤١
(١٥) ديوان طـ دار جـ ١ ص ٧٦ وفي ابن الأثير جـ ٧ ص ٣١٤ والمنتظم جـ ٨ ص ١٣ (٢) ديوان مهيار طـ دار جـ ١ ص ٢٢٥ ناصح خياط
(١٦) ديوان مهيار طـ دار ٠

وفي هذه الابيات يؤكد مهيار التاريخ السابق لمولده ، كما كتب قصيدة اخرى يواسي فيها الوزير ابا سعد ابن عبدالرحيم بسبب هفوة وقعت مع الجنود الاتراك واشار الى عمره بقوله :

يا قلب من اين على فترة ... رُدَّ عليك الوَلهُ العازبُ

ابعدَ أن مات شبابُ الهوى ... شاورك المُحتنِكُ الشائبُ

وبعد خمسين قضت ما قضت ... وفضلةٍ اغفلها الحاسبُ[17]

وكان اعتزال الوزير سنة ٤٢٣ للهجرة مؤرخة في الديوان ، ويؤكد هذا التاريخ ابن الاثير في حوادث سنة ٤٢٣ هـ[18] ، ومهيار يقول انه تجاوز الخمسين من عمره في السنة والفضلة قد تزيد على سنة او سنتين ، فهو يؤكد التاريخ السابق ، ويبقى منتصف العقد السابع من القرن الرابع تاريخاً مقبولا لمولد الشاعر ، ومن الممكن ان نقبل سنة ٣٦٥ هـ تاريخاً لمولده فهو يقول في قصيدة انفذها ممدوحه الصاحب بن عبدالرحيم عقيب وفاة بهاء الدولة سنة ٤٠٣ للهجرة :

صاحتْ وراء المِراح واعظةً ... لا يلتقي الاربعون واللعِبُ[19]

وقد توفي بهاء الدولة في نهاية سنة ٤٠٣ للهجرة تقريبا وأوفد الوزير الصاحب بن عبدالرحيم بمهمة بعد الوفاة ، وهذا يؤكد الرأى القائل بأن مولد مهيار كان في منتصف العقد السابع من القرن الرابع للهجرة[20] .

مهيار النازح المجوسي الى بغداد :

دخل مهيار بغداد مجوسيا على دين ابائه وسكن درب « رياح » من محلة الكرخ وهي منطقة عرفت بتجمع الشيعة الامامية فيها ، واشتهرت بمجلس النظر

---

(١٧) ديوان مهيار ط بغداد الواله بدل الوله .
(١٨) الكامل جـ ٨ ص ٢
(١٩) ديوان مهيار ط دار جـ ١ ص ٣٧
(٢٠) الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ٢٦٨ حوادث سنة ٤٠٣

الذى يتصدره فقيه الشيعه ابو عبدالله محمد بن محمد النعمان[٢١] .

ومهيار بالتجائه الى مراكز الشيعة يعطي دليلا على ان المجوس لم يكونوا في حالة يحسدون عليها ، وقد عرضنا في حالة العصر الاجتماعية لهذا الرأى واكدنا ضعة منزلة المجوس ، ولم يكن تدفق الديالمة الى بغداد وبقاء قسم منهم على مجوسيتهم دليلاً على قوتهم وقد استمروا على انكماشهم وانعزالهم ، ولعل درب المجوس ببغداد[٢٢] ، من المناطق التي اكتظت بهذه الطائفة[٢٣] .

ولم يقدم العهد البويهي اى دليل على اهتمامه بهذه الطائفة وتقديرها ، ويذكر لنا صاحب معجم الادباء قصة المجوسي دينار ويقول عنه : « وكان منشّراً مدرهما فكتب رجل الى الصاحب ابن عباده يخبره بأمر هذا المجوسي الذى يشتغل في ديوان الرى ويقول له :

لِمْ لا يفرِقُ في ديوان عسكره كافي كفاة الورى دينارَ دينارِ
فان ايسر ما في قطع شأفته تطهيرُ ديوانه من عابد النار

وعلى اثر ذلك قبض عليه الصاحب وصادره واستوفى منه مالا عظيما[٢٤] .

ويظهر ان امراء بني بويه ووزراءهم كانوا يستعملون المجوس لالمامهم بالعربية والفارسية ، الا انهم لم يكونوا محط احترام وتقدير ولاقوا كثير من المهانة والازدراء ، كما يبدو في اخبار ابي الفرج منصور ابن سهل المجوسي عامل البصرة الذى عرف باكرامه للشعراء وهم يهجونه وعندما توفي رثاه الشاعر النهرجورى برثاء اشبه بالهجاء وعندما سئل عن ذلك قال ما تعديت مذهبه الذى يعترف به[٢٥] ولاشك في ان مهيار قاسى هذه المتاعب وقد لجأ الى مناطق الشيعة

(٢١) المنتظم جـ ٨ ص ٩٤ ، وجـ ص ٢٣٧
(٢٢) في تاريخ بغداد درب المجوس محلة من نهر طابق جـ ٢ ص ٣٦١
(٢٣) في الوثيقة التي وقعها رجال بغداد للقدح بحاكم مصر كان الأتهام ـ بالمجوسية من الأتهامات الرئيسة لصرف الناس عنهم ـ المنتظم جـ ٧ ص ٣٥٥ سنة ٤٢ هـ
(٢٤) معجم الأدباء جـ ٦ ١٦١
(٢٥) المصدر نفسه جـ ٨ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٧

بحثاً عن الحماية والرعاية فوجدها عند استاذه الشريف الرضي الذي تولاه ورعاه وساعدته الظروف في ان يجد عملا في دواوين الدولة[٢٦] .

وليس لدينا خبر عن عمل مهيار وطبيعته في دواوين الخلافة ، وقد نقلت بعض المصادر التاريخية أنه كان كاتب دَرج بدمشق ، وقد جاء هذا الخبر على الشكل التالي « وقيل انه كان كاتب دَرج بدمشق »[٢٧] .

ومهيار كما يبدو لنا في ديوانه انه لم يغادر بغداد وليس هناك ما يشير الى سفره واشتغاله بدمشق ، ويظهر ان الخبر جاء نتيجة وهم وقع فيه المؤلفان ونقل احدهما عن الآخر وأريد بغداد بدل دمشق[٢٨] .

وقد وصف مهيار دائما بالكاتب الشاعر ، وأظهر شكواه من سوء حاله وعدم تقدير منزلته شعرا ونثرا كما يبدو في قوله :

بُخستُ كتابةً وحُرمت شعرا ... فهل من ثالث لي من صناعة ؟
اميل على الكراهة مع اناس ... كما مالت مع الريح اليراعة
وما اِنْ كدّني الا ارتكاض ... على رزق يجيء بلا شفاعة[٢٩]

ومهيار لم يذكر لنا متى ترك الكتابة ، وانصرف الى الشعر كمصدر للرزق ، ويبدو ان حرفة الكتابة لازمته ايام شقائه ، وهو لم يشتهر كشاعر ، الا انها ساعدته على توطيد علاقته بكثير من الكتاب ورؤساء الدواوين واستعان بهم في الوصول الى وزرائهم ومدحهم ونيل جوائزهم ، وبقيت قصيدة مهيار مورد رزق الشاعر يعيش على ثمنها ويطالب من يؤخر ويماطل ، ولم يذكر لنا شيئاً عن ممارسته الكتابة

(٢٦) كانت معرفة الكاتب بالفارسية مهمة لتولي الكتابة في ظل بني بويه وقد قدم المهلبي على وجوه لأفصاحه بالفارسية ، تجارب الامم ج ٦ ص ١٢٤
(٢٧) الوافي بالوفيات مخطوط حـ ٢٦ ورقة ١٢١ ، عيون التواريخ «خ» ج ١٣ ــ ورقة ١٦٧
(٢٨) قال لي الدكتور مصطفى جواد ان كلمة دمشق وضعت بدل بغداد توهما . ومصطلح الدرج ليس غريبا عن بغداد في عصر بني بويه ــ ذيل كتاب تجارب الأمم ص ٢٦٩٦ ــ ونصوص ضائعة من كتاب تحفة الأمراء للصابي ص ٤١
(٢٩) ديوان مهيار طبعة دار ج ٢ ص ١٧٨ ، ١٧٩

في مراحل حياته المقبلة بعد ان اشتهر شاعرا كبيرا في عصره .

مجوسيته واسلامه وتشيعه :

كانت فترة مجوسية مهيار فترة جدب وسوء حال ، وبقي في هـذه الفتـرة شاعرا مغمورا ساهمت مجوسيته في ضعف منزلته وانزوائه ، وكانت الرعايـة الوحيدة التي اشار اليها مهيار رعاية الشريف الرضي الذى تولاه شعريا ، واكد مهيار هذه التلمذة الادبية فى قصيدته التي رثى فيها الشريف الرضي اذ يقول :

قـد كنت ترضاني اذا سومتُهـا ... تَبَعاً وارضى ان تسيرَ أمامَهـا
واذا سمِعتَ حمِدت صفوى وحده ... وذَممتَ غِشَ القائلين وذامَهـا
فتركتني تَـركَ اليمين شمالَهـا ... فردا أعالجُ فاتـلا ابرامها[٣٠]

ومهيار حدد علاقته بالشريف الرضي في حدود ثقافة العلم والشعر ، ولكن بعض كتب التاريخ تشير الى ان مهيار اسلم على يد الشـريف ايضا ، رغـم أن المصادر القريبة تاريخيا من مهيار لم تذكر اسلامه على يد الرضي امثال الخطيب البغدادى في تاريخ بغداد وابن الجوزى في المنتظم ، اما المصـادر التي ذكـرت اسلامه على يد الشريف فانها نقلت الخبر وهو يحمل في طياته الشكوك وقالت « وقيل ان اسلامه على يد الشريف الرضي »[٣١] .

ومهيار نفسه لم يشر الى اسلامه على يد الرضي مطلقا ولم يذكر هـذا الفضل واكد تلمذته الفنية فقط ، كما ذكر بأشارة عارضة رعايةَ والد الرضي لمهيار واكد حبه وارتباطه بعميد العائلة في قوله :

وإنـك لو تسـطيع مَنّـاً ومنـةً ... لداويت أوجـاعي وداريت اوجالي

---

(٣٠) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٣ ص ٣٦٩ الذام ، القُبح . سومها اطلقها ترعى ابرم الحبل جعله طاقين ثم فتله .

(٣١) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٤٤١ ، الوافي بالوفيات جـ ٢٦ ورقة ١٢١ عيون التواريخجـ ١٣ ورقة ١٦٧ ، سير اعلام النبلاء جـ ١١ ورقة ١٠٣ ، العبر في خبر من غبر جـ ١٦٧ ، مراة الجنان جـ ٣ ص ٤٧ ، النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٦

اذن لحملت الحزن عني بكاهل ضعيفٍ على ما اعتاد من حمل اثقالي

وفيها يقول ايضا :

رثاك نسيب ودُه وولاؤه محقٌ اذا زُنّ القصي بأبطال
ومولاكم فيكم على ما شَرطتُم وان بان عنكم في عموم وأخوالِ (٣٢)

والابيات تؤكد ولاء مهيار لوالد الرضي وتحمل ايضا اعترافا بالفضل والرعاية ، اما علاقته بالمرتضى فقد جاءت في قصيدة احتوت استجداء وعتابا بتأخير الهدية التي وعد بها المرتضى مهيار(٣٣) •

ويظهر لنا ان التأكيد على وثوق صلة مهيار بالرضي لا يخلو من مبالغة اريد بها رفع شأن مهيار وقدره •

وعرف مهيار قبل اسلامه مشاركا للشيعة في عواطفهم برثاء اهل البيت ، واشتهر بسب الصحابة قبل اسلامه ، وقد وجد نفسه وهو يوطد علاقاته بأهالي درب رياح الشيعة الامامية انه يشارك هؤلاء الناس عواطفهم ، وهو كفارسي لابد ان يشارك الفرس في هواهم وحبهم للاسطورة ، وميل الفرس الى اراء العامة من الشيعة حقيقة لا سبيل الى دحضها رغم عروبة المذهب الشيعي في اصله وجذوره(٣٤) •

ولست اريد من هذا العرض الشك في صحة اسلام مهيار وتشيعه الا ان تحليل اتجاه مهيار للاسلام والتشيع ساهمت فيه عوامل عديدة غير فارسيته ، ويظهر انه شعر ان فتح الطريق امام اطماعه في ظل دولة سياسية تدين بالتشيع لن يكون الا بمجاراتها في مذهبها ، وكان هناك سبب مباشر ايضا هو توفير الحماية لنفسه لكي يتمكن من تحقيق اتجاهاته الشعوبية عن طريق شرعي مقبول كما سيظهر لنا من دراستنا لهذه الناحية في شعره • وكان اسلام مهيار سنة

---

(٣٢) ديوان مهيار طبعة دار ج ٣ ص ٢٦

(٣٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ١١-١٣ ، المن ما ينعم به - المنة القوة وكذلك الضعف ، النسيب : القريب ذو النسب •

(٣٤) الخوارج والشيعة في الهوزن ترجمة عبدالرحمن بدوي ص ٢٤٠ - ٢٤١

٣٩٤ للهجرة وتكاد مصادر التاريخ تتفق على تحديد هذا الزمن(٣٥) .

كان اعلان اسلامه بداية حملة واسعة في السب والشتم تناول فيها الصحابة ، وبدأ مهيار في قصائده هذه كامل الثقافة مطلعا على اصول المذهب الامامي وتاريخه كما اعلن حبّه لآل البيت وهو ما زال على مجوسيته .

وقد انكر اهل بغداد على مهيار مدحه ورثاءه آل البيت وهو عابد للنار ، ولكن هذا الانكار زاده اصرارا على موقفه وكتب قصيدة بعد اسلامه تدل على ثقافة مذهبية ناضجة وألمام تاريخي بقضايا الشيعة وموقفها من الخلافة وفيها يرد على اعدائه قائلا :

هذا لهم والقوم لا قومي هم   جنسا وُعقر ديارهم لا داريا
الا المحبةً فالكريُم بطبعِه   يجد الكرام الابعدين ادانيا

ويشير الى الذين انكروا عليه هذا المدح وهو المجوسي المتشيع في قوله :

هل يبلُغنّك يا أبا الحسن الذى   جُوزيتُ فيك وكان ضد جزائيا
من معشر لمّا مدحتك غِظتُهم   فتناوشوا عرضي وشانوا شانيا(٣٦)

وعندما اعلن مهيار اسلامه بشر وزيرا بويهيا بهذا الاسلام وافتخر بدينه الجديد لانه قربه لهذا الوزير وكتب هذه القصيدة الى الكافي الأوحد وزير بني بويه في الرى يقول :

تبدلت من ناركم ربَّها   وُخبثِ مواقدِها الخُلدَ طيبا
نصحتكُم لو وجدتُ المُصيخَ   وناديتكُم لوَ دعوت المجيبا

وفيها يستغل اسلامه كطريق لتوطيد علاقته بالوزير بعد ان جمعهما الاسلام فيقول :

---

(٣٥) المنتظم ج ص ٩٤ ، الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٤ ، المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٦٠ ، عيون التواريخ ج ١٣ ورقة ١٧١ ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٤٢

(٣٦) ديوان مهيار ط دار ج ٤ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢ وانظر قصيدة مهيار ج ٣ ص ٣٣٦و حـ ص ٢٥٩

فـــوف فقـد جعـل الدَين مـــا   تنفلّت في الجـود فرضـاً وجوبـا
وقـد كنت عبـــدا قصيـــا وجُدَت   فكيف وقد صِرتُ خِلاً نسيبا[٣٧]

والبيتان الاخيران يؤكدان سـوء حالـةح مهيار في ايام مجوسيته ، وكيف فتح الاسلامُ له الابواب الرزق والشهرة والتقرب من السلطان •

ومن الغرابة ان تذكر كتب التاريخ اسلام مهيار على يد الشـريف الرضي وان يُغفل مهيار ذكر هذا الفضل العظيم ، ويؤكد فضل الوزير الكافي الاوحـد في أخذه الى طريق الاسلام كما يبدو في قوله :

هو المنقذى من شِركِ قومي وباعثي   على الرشد ان اصفي هواي (محمدا)
وتاركُ بيتَ النـــار يبكي شَـراره   علي دما اذ صـار بيتـي مسجدا[٣٨]

وكان هذا الوزير الكافي الاوحد من أوائل الممدوحين الذين اتصل بهـم ووجد عندهم الرعاية والرزق ، وقد استغل مهيار اسلامه لتحقيق اغراضه الخاصة مع هذا الممدوح ، واعتبره طريقا لتوطيد العلاقة وتوثيقها ومع ذلك فاننا لانستطيع ان ندحض بشكل قاطع خبر اسلام مهيار على يد استاذه الشريف الرضي فليس من المستبعد ان يكون ذلك •

مهيار بعد اسلامه :

كان اعلان اسلام مهيار بداية تشديد حملة الشتم والسب عـلى الصحابـــة والعرب وقريش ، بعد ان توفرت له الحماية في ظل التشيع ، ووقف منه اهــل السنة موقفا شديدا ومثل لسان حالهم عبدالواحد بن علي بن اسحاق ابو القاسم بن برهان ، وقال لمهيار كلمته المشهورة : « يا مهيار لقد انتقلت بأسلامك في النار من

---

(٣٧) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٢ ـ ١٤
(٣٨) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٣٣

زاوية الى زاوية قال وكيف ذاك قال : لانك كنت مجوسيا فأسلمت فصرت تسب الصحابة[٣٩] ، وفي بعض كتب تاريخ الشيعة أن مهيار اجابه : لا أُسب الا من سبه الله ورسوله[٤٠] .

والواقع ان مهيار استطاع من خلال اسلامه ان يتعرض لرجال العرب وقبائلهم تحت ستار التشيع، ونفس عن احقاده وضغائنه في كره العرب والاساءة اليهم، وشتم قريش وشكك في اسلام الصحابة علانية[٤١] ، ولم يقتد باستاذه الرضي في عفة مراثيه لاهل البيت ، وظلت جذوره الفارسية ممتدة في أعماقه ، كما اعتبر اسلامه دخول الند للند ، فهو الرجل الشريف دخل الاسلام معتلقا بالشرفاء :

فان كنت من فارس فالشريف معتلقٌ ودُه بالشريف[٤٢]

ومهيار المتشيع السباب اعتبر هذا التشيع موقفا سياسيا مسايرا بذلك اسياده البويهيين ، فهو يشتم بني عقيل ـ وهم الشيعة الذين وصل بهم التطرف الى اعلان خلافة الخليفة الفاطمي في مصر ـ وسبب شتم مهيار لهم ان الدولة البويهية وقفت ضدهم وحاربهم الوزير فخر الملك[٤٣] ، وهو بعد ذلك ظل يذكر الخليفتين القادر والقائم بالخير ويلقبهما بالامامين في كل مدحة يقدمها لصديقه ووزير الخليفة محمد ابن ايوب ويعتبرهما خليفتي عدول ورشاد[٤٤] .

ويظهر لنا ان الاستنتاج الوحيد الذى نخرج به أن اسباب اسلام مهيار مباشرة وغير مباشرة قد تداخلت وطبعته بطابع بعيد عن صفاء النية والاقتناع .

---

(٣٩) المنتظم جـ ٨ ص ٩٨٤ ، وابن الأثير حوادث سنة ٤٢٨ ، والنجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٦

(٤٠) معالم العلماء ص ١٤٦

(٤١) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ١١٣

(٤٢) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٢ ص ٢٦٤

(٤٣) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٦٠ واشاد الرضي بامجاد آل عقيل جـ ٢ ص ٣٦٩ ، ٦٢٧ وغيرها في ديوانه ط بيروت

(٤٤) ديوان مهيار ط دار جـ ١ ص ٢٧ ، جـ ٣ ص ١٧٢ ، ٣١٦

صفاته واخلاقه :

مهيار حمل معه صفات جنسه الديلم في النحافة وخفة الشعر ويذكر لنا ابن الجوزى انه كان الحى وكانت هذه الصفة مجال سخرية شعراء عصره[٤٥] •

واعتبر مهيار نحوله من سوء الحظ ومصائب الدهر ونكباته ، واعتـاد ان يشير اليه في كثير من اغراضه في الغزل والمديح ، وفي احدى مدائحه للوزيـر الكافي الاوحد يقول مهيـار :

لولا حظـوظ في ذُراكَ سـمينةٌ ماجئتُ ملتحِفـاً بجسم هُزال

ومهيار يستر تحت ثيابه هزال جسمه :

واسـتر تحت اثوابـي هــزالاً اذا ابديتُــه شـُمتَ السـمينُ

وقد ادار مهيار موضوع هزاله كثيرا في شعره كما شكا من الشيب الذى دهمه مبكرا ، وكانت شكواه دائمة مرة حيث اصبحت جزءاً من مقدمة مهيـار لنسـيبه :

تَعَـدُّ سِـنيَّ تعجَبُ من وَقارى ولم يجتــز مِـراح العمر عَـدى
فمـا للشيب شـدّ عـلي ركضـا فطـوح بي ولم ابلُغْ أشُدى[٤٧]

ونستطيع ان نرى صورة مهيار رجلا طماعا احب المال وظل يشـكو الى ممدوحيه طالبا المزيد منه وان كانت هذه الشكوى مرض العصر البويهي • ومع ذلك فان مهيار صورة نادرة في عصره بما مثله من وفاء مع عائلة آل عبدالرحيم الفارسية الذين التزمهم في ايام سعدهم ونحسهم ولم ينس فضل رعايتهم وكان صادقا في قوله :

انـا ذلـك المـولى المقيـمُ عـلى صِدقِ الهوى وسلامة الصدرِ
محفوظـةٌ عنــدى ودائعُكــم في الودِ حِـفظَ نفائسِ الذُخـرِ

---

(٤٥) الأذكياء ـ ابن الجوزي ص ٨٣
(٤٦) ديوان مهيار ط دار ج ٤ ص ٢٩
(٤٧) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٦٠

خلّني الاقارب عنكم ويدي معصومة بكم الى الحشر
لا نبوة الدنيا تغيّرني عنكم ولا متغيّر الامر[٤٨]

ومهيار حين يحدثنا عن نفسيته يقول عن وفائه واخلاصه :

فطرت على طين الوفاء ودينه فنفسي اليه بالغريزة تنصبّ
فكم نائم عني وثير ومهاده وجنبي له عن لين مضجعه ينبو[٤٩]

ويحدثنا عن رقة عواطفه وقلبه فيقول :

خُلقتُ رقيقَ القلب صَعباً تقلبي اري لبعيد ما أرى لقريب
وما زلت اهوى كلّ شيءٍ ألفتُه وصاحَبْتُه حتى ألفتُ مشيبي[٥٠]

ومهيار لا يذكرنا لنا تأثير اعجميته عليه الا مرة واحدة في ديوانه الكبير ، وفي قصيدة مديح لابي سعد ابن عبدالرحيم حيث قال :

فأن جاءكم اعجمي اللسا ن فهي لسان له مُعرِب[٥١]

ولعل هذا البيت يفسر لنا عدم ميل مهيار الى انشاد شعره بشكل واسع في مجالس الوزراء وقيام محمد بن ايوب بأنشاد بعض قصائده[٥٢] .

ثقافته :

لم يذكر لنا مهيار عن اساتذته ودراسته ببغداد الا انه اشار الى ثقافته الادبية على يد الشريف الرضي في الشعر والادب ، ويبدو لنا مهيار انه على اطلاع على اصول المذهب الشيعي والدين ، ونلمح آثار هذه الثقافة الدينية في الفاظها التي يديرها مهيار في شعره من نوافل وفرائض وتقية ونسخ[٥٣] .

---

(٤٨) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٩٢
(٤٩) المصدر نفسه جـ ١ ص ٧٤١
(٥٠) ديوان مهيار طبع دار جـ ٢ ص ٢٢٢
(٥١) المصدر نفسه جـ ١ ص ٩٨
(٥٢) انشد مهيار من قصائده الكثير خمس عشرة قصيدة
(٥٣) ديوان مهيار ط دار جـ١ ص ١٧٧ ، جـ ٢ ص ٣٢ ، ٤٢ جـ ٣ ص ٨٤ ، ٢٨٢

وكانت ثقافة مهيار العربية في اطلاعه على اخبار العرب وأنسابهم وايامهم ، وقد ساعدته هذه الثقافة في مدائحه الطويلة التي قدمها لبني مزيد وعرض فيها تاريخاً وتفصيلا لايام هذه القبيلة في الجاهلية والاسلام مما يدل على اطلاع حسن في هذا الباب(٥٤) .

ولم يكن اهتمام مهيار جادا بفلسفة العصر في بغداد وبقيت ثقافته على سلامتها العربية مضافا اليها اطلاعه على تاريخ الشيعة ووجهة نظرهم في قضايا الخلافة ، وقد تزود مهيار بهذه الثقافة مع اهتمام واسع بما تؤمن به العامة من كرامات ومناقب تنسب لآل البيت ، وقد مزج في قصيدته الشيعية بين العرض التاريخي وتكرار المناقب والكرامات التي يتداولها الشيعة في مجالسهم ، وكان حب مهيار للاسطورة بحكم حسه الايراني سببا للاهتمام بهذه المناقب التي انتشرت لدى العامة .

وليس من المستبعد ان يمده مجلس الشيخ المفيد الكائن في درب رياح بأصول الحجة والبرهان وهو يتابع اسلوب المناقشة والجدل في قضايا الخلافة والامامة ، وقد اكد مهيار حضوره هذه المجالس :

أن كان حظي من وصالِك قبلَها ... حظَّ المُغِبّ ونُهزةَ المتقلّل
فلاعطينّك من ودادي ميتا ... جُهدَ المُنيب ورجعةَ المتنصل(٥٥)

ورغم ان مهيار يذكر لنا انه لم يلازم الشيخ المفيد دائما ، فوصفه لمجلسه والنقاش الذى يدور فيه يدل على اهتمام كبير في هذا الاتجاه .

الواقع ان مهيار يمثل شكلا جديدا للثقافة العربية التقليدية المبتلاة بروح العصر البويهي وفكره وتقاليده .

---

(٥٤) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٩٠ ، جـ ٢ ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، جـ ٤ ص ١٣٥ ، ٣٤٣

(٥٥) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٣ ص ١٠٨
المغب : يزور يوما وينقطع يوما
المنيب : التائب
تنصّل : تبرّأ

مهيار ومجتمع بغداد الادبي :

لم يحدثنا مهيار في ديوانه عن علاقاته الادبية واصدقائه ومجالسه ويبدو انه كان ضنينا في الحديث عن نفسه وعلاقاته وشؤونه ، الا اننا نستطيع ان نجد لمحات عابرة عن هذه العلاقات الادبية في شعر مهيار وفي بعض كتب التاريخ •

وقد اتينا على علاقته بالشريف الرضي ، واعترف مهيار بفضل استاذه وتلمذته له ، اما الوزير الكاتب محمد بن ايوب فقد اعتاد مهيار ان يذكر علاقته بهذا الوزير الاديب كما يبدو في قوله مادحا له :

كنتُ اخا فلم تزل تسبقُني ... باللطفَ حتى خلتني حبيبا[٥٦]

واشار الى هذه الاخوة قبل ان يأخذ ابن ايوب مكانه في دار الخلافة :

انت كما كنت أخا مُخالِلاً ... بحيثُ قد زِدتَ فصرت١ سيدا[٥٧]

وتؤكد مقدمات الديوان هذه العلاقة الوطيدة في اشارتها الى انشاد ابن ايوب لاحدى قصائد الشاعر في حضرة الوزير الرخجي[٥٨] •

ويحدثنا مهيار عن علاقته بشعراء عصره فيقول عن ابن نباته في مرثيته له:

واخ سبيلي في الحياة سبيلُه ... مُلقىً الي وما اليه سبيلُ

أحشو عيونا بالتراب يروعني ... بالامس منها الأنمد المكحول

ويقول فيها :

وتشوقني آثارُ دارك ان ارى ... منها مغاني الفضل وهي طلولُ[٥٩]

وقد اشار ابن الجوزي في حديث عابر عن علاقة مهيار بالشاعر المطرّز والشاعر ابي الحسن الجهرمي وسخرية الجهرمي من الشاعرين ثم تخوفه من مهيار[٦٠] •

---

(٥٦) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ٣٤
(٥٧) المصدر نفسه ج١ ص ٣٣٩
(٥٨) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨٢
(٥٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٥٧
(٦٠) الأذكياء ـ ابن الجوزي ص ٨٣ وما بعدها

ويبقى خبر الخطيب البغدادي عن تلامذة مهيار ومجلسه يحيطه الغموض ولو انه يؤكد منزلة مهيار الشعرية وأعجاب الناس به[٦١] •

ويبدو لنا ان مهيار لم يكن نجما لامعا في مجالس بغداد رغم شيوع هذه المجالس وانتشارها ، ولعله اثر السلامة في حياته وتوحده كما يقول -خوف- الاذى والتبذل[٦٢] •

حياته في مرحلتين

من خلال الغموض الذى احاط بحياة مهيار نستطيع ان نحدد مرحلتين مرتا في حياة الشاعر : كانت المرحلة الاولى : في بداية كتابته الشعر وأثناء امتهانه الكتابة ، واستمرت بعد اسلامه ، وفي هذه الفترة حاول مهيار ان يجد مكانه بين شعراء العصر ، وتمثل هذه المرحلة فترة جدب وقلة انتاج ، يضاف اليها طابع الشكوى من الفقر والزمان وخمول الذكر ، وكانت علاقته فيها محددة بالشريف الرضي والوزير البويهي الكافي الاوحد وابنه وعميد اسرة آل عبدالرحيم وبعض الرؤساء من الكتاب الذين حاول بواسطتهم ولوج ابواب الوزراء والسلاطين[٦٣] •

وقد ذكرنا سابقا مجوسية مهيار ، وسببها في ضعة منزلته ، يضاف الى ذلك وجود شعراء فحول اكتملت مواهبهم ، وتفتحت لهم ابواب الشهرة والمجد وعلى رأس هؤلاء الشريف الرضي وابن نُباته السعدى •

وينطلق مهيار من خلال الالم الذى يعتصر قلبه والفجيعة بفقدان استاذه الرضي ليعلن بدء المرحلة الثانية من حياته ، وانفراده بالمجد الشعرى ، وكانت هذه السنة « ٤٠٥-٤٠٦ للهجرة » بداية المرحلة الجديدة :

غادرتني فيهم بما ابغضتُه ادعو البَيوعَ الى مَتاعٍ مُكْسَدِ

(٦١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٧٦
(٦٢) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ١٩٧
(٦٣) قصائد مهيار في ديوانه ج ٤ ص ٢٨ و ٣٢

اشكو انفراد الواحد السارى بلا أُنسٍ وان احــــرزت سبقَ الاوحد(٦٤)

وعندما ابدى مهيار تفجعه على ضيعة الشعر وذهاب فحوله بموت الرضي وابن نباته اكد من جديد انفراده بالمجد الشعرى :

أنطقُ منــي بالفصاحةِ يُحتبى ... وامدحُ ان لُفّتْ عليـه المجامعُ
ابى الله والفضلُ الذى انت حاكم ... به لي لو قاضى اليــك منـــازع
وماالشعرُ الا النشرُ بعداً وصورةً ... فلو شاء لم يُطمِع يداً فيه رافـعُ
وقد افَلَ النجمان منه فلا يُضَعْ ... ـعلى غيرِ سيرـ ثالثٌ فيـه طالـع
بقِيتُ لكموحدى وان قال مَعشَرُ ... ففيالقول ماتَنهاك عنه المسامع(٦٥)

ومهيار بعد هذا التاريخ اصبحت قصيدته مطلب الامراء والوزراء ، وتحسنت ظروفه وايامه ، وفتحت له ابواب المجد والشهرة ، كما قويت اتصالاته بالعائلـــة الفارسية آل عبدالرحيم ، ونما هذا الاتصال عندما كـان عميدهم الصــاحب بـن عبدالرحيم يتولى قيادة الجيوش في واسط ، ويشير مهيار الى هذه العلاقة المبكرة في قولـــه :

وكيفتَروني قاعـداً عن فريضةٍ ... قيامي بهــا حــقٌ لكم ووجــوبُ
وفيكم نما غُصني وطالتْ أراكتي ... وغُودِرِ عيشيالرثُوهو قشيب(٦٦)

وفي قصيدة اخرى اكد مهيار على هذه العلاقة المبكــرة في قالـه يمــدح الصاحب ابن عبدالرحيم :

بك اعتزلت حُوشيّةٌ من تَصعُبـي ... وراخيت مــن إنسي فأصبح ســارحا
صَحبتُكَ لميَمسحْ عِذاريسوادُه ... وها انا قد غطىسوادى المســائحا(٦٧)

---

(٦٤) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٢٥٢
(٦٥) ديوان مهيار ط دار ج ٢ ص ١٩٦ ، يحتبى ـ يصطفى حطّ من منزلتــه أوضع ووضع كوضع خسر أوضع خسر : والبعير اسرع ، السيع : أنس : أحس بالقرب من بعد ٠
(٦٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٦٣ ٠
(٦٧) المصدر نفسه ج ١ ص ١٩٨ ٠
داخي : ابعد ونفس ، الانس : انسان العين ، شعر جانبي الرأس مسائح ومسيحه : الفضة ٠

وقد اشار مهيار الى فضل عميد عائلة آل عبدالرحيم في قوله ايضا :

وكنت انت ناشلي ورافعي — من خفضة الحال الى العز الأشم
وغارسي من قبل ان تمسني — يد وساقي غصني قبل الديم[٦٨]

وتوطدت علاقة مهيار بصديق من الكتاب الكبار كان ثقة الخليفتين القادر والقائم ووزيرهما فيما بعد ، وهو عميد الرؤوساء محمد بن ايوب ، ويكاد يكون هذا شريك عائلة آل عبدالرحيم في المدائح الكثيرة التي كتبها مهيار فيه ، وكانت صداقته لهذا الكاتب الوزير صداقة وطيدة فيها طابع الاخوة والاخلاص ، كما تولى ابن ايوب انشاد بعض قصائد مهيار في حضرة الوزراء اول الامر[٦٩] .

واصبح مهيار شاعر العصر ينتظر الوزراء والرؤساء قصائده ، ويسألونه ان يتحفهم بها وهو ينتظر الهبات والصلات ، وتبدلت الشكوى والتفجع من سوء الحال الى شكوى من الحساد والوشاة .

ويظهر ان الشعر في هذه الفترة كان مورد رزق مهيار الوحيد بعد ان اصبحت قصيدته جريدة العصر ، فالامير دُبيس بن علي بن مزيد يوسط الكتاب من اجل قصيدة يجود بها مهيار[٧٠] ، وأخوه المفرّج ينتظر القصيدة فيجود مهيار عليه بعد ان طال السؤال[٧١] ، وقصيدة مهيار في نظر صاحبها غادة جميلة لا يقدمها الشاعر الا لصاحب المهر الغالي ، والملوك يطلبونها ويذوبون شوقا وغراما بها :

ودّ الملوكَ نازحا ودانيا — فقَرهْ جَدّ بها او هَزَلا
كأنني حكمّتُ في قلوبهم — من لفظه الحلوِ العيونَ النُجلا[٧٢]

---

(٦٨) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٥٢ .
(٦٩) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ٣٨٢
(٧٠) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٨٦
(٧١) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٠٥ سنة ٤١٩ للهجرة
(٧٢) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٠٦

وعندما كتب مهيار قصيدته للامير المزيدى المفرج بن علي بن مزيد ذكره بأنـــه هو الذى طلبها وقال :

اتاني من الأنباء أنْــكُ مُغـَرَمُ ✽ بفضلِ مديحي عـارفٌ بتوحدي
حبيبٌ اليكَ ان تُزفَ عرائسي ✽ عليك تَـهادى بين شـادٍ ومنشـد
فقلت كريمٌ هزّه طيبُ اصلـِه ✽ وواحدُ قومٍ شاقَـهُ مدحُ اوحد[٧٣]

وكان الامير البويهي الوحيد الذى اتصل به مهيار هو جلال الدولة الذى بدأ حكمه ببغداد سنة ٤١٨ للهجرة وخطب له فيها[٧٤] ، وقدم مهيار له خـيرة مدائحه مشيدا بمجد آل بويه والنسب الفارسي العريق •

وقد عظمت منزلة مهيار في هذه الفترة ، وهي اخريات حياته وكثر الوشاة والحساد ، وعندما وشي به عند السلطان البويهي جلال الدولة بتهمة الاستيلاء على بعض الاموال قبض عليه جلال الدولة ، واعتقل اعتقالاً مميزا يليق بمنزلة الشاعر الكبير ، وعندما انكشفت براءته بالغ الامير في الانعام عليه وأنشد مهيار قصيـدة بهذه المناسبة سنة ٤٢٣ هـ قال فيها :

حُبست ولكن كان حبساً مشرّفـا ✽ انـاف بذكرى واعتقـالا مجمّـلا
ولم ار مثلـي مُسـتضافا مكرّمـا ✽ ولا كاسباً للعـز من حيثُ ذلّلا[٧٥]

ومهيار بعد ان اصبح شاعر العصر البويهي الاوحد اصبح له مجلس فـي جامع المنصور ببغداد ، يجتمع حولـه الطـلاب والمعجبـون بشـعره يسـمعون ديوانه عليه[٧٦] •

---

(٧٣) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٨٠
(٧٤) الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٣٢٩
(٧٥) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ١٩٨ واشار الى الحادثة المتنظم جـ ٨ ص ٩٤
(٧٦) تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٢٧٦

وبقي مهيار شاعر العصر الى ان توفاه الله في ليلة الاحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ٤٢٨ هـ مخلفا ديوانا ضخما يشمل على اكثر من عشرين الف بيت •

وتكاد تكون الاخبار منقطعة بوفاة مهيار ما عدا الخبر الذى يرويه الباخرزى في دميته وفي ترجمة خاطفة عن الحسن بن مهيار نسب فيها اليه احدى قصائد مهيار الشهيرة(٧٧) ، ويبقى هذا الخبر متداولا بين كتب الشيعة التاريخية الحديثة •

ومهيار في شعره يؤكد انه تزوج متأخرا وأشار الى هذا في قصيدة ارسلها مع غلامه الى ممدوحه ناصر الدولة ابي القاسم بن مُكَرم سة ٤٢٤ هـ :

ولم استزدْ نُعماك الا ضرورةً ... وقد تَستزادُ المُزنُ وهي دوالحُ
بما ثقّلت ظهرى الخطوبُ وضاعفتْ ... تكاليفَ عيشي والتحتني الجوائح
وما بتَّ من زُغْبٍ حَوالَيَّ كالقَطا ... تنزي الشرارِ أعجلتها المقادح
امسّحِ منهم كل عِطفٍ أسِفتُ اذْ ... اتاني وقدُ بيّضن مني المسائح
نجوتُ على عَصرِ الشبيبةِ منهم ... وارهقني المِقدارُ اذْ انا قارح(٧٨)

ويبدو ان مهيار في الستين من عمره ، واطفاله ما زالوا صغارا ، وليس لدينا اى خبر عن مهيار واولاده سوى هذا الخبر الذى يحمل في طياته الشك مما يجعل اخبار مهيار منقطعة عائليا بوفاته سنة ٤٢٨ للهجرة(٧٩) •

---

(٧٧) دمية القصر ٧٧
(٧٨) ديوان مهيار ط دار جـ ١ ص ٢٢٤
(٧٩) تكاد تتفق كتب التراجم والتاريخ في تحديد سنة وفاته ـ تاريخ بغداد ـ جـ ١٣ ص ٢٧٦ ، والمنتظم جـ ٨ ص ٩٤ ونقلت باقي المصادر عن هذين المصدرين

القسم الثاني

شعر مهيار وفنونه

الفصل الاول

ديوانه

كتب ابو الحسن مهيار بن مرزويه شعرا كثيرا ، وخلف ديواناً ضخمـا يضعه في مقدمة الشعراء الذين انتجوا شعرا وافرا ، وحفل الديوان بمقدمات وايضاحات تاريخية عن اكثر القصائد .

وهذه المقدمات التاريخية وعلاقتها بالقصيدة ليست من عمل النساخ ، فهي معلومات خاصة بالشاعر وما يتعلق بقصيدته ، مما يدعونا الى قبول الافتراض بان مهيار قد كتب ديوانه او ان ديوانه انتشر بعلمه وفي حياته .

وقد شهد منتصف القرن الرابع للهجرة شعراء يساهمون في تصنيف الدواوين وجمعها ، ويذكر لنا ابن النديم : ان الخالديّن ابا بكر وابا عثمان عملا شعر الخباز البلدى بثلمائة ورقة[١] ، وعمل ابو عثمان الخالدى شعره وشعر اخيه قبل موته ، وصنف لعدد من الشعراء المحدثين[٢] .

ويظهر ان اعتناء الشاعر بشعره وجمعه لم يكن لحفظه من الضياع فحسب، بل كان نشاطا شعريا وثمرة من ثمرات التلمذة والقراءة ، فالشاعر ابو الطيب المتنبي قام بترتيب ديوانه وأملى على من قرأ الديوان شرحا لغريبه وتفسيرا لبعض معانيه .

وقد نقل المرحوم عبدالوهاب عزام ما يؤيد هذا الرأى في قول الشيخ ابي الحسن علي بن احمد الواحدى قال : « هذا آخر ما اشتمل عليه ديوان ابي الطيب الذى رتبه بنفسه »[٣] .

وجاء في مقدمة نسخة دار الكتب المصرية قول راوى الكتاب « وجميع ما فيه من تفسير معنى وشرح غريب واختلاف لغة فهو من املائه عند القراءة عليه »[٤].

---

(١) الفهرست ـ ابن النديم المطبعة الرحمانية مصر ٣٤٨ هـ ص ٢٤٠

(٢) المصدر نفسه ص ٢٤١

(٣) ذكرى ابي الطيب بعد الف عام ـ عبدالوهاب عزام ط الجزيرة بغداد ـ ١٩٣٦ م نقلا عن نسخة الديوان المخطوطة بدار الكتب رقم ١٥٤٢ ادب

(٤) ذكرى أب الطيب ص ١٨ نقلا عن نسخة دار الكتب المخطوطة

وقد قام ابو فراس الحمداني بترتيب ديوان شعره بنفسه قبل موته بقليل[٥] ، وهذا دليل اخر على انتشار هذا النشاط الشعرى بشكل واسع في القرن الرابع للهجرة .

ولم يكن هذا النشاط وقفا على الشعراء الكبار الذين ذاعت شهرتهم وعرفوا اعلاما في دنيا الشعر ، وانما كان نشاطا عاما ومظهرا واسعا . وقد ذكر لنا الخطيب البغدادى : ان الشاعر نصر بن احمد ابا القاسم البصرى المعروف بالخبرارزى « نزل ببغداد واقام فيها دهرا طويلا ، وقرأَ عليه ديوانه[٦] وقد قرأ الخطيب البغدادي نفسه اكثر شعر الشاعر عبدالواحد بن محمد بن يحيى بن ايوب المعروف بالمطّرز المتوفى سنة ٤٣٩ للهجرة[٧] .

وكان استاذ مهيار الشريف الرضي من الشعراء الذين اهتموا بكتابة دواوينهم وقد اعتنى بشعره وكتبه بخطه ، ويذكر لنا اخوه الشريف المرتضى هذا الخبر عنه : « ولما تصفحت شعره رضي الله عنه لاخراج ما يتعلق بالطيف في هذا الوقت وهو سنة نيف وعشرين واربعمائة وجدت هذه الابيات ملحقة بخطه رحمه الله في الجزء الثاني من شعره في حاشية فنقلتها عنه كما وجب لانها بخطه الذى لا أشك فيه »[٨] .

وفي هذا النص اشارة واضحة الى ان ديوان الشريف الرضي كتب بخط ناظمه ، وان المرتضى اقتنع بصحة الابيات لانهما بخط صاحبها مما يدل على تمام الديوان في حياة صاحبه .

وقد طُلب ديوان الشريف الرضي في وقت مبكر ، وارسل الصاحب بن

---

(٥) تاريخ الادب العربي بروكلمان ـ دار المعارف ٩٦١ نقل عبدالحليم النجار جـ ٢ ص ٩٢

(٦) تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٢٩٦

(٧) المصدر نفسه جـ ١١ ١٦

(٨) طيف الخيال ـ الشريف المرتضى ـ تحقيق صلاح خالص ط دار المعرفة بغداد ٩٥٧ م ص ٧٣

من يستنسخ لـه شعر الشريف الرضي ، كما طلبته بنت سيف الدولة وهي بمصر وأشار الشريف الرضي الى هذا الطلب في ديوانه[٩] ، ولعل وجود نسخ كثيرة من ديوان الرضي يفسر لنا قول الناسخ في النسخ المطبوعة واشاراته الى النسخ القديمة من الديوان •

أما الشريف المرتضى فلم يكن قليل الاهتمام بديوانه ، ولدينا دليل عــلى جمعه ديوانه في حياته ، فهو يقول في احد كتبه : « وهذا ما انتزعته من ديوان شعري في الشيب »[١٠] ، وهو يؤكد تمام ديوانه واحتفاظه بنسخة من هــذا الديــوان •

نستخلص من هذا العرض الموجز للنشاط الادبي ان قيام الشاعر بجمــع ديوانه وكتابته اصبح امرا مألوفا ، وان انتشار نسخ الديوان يفسر ما يحدث فيها من زيادة ونقصان •

ولم يكن مهيار بعيدا عن هذا النشاط الشعرى في كتابة الشعر وجمعه وعقد المجالس للطلاب والمعجبين ، وقد ذكر لنا البغدادى في تاريخه مجلس مهيار في جامع المنصور وقال : « وكنت اراه يحضر جامع المنصور في ايام الجمعات ويقرأ عليه ديوان شعره فلم يقدر لي ان اسمع منه شيئا » [١١] •

وخبر الخطيب البغدادى يؤكد لنا ان مهيار كان له طلاب ومعجبون فــي اوائل القرن الخامس للهجرة، وليس هناك شك في أنّ هؤلاء الطلاب كانوا يملكون نسخا من ديوان مهيار وهم يتابعون قراءة شعره عليه •

ولم تذكر لنا كتب التاريخ والتراجم اخبارا عن تلامذة مهيار وأسمائهم ، وعن مدى اعتنائهم بشعره ، وبقي ذكر الديوان متداولا في هــذه المصادر تصف اجــزاءه وضخامته •

---

(٩) ديوان الرضي مجلد ١ ص ٢٨٥ مقدمة القصيدة
(١٠) الشهاب في الشيب والشباب ـ المرتضى ط الجوائب سنة ١٣٠٢ هـ ص ٥٢
(١١) تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٢٧٦
(١٢) دمية القصر ص ٧٦

ونجد اول ذكر لديوان مهيار بعد وفاته في دمية القصر لابي الحسن الباخرزى في قوله : « ووجدت في ديوان شعره بائية في غاية الابداع .. »[١٢] ويذكر لنا ايضا قصيدة مهيار الحائية التي مطلعها :

من عذيري يوم شرقيّ الحمى   من هوى جدّ بقلبٍ مَزحَا

ونسب هذه القصيدة الى ابنه الذى سماه الحسن بن مهيار ، ولم يضف شيئا الى شعر ابنه او أية معلومات عن شعره وحياته واخباره ، ويبدو ان هناك اكثر من نسخة متداولة من كتاب الدمية ، وقد نقل اليافعي في مرآة الجنان من دمية القصر وقال « وقال صاحب الدمية ومن شعره اى من شعر مهيار .

مُلَحاً على البخل الشحيح بماله افلا يكون بماء وجهك ابخلا[١٣]

والبيت غير موجود في النسخة المطبوعة من دمية القصر مما يجعلنا نشك في سلامة المطبوع من دمية القصر ، وقد اشار ابن خلكان الى الخطأ الذى وقع فيه الباخرزى في نسبة قصيدة مهيار لابنه كونها من قصائد مهيار الشهيرة[١٤] .

ولم تذكر كتب التراجم والتاريخ خبرا عن ابن مهيار وعلاقته بأبيه وشعره وديوانه ، والذى نستطيع ان نؤكده ان ابن مهيار اذا صحت شاعريته ـ لم يكن مسؤولا عن ديوان ابيه بعد موته فمهيار يؤكد ان أبناءه في سنة ٤٢٤ للهجرة ما زالوا صغارا وأنه تزوج في وقت متأخر[١٥] .

ويبدو ان اخبار مهيار وديوان مهيار لفهما الغموض بعد وفاة الشاعر وبقيت هذه الاخبار تتداول خبر ديوانه مشيرة الى عدد اجزائه ، وليس لدينا تعليل رئيس لهذا الاهمال الذى اصاب الديوان وصاحبه ، الا اننا نستطيع ان نرجع

---

(١٣) مرآة الجنان جـ ٣ ص ٤٧ هكذا ورد البيت
(١٤) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٤٤٤
(١٥) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ٢٢٤

يُلحى على البخل الضنين بماله
أفلا تكون بمـاء وجهك أبخلا
جـ ٣ ص ١٣٨ .

اسباب هذا الخمول الى عوامل مذهبية وسياسية وفنية تقليدية ، علما ان مهيار لم يكن الشاعر الوحيد الذى بقي ديوانه مجهولا بعد موته ولفترة طويلة ، فديوان الرضي اصابه ما أصاب ديوان تلميذه وظهرت نسخه في القرن السابع للهجرة[١٦] .

واشار بعض مؤرخي الشيعة المحدثين الى ان خمول ذكر مهيار كان محاولة مقصودة للقضاء على امجاده[١٧] ، والتعليل ليس مرفوضا فامتلاء ديوان مهيار بالشتائم والسب للصحابة ساهم في بقاء ديوانه بعيدا عن متناول الايدى ، وقد سبقه السيد الحميرى في هذه الحالة ، وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب الصحابة فتحومي شعره في هذا الجنس وغيره لذلك[١٨] .

ومهيار بعد ذلك شاعر البويهيين والمشيد بأمجادهم وأمجاد وزرائهم الفرس، وكان منتظرا ان تنقطع اخباره وأخبار ديوانه في عهد السلجوقيين ، والا ينتشر هذا الديوان الكبير في نهاية النصف الاول من القرن الخامس للهجرة ، وبقيت شهرته في حدود المقدمات النسبية التي قلدت بشكل واسع .

اما الاسباب الفنية فهي مرتبطة بكتب النقد الادبي وتقاليده والتزاماته وقد حرم مهيار من ان يذكر في يتيمة الدهر التي ضمت نماذج لمختلف الشعراء والكتاب من عصر بني بويه ، وكان تأليف اليتيمة سنة ٣٨٤ للهجرة سببا مقبولا لعدم ذكر مهيار الذى لم يعرف في هذه الفترة له مكانته ببغداد .

وصاحب اليتيمة نظر في كتابه مرة اخرى ونقح وعدل[١٩] ولم يسعف الحظ مهيار هذه المرة ، وانتشرت يتيمة الدهر مرة اخرى سنة ٤٠٥ للهجرة واعتمد عليها ابو اسحاق الحصرى القيرواني الذى انتهى من كتابه في هذه السنة

---

(١٦) الشريف الرضي ـ دراسة احسان عباس ص ٦٥
(١٧) الغدير ـ عبدالحسين الأميني طهران ١٣٧٢ هـ جـ ٤ ٢٣٩
(١٨) الأغاني ـ أبو الفرج الاصفهاني طبعة ساسي جـ ٧ ص ٢
(١٩) يتيمة الدهر جـ ١ المقدمة ص ٤ـ٦

ونقل اخباراً واشعارا منها لاهل فارس والعراق[٢٠] •

وكان للتقاليد الادبية اثر في خمول ذكر الشعراء وانتشاره ، وكذلك اثر التعصب المذهبي في هذا الامر ، فصاحب زهر الآداب يذكر الشريف الرضي مرة واحدة في كتابه الكبير ، وكان ذكره اثناء حديثه عن مجلس شراب اقيم عنده[٢١] ، اما اثر التقاليد الادبية فيبدو في كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) الذى اعتمد المتنبي حدا فاصلا للشعراء الذين استشهد بهم في امثلته لفنون الشعر وأساليبه ، ولم يرد ذكر الشريف وابن نباته السعدى ومهيار رغم أن المؤلف عاش في القرن الخامس للهجرة •

ونستطيع ان نلمح الميل المذهبي في اهتمام ابن سنان الخفاجي بشعر مهيار والشريف وكثرة الاستشهاد به في كتابه ، وقد ذكر عن مهيار ما يدل على قراءته ديوانه قراءة ناقد ومدقق[٢٢] •

والواقع اننا يجب الا تندفع في اثر التيارات المذهبية بشكل واسع وكبير وما يؤدى هذا التأثير من خمول ذكر الشاعر او شيوع ذكره وأخبار ديوانه ، فتاريخ الفترة التي عاشها مهيار ما زال الغموض يلفها لعدم وجود مصادر اساسية لمؤرخيها المعاصرين ، ومع ذلك فقد تحدثت كتب التاريخ والتراجم التى كتبت في القرن السابع والثامن للهجرة عن ديوان مهيار وأشارت الى اجزائه وكراريسه وضخامته وشهرته[٢٣] ، الا انها لم تتحدث عن جمعه وكتابته •

والمؤرخ الوحيد الذى تحدث عن اختيار ديوان مهيار والاهتمام بـه هو صلاح الدين الصفدى في قوله : « وقد اختار ديوانه ابن الصيرفي وهو اختيار جيد الى الغاية وأظنه كان يحفظه »[٢٤] واعاد تأكيد الخبر في ترجمة لابـن

---

(٢٠) زهر الآداب ــ ابو اسحاق الحصري القيرواني ــ تحقيق علي البجاوي ــ ط دار احياء الكتب المصرية قاهرة سنة ٩٥٣ م جـ ١ هامش ٢٦ ، ١٢٧

(٢١) زهر الآداب جـ ١ ص ٤٤٩

(٢٢) سر الفصاحة ص ١١٩ ، ٢٣١ ، ٢٥٢

(٢٣) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٤٤٤ ، عيون التواريخ جـ ١٣ ورقة ١٦٧ ، سير اعلام النبلاء جـ ١١ ورقة ١٠٣ امرآة الجنان جـ ٣ص ٤٧

(٢٤) الوافي بالوفيات الصفدي جـ ٢٦ ورقة ١٢١

الصيرفي وقال عنه : «احد كتاب المصريين وبلغائهم» وذكر وفاته بعد سنة خمسين وخمسمائة للهجرة وذكر كتبه ومصنفاته وقال « وقد اختار ديوان مهيار اختيارا جيدا ، واختار شعر ابي العلاء وديوان ابن السراج وغير ذلك »[٢٥] .

وقد ترجم صاحب معجم الادباء لعلي بن منجب بن سليمان الصيرفي واشار الى اختياراته لدواوين الشعراء ، وذكر اختياره لديوان ابن السراج وشعر ابي لعلاء وغيرهما ولم يذكر اختياره لشعر مهيار[٢٦] ، ويبدو ان هذه الاختيارات قد فقدت ولم تذكر في عداد مؤلفات ابن الصيرفي فيما بعد[٢٧] .

ومن الصعوبة ان نفترض علاقة النسخة الشمسية التي اعتمدها ناشر الديوان عن دار الكتب بالمصنف ابن الصيرفي الذى عرف بأختياره ديوان مهيار ، وان كنا لا نرفض قيام ابن الصيرفي بهذا الاختيار وهو في ظل الوزير طلائع بن رُزَيْك الذى عرف بتشيعه للامامية مخالفا مذهب العلويين المصريين[٢٨] .

طبعات الديوان

ليس لدينا طبعة كاملة من ديوان مهيار غير الطبعة التي قام بتحقيقها ونشرها السيد احمد نسيم ، ونشرت بين سنة ٩٢٥-٩٣٠ م عن دار الكتب المصرية باربعة اجزاء اعتمد فيها المحقق على نسخة شمسية بدار الكتب تحت رقم (٤٢٣٩) وخطها كما يقول المحقق من اوائل القرن السابع للهجرة ، وقد صورّت على نسخة « الوزير ابي العباس احمد بن الوزير ابي عبدالله محمد عرف بكوبريلي[٢٩] .

وقد استعان المحقق بنسخة خطية ظفر بها اثناء عمله ، وقد كتب عليها « انه

---

(٢٥) الوافي بالوفيات -مخطوطة مصورة - مكتبة الجامعة المركزية ببغداد ج ١٢ القسم الثاني - غير مرقمة
(٢٦) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٧٩ ، ٨١
(٢٧) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون - اسماعيل باشا البغدادي طبعة المعارف الجليلة - استنبول سنة ٩٤٥ - ٩٤٧ م - ج ١ ص ٧٣ - ٨٥ ، ج ٢ ص ١٢٤ ، ٢٦٥
(٢٨) الكامل في التاريخ : ج ٩ ص ٧٥ ، ٧٦
(٢٩) ديوان مهيار طبعة دار الكتب ج ٤ ص ١٢٠٦

تم استنساخها في سنة الف وثلاثمائة وست هجرية »[٣٠] ، ولم يشر المحقق الى اختلاف بين النسختين في عدد القصائد وترتيبها ، واعتبر الخلاف الوحيد في الالفاظ التي اصابها التحريف والتصحيف •

وقد راجع المحقق خلال نشره للديوان طبعة من مختارات مهيار نشرت في الاستانة سنة ١٣٠٦ هـ ولم يعول عليها لكونها مشحونة بالاخطاء كما يقول المحقق •

ويظهر أن المحقق لم يطلع على طبعتين من الديوان شكلت الجزء الاول منه ، وقد صدرت الطبعة الاولى ببيروت سنة ١٣١٤ للهجرة بعنوان « ديوان مهيار الديلمي » وضمت القوافي من الهمزة الى حرف الدال ، وبلغت عدد صفحاتها (٢٥٢) صفحة وكتب في نهايتها « تم الجزء الاول من ديوان مهيار ويليه الجزء الثاني اوله حرف الراء » ولكن الجزء الثاني لم يطبع •

وطبعة بيروت المجزء الاول من الديوان لا تشير الى النسخ المعتمدة ، ولم تخضع للتحقيق الا انها كما ظهر لي من المقارنة مع طبعة « دار الكتب انها تتفق معها في تسلسل القصائد ومقدماتها وعدد ابياتها ، ويبقى الفرق الوحيد في الالفاظ المصحفة والمحرفة التي تصرف بها المحقق احمد نسيم وبقيت على حالها في طبعة بيروت •

ومن الامثلة على التصحيف ما جاء في طبعة بيروت :

لئن درست منها الخطوط فانه   لَيبقى طويلا عَرفُها في المساحب[٣٠]

وقد صححه المحقق في طبعة دار الكتب على الشكل الآتي :

لئن درست منها الخطوط فانه   ليبقى طويلا عرفها في المساحب[٣١]

---

(٣٠) المصدر نفسه ج ٤ المقدمة
(٣١) ديوان مهيار « طبعة بيروت » ج ١ ص ٤٥
(٣٢) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ٥٦

والوجه الذى جاء به المحقق نسيم لاشك في صحته فالشاعر في ابياته السابقة لهذا البيت يصف البردة التى كسا الله بها عطف الدهر ولفظة الحظوظ لا تتلاءم مع الكساء في المعنى وسياق البيت .

ويبدو ان طبعة بيروت اعتمدت على نسخة مشابهة لطبعة دار الكتب ، وبقيت الالفاظ المصحفة والمحرفة على حالتها لقلة اعتناء الناشر واعتماده على النقل، او بسبب تجاوز السيد احمد نسيم في التلاعب ببعض الالفاظ التي تحتمل التصحيف وتغليب الوجه الذى يلائم ذوقه .

وقد جاء في احدى قصائد مهيار قوله لاحد ممدوحيه :

تَسَرْبَلْ بأثواب الوزارة انها لك انتضحت اردانها وجيوبها[32]

وقد تصرف السيد نسيم في كلمة انتضحت رغم ملاءمتها وصحفها الى (انتصحت) رغم سلامة اللفظة الموجودة وملاءمة معناها ، ويبدو ان ذوق السيد احمد نسيم لم يكن دائما على صواب في نظره للالفاظ التي يغلب عليها التصحيف والتحريف وقد نظر في قول مهيار يمدح وزيرا فارسيا :

بني عبدالرحيم بكم تعالت يدى وورى على الظلماء زَندي
وان اودى « بنيسابور قومي » فجدكم من الاملاك جدى[34]

وجاء البيت الثاني في طبعة بيروت وطبعة بغداد :

وان اودى « بنو سابور » قومي فجدكم من الاملاك جدى[35]

وما جاء في الرواية الثانية اصح واكثر ملاءمة فمهيار اراد ملوك الفرس ولم يرد مدينة بعينها ، ومما يؤيد هذا الرأى ما جاء في هامش الصفحة من طبعة دار الكتب بأنها في الاصل « بنو سابور » وان المحقق هو الذى غيرها اجتهادا .

---

(٣٣) ديوان مهيار طبعة بيروت ص ٣٨ وطبعة بغداد جـ ١ ص ٣٩
وانتصحت : خيطت وانتضحت تطيبت

(٣٤) ديوان طبعة دار الكتب جـ ١ ص ٢٦٢

(٣٥) ديوان مهيار طبعة بيروت جـ ١ ص ١٩٢ وطبعة جـ ١ ص ٢٢٤

وليس معنى ذلك ان المحقق السيد احمد نسيم قد تصرف بالديوان وحور وغير ، فالالفاظ التي وقعت تحت طائلة الاجتهاد محدودة لا تشكل خطراً على سلامة الديوان وجهود المحقق لا تنكر في كثير من اجتهاداته المصيبة .

اما الطبعة الثانية من الديوان فقد تم طبعها بعنوان (ديوان مهيار الديلمي الجزء الاول) وقام بشرحه السيد عبدالمطلب الشاعر الحلي الكبير سنة ١٣٣٢ للهجرة وضمَّ القوافي من الهمزة الى الراء وعدد صفحاته ٣٢٣ صفحة وكتب على صفحته الاخيرة « تم بعون الله طبع الجزء الاول من ديوان مهيار ويليه الجزء الثاني وأوله قافية الراء » ولكن الجزء الثاني من الديوان لم يصدر وكان سبب ذلك كما اخبرني كاتب مقدمته الشيخ محمد رضا الشبيبي ـ هو صدور طبعة دار الكتب وانتفاء الحاجة الى اكمال طبعة بغداد[٣٦] .

وقد قارنت النسخة المطبوعة ببغداد على الديوان الكامل وظهر لي ان القصائد متفقة في مقدماتها وتسلسلها مع تقديم وتأخير حدث لبعضها وقد وضعت في طبعة بغداد تواريخ لبعض القصائد غير المؤرخة التي جاءت في طبعة (دار الكتب) .

اما الاختلافات الاساسية بين الطبعتين فهي :

اولا ـ عدم وجود القصيدة الغزلية التي مطلعها :

تنبهي يا عذبات الرند　　　كم ذا الكرى هب نسيم نجد

وعدد ابياتها كما وردت في طبعة بغداد ستة عشر بيتا ، والقصيدة ليست لمهيار وانما هي للشاعر نجم الدين بن المعلم الهرثي الواسطي في مدح الامير هندي الكردي ، وفيها اشارة الى اسمه وقال عنها الاصبهاني انها نالت استحسان الناس لرقتها[٣٧] .

---

(٣٦) كتب المرحوم الشيخ الشبيبي مقدمة لديوان مهيار المطبوع ببغداد بتوقيع مستعار هو اسم « ابن الأعرابي » ، وقد قابلته شخصيا واجابني شخصيا عن سبب توقف طبع الديوان هو عدم علمه بنسخه الخطية المعتمدة .

(٣٧) خريدة القصر القسم العراقي ج ١ ص ٣٧٢ ، والقصيدة لا توجد في طبعة ـ بيروت من ديوان مهيار ، واشار الدكتور مصطفى جواد الى هذه القصيدة مؤكدا نسبتها الى ابن المعلم في « المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ » ج٢ هامش ص ٣١٧

ثانيا ـ القصيدة الثانية الموجودة في طبعة بغداد في مدح ناصر الدولة ومطلعها :

اناخ عليّ الهمُ من كل جانبِ بياضُ عذارى في سواد المطالب[٣٨]

والقصيدة كما يبدو في مدح الامير الحمداني ناصر الدولة وفيها اشادة بأمجاد تغلب ، ونسبتها الى مهيار امر غير مقبول تاريخيا فناصر الدولة توفي في اوائل النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة ومهيار لم يعرف العراق وبغداد بعد .

ثالثا ـ في احدى قصائد مهيار الشيعية التي مطلعها :

بكى النارَ سَتْراً على المَوقِدِ وغار يغالط في المُنجِدِ

وقد جاءت القصيدة في الديوان طبعة دار الكتب تسعة واربعين بيتا وفيها الابيات التي تعرض فيها الشاعر لابي بكر وعمر ، وقد حذفت هذه الابيات من طبعتي بغداد وبيروت والابيات المحذوفة منسجمة مع القصيدة ولعل الناشر تعمد حذفها[٣٩] .

رابعا ـ وفي القصيدة التي مدح بها مهيار ابا الحسن بن جابر جاءت ابياتها خمسة وثلاثين ومائة بيت في طبعة دار الكتب ، وفي مقدمتها « وكتب بها في النيروز الى ابي الحسن بن جابر ... » ومطلعها :

جمّ لها الوادي وعزّ الذائد وطاب ما حدّث عنها الرائد[٤٠]

اما في طبعة بغداد فنجد القصيدة مكررة مرتين : في المرة الاولى جاءت وعدد ابياتها (خمسة وسبعون بيتا) ووضعت لها مقدمة مطابقة لمقدمة الديوان

---

(٣٨) ديوان مهيار طبعة بغداد ص ٨٥ ـ ٨٧

(٣٩) ديوان مهيار طبعة دار ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠ ، وطبعة بيروت ص ٢١٩ ـ ٢٢١ وطبعة بغداد ص ٣٨٨

(٤٠) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٨ وطبعة بيروت جـ ١ ص ٢١٥ ـ ٢١٩ وجم الوادي كثر بيته

طبعة دار الكتب ، وقد اعيدت مرة ثانية بمطلعها وأكثر ابياتها في مدح كافي الكفاة محمد بن علي بن الطيب •

وقد مزجت القصيدتان في طبعة دار الكتب واعتبرت القصيدة الطويلة في مدح ابي الحسن بن جابر ، ولكن القصيدة تبقى محل تساؤل وشك ، لان مهيار اعترف بتقديم هذه القصيدة للمدوحين وجاء هذا في مقدمة احدى قصائده في قوله « ولما انتهت هذه القصيدة التي اولها جمّ لها الوادى الى كافي الكفات قال : ما تصورت ان مهيار يدعونا الى فضله ، وعرف بعض ابياتها انها من قصيدة مدح بها الرئيس ابا الحسن بن جابر المتقدمة فعتب من اجل ذلك عتبا اتصل بهجره الى صفر سنة ٤٢٨ فحضر عنده مهيار واعتذر اليه وأنشده هذه القصيدة » :

سائل الدار ان سألت خبيرا واستجر بالدموع تدعُ مجيرا(٤١)

والقصيدة هذه مثبتة في طبعة دار الكتب بمقدمة تقول « وقال يمدح ابا الفضل محمد بن علي بن الطيب » وفيها اعتذار عن العمل الذى قام به مهيار واستعار قصيدة قديمة مدح بها الوزير وفيها يقول معتذرا •

الظن وربما كان اثما كنتَ لو قد عصيتُه مأجورا
لم تُدنس عِرضاً ولم تؤت بالذنبِ اعتمادا فيه ولا تقصيرا
لم تكن صُدّقتْ بأول مدح ضاق وقت عن مُلكِه فاستعيرا
هو شعرى وفيك قيل ابتداءً جاء او كان راجعا مكرورا(٤٢)

ويبدو ان اكثر من نسخة من ديوان مهيار قد انتشرت وتوالى النسخ عليها، وبقيت هذه القصيدة والحادثة في بعضها وادمجت القصيدتان في نسخ اخرى اما بقية الديوان فتكاد تتفق النسخ المطبوعة في القصائد والمقدمات والتسلسل ووضع المقطوعات •

---

(٤١) ديوان مهيار طبعة بغداد جـ ١ ص ٢٩٥

(٤٢) ديوان مهيار طبعة دار الكتب جـ ٢ ص ١١٦ وطبعة بغداد جـ ١ ص ٢٩٥

النسخ المخطوطة :

١ ـ مخطوطة كتب عليها « ديوان مهيار الديلمي » في مكتبة الآثار ببغداد تحت رقم (٥٣٨) وقد كتب عليها ايضاً انها « من كتب محمد السمادى » وعدد اوراقها المكتوبة (٢٥٦) ورقة وتركت ورقتان بيضاوان في اخرها ، وقد كتب على الورقة الاخيرة « تم سنة ١٣٠٤ هـ » •

وتضم هذه النسخة (١٧٦) قصيدة و (١٢) مقطوعة وهي ما تساوى نصف الديوان المطبوع بأجزائه الاربعة ، وقد ضمت جميع القوافي التي نظم فيهار مهيار من الالف الى الياء ، وجاء قسم من القصائد ناقصة وتركت ابيات كثيرة ناقصة ايضا بصدرها او بعجزها •

٢ ـ مخطوطة ثانية غير مرقمة في مكتبة الآثار ببغداد وقد كتب عليها « ديوان المهيار » وهي رديئة الخط ممزقة الاوراق شطب على كثير من الابيات، ويبدو ان اكثر من ناسخ ساهم في نسخها كما يظهر من الخط ، وهي قريبة من نسخة السماوى في تسلسل القصائد ونواقصها •

٣ ـ مخطوطة ثالثة موجودة في مكتبة الآثار ببغداد تحت رقم (٣٤٨) وقد كتب عليها « الجزء الثاني من ديوان الشاعر المفلق الشهير والكاتب البليغ النحرير ابي الحسن مهيار بن مرزويه المتوفى سة ٤٢٨ واوله قافية الراء » والنسخة مرقمة بالصفحات وعدد صفحاتها (٣٣٧) وكتب في آخرها « تمت المقابلة على خمس نسخ في صحن الحسين عليه السلام في كربلاء وأشير الى ان (هذه المخطوطة هي الجزء الثاني من ديوان مهيار الذى طبع ببغداد ، الا ان هذا الجزء المخطوط لا يضم قصائد الديوان كلها ، وقد افتقدت القصائد التي جاءت على قافية الطاء ، وضمت قافية العين (١٤) قصيدة وهي في ديوان مهيار طبعة دار الكتب (٢١) قصيدة ، اما القصائد المذهبية فنجدها كاملة في المخطوط ومطابقة لما جاء في طبعة دار الكتب عدا الالفاظ التي خضعت للتصحيف والتحريف •

ويبدو ان المجلس الذى عقد في صحن الحسين (ع) لمقارنة نسخ ديوان

مهيار ادى الى اجتهادات كثيرة ابداها اصحاب النسخ وتلاعبت اذواقهم في تغيير بعض الفاظ القصائد ، نستطيع ان نلمس تأثير هذه الاجتهادات وتأثير الذوق فيها في قول مهيار المذكور في الجزء الثاني من المخطوط :

هل بعد مفترق الاحباب مجتمع — أم هل زمان بهم قد فاتُ يُرتَجعُ
تحملوا يسع البيداءِ ركبهُم — ويحمل القلب فيهم فوق ما يسع
شاكين للبين احشاء وأفئدةً — مفجعين به امثال ما فجعوا[٤٣]

ونجدها في الديوان طبعة دار الكتب كما يلي :

هل بعد مفترقِ الاظعان مجتَمعُ — ام هل زمان بهم قد فات يُرتجَعُ
تحمّلوا تسع البيداءُ ركبهَم — ويحمل القلب فيهم فوق ما يسع
شاكين للبين اجفانا وأفئدة — مفجَّعين بها امثال ما فُجعِوا[٤٤]

وبقيت الاختلافات في حدود الالفاظ التي تتعرض للتصحيف والتحريف وعدد ابيات هذه القصيدة متفق مع الديوان المطبوع في دار الكتب تماما ، ويصدق هذا الرأى ايضا على قصائد مهيار في مجال التشيع وقصائده الشعوبية حيث لم اجد أى اختلاف بين النسخة المخطوطة والديوان المطبوع ومع ذلك تبقى المخطوطات محدودة الفائدة لعدم معرفة اصول المخطوط المعتمد وتاريخه ٠

والديوان المطبوع في دار الكتب بأجزائه الاربعة هو الطبعة الوحيدة في تمامها وسلامتها ، وكل ما تقدمه هذه النسخ المخطوطة والمطبوعة هو سلامة شعر مهيار في نسبته اليه واتفاقها مع المطبوع في روايته ، كما انها تساعدنا في تدقيق نصوص الديوان عند اعادة النظر فيه ٠

والحقيقة ليس هناك ما يدعو الى الشك في سلامة الديوان المطبوع وقد ظهر من مقارنة المقدمات التاريخية بكتب التاريخ والتراجم سلامة هذه المقدمات وصحتها ، ولم تختلف النصوص الشعرية التي رويت لمهيار في كتب الادب

(٤٣) ديوان مهيار (خ) جـ ٢ ص ٧٠
(٤٤) ديوان مهيار طبعة دار الكتب جـ ٢ ص ١٨١

والتراجم والتاريخ مع الديوان الا في الالفاظ القليلة النادرة التي اصابها التحريف والتصحيف .

ولولا كثرة تصرف السيد المحقق احمد نسيم وتحكيم ذوقه في اكثر هذه الالفاظ رغم صحتها احيانا لجاء الديوان اكثر صحة وسلامة ، الا ان هذا لا يقلل من الجهود الكبيرة التي بذلها الناشر المحقق في هذا الديوان الكبير .

* * *

مهيار من الشعراء الذين عرفوا بوفرة الانتاج وكثرته ، وديوانه بأجزائه الاربعة يضم اكثر من عشرين الف بيت ، وهو انتاج ضخم يضع الشاعر مع زملائه الذين عرفوا بوفرة الانتاج وقيل انهم اكثر الناس انتاجا امثال السيد الحميري وبشار بن برد وأبي العتاهية(٤٥) .

وهذا الشعر الوفير الذى خلفه مهيار وضع اغلبه في المديح والاستجداء ، وكانت حصة المديح اكثر من ثلاثمائة قصيدة من مجموع اربعمائه قصيدة ضمها الديوان وقد شملت القصائد الباقية اغراض الاخوانيات التي تدخل في باب المديح وقصائد الرثاء وبعضها قيل في المديح ايضا وقصائد التشيع والشعوبية ، والمقطوعات المتناثرة التي جاء اكثرها على سبيل الاحاجي والالغاز .

ويبقى غرض المديح اهم غرض عالجه مهيار وتفنن به وأعاد وكرر حتى انتهى بقصيدة المديح الى مجموعة من التقاليد والقوالب المحدودة ، وهو في توزيع قصائده على هذه الاغراض اعتبر المديح غرضه الاساس وطريقا للكسب والعيش ، وقد حدد مهيار لنفسه منهجا شعريا لزمه وسار عليه وأعلنه في شعره :

والشعر صنه فالشعر يحتسب الله اذا لم يُصَن على الشاعر
لا نمتهنه في كل سوقٍ فقد تربحُ حينا وبيعُك الخاسر

(٤٥) الأغاني ـ طبعة ساسي جـ ٧ ص ٢ جـ ٣ ص ٢٤

انظر الى من وفي مـــدائح مـــن   انت ـ وقد بات نائمـاً ـ ســـاهر
اختَتْـــر ولـــودا للفهـــم منجبـــة   فأكثـــر الفهـــم مُحمـــق" عاقـــر
غالي بــه واستم المهـــور الثقيلات   وصاهـــر اكفائهـــا صاهـــر

وقصيدة مهيار بعد ذلك :

اما لفخـــر يصـــدّق النسب الحـــر   ويحيـــي ذكـــر الاب الداثـــر
ام لاخ يشـــفع الـــوداد بمـــا   يرضيـــه منـــه بالفـــذ والنـــادر
او ملكٍ رحُتَ منـــه في نِعَـــمٍ   انت لهـا لا محالـة" شـاكر(٤٦)

وقد وفى مهيار وصدق في منهجه فقصيدته لها ثمن ينتظره ، ويطالب بـه وهو يساوم بالبيع ويطالب بأغلى الاسعار ، وقد قضى عمره مادحا متكسبا جعل من الشعر مهنة وصنعة كما اشاد بأمجاده مفتخرا بفارسيته ، وقدم اخوانياته لاصدقائه ومحبيه ، وسنجد في مديحه الى اين سار الشاعر المادح بقصيدة المديح ، وكيف اصبحت هذه القصيدة على يديه قصيدة مناسبة وتقاليد افتقدت الحدث الخطـير وطور اخوانياته الى مديح تخصص بأمور تافهة صغيرة لا تستحق الاهتمام ٠

الفصل الثاني

مديح مهيار

المديح في الشعر العربي :

عرف الشعر العربي في نشأته حرا من القيود صادقا في عواطفه واحاسيسه لم يتقيد الا بسلطان القبيلة ومفاخرها ، واستطاع الشاعر العربي في العصر الجاهلي ان يعبر عن فرديته ومشاعره الشخصية بصدق وامانة .

وكان التكسب بالشعر بداية لخضوع الشاعر لرغبات الممدوح والتقيد بما يريد ويرغب فيه ، وكان النابغة الذبياني رائدا في هذا الطريق في مدحه للملوك وقبول الصلة على الشعر ، وقد عرف بأنه « قبل الصلة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر : .. فسقطت منزلته »(1) وكان الاعشى اكثر الشعراء متاجرة بالشعر مدح به ملوك العرب والعجم وأجزل له العطاء ، وكانت العرب تعتبره مع النابغة من اوائل الذين سألوا بشعرهم وطلبوا الجائزة(2) .

وقد لاحظ بعض المستشرقين في شعر المديح تكرار القالب في وقت مبكر ، وحددوا بدء ظهوره في قصيدة المديح الاموية ، وكان بروكلمان ممثلا لهذا الرأى في نفيه طابع الاصالة عن القصيدة العربية في العصر الاموى ، الا انه عاد واكد نجاح هذه القصيدة في تصوير شؤون السياسة ومنازعات القبائل ومظاهر العصبية(3) .

والواقع أن قصيدة المديح في العصر الاموى ارتبطت برغبات السلطان في الاشادة بالشجاعة والكرم الفياض والسيرة العادلة ونشر الامان والقضاء على اللصوص ، وبقيت تحمل المعاني العالية في اثبات حق الخلافة وشرعيتها والانتصار لها في موقفها من المتمردين والخارجين عليها .

الا ان شعر المديح ظل يمثل تقاليد « ارستقراطية » في بحثه عن الرجال العظام والابطال و « كانت الشعراء ترى الاخذ ممن دون الملوك عارا فضلا عن

---

(1) العمدة في الشعر جـ ١ ص ٨٠

(2) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٨١

(3) تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان جـ ١ ص ١٨٧ ـ ١٨٨

العامة واطراف الناس » ويشير مروان بن ابي حفصة الى هذا الرأى في قوله :

ولقد حُبيتُ بألف ألفٍ لم تكن   الا بــكف خليفـة ووزيــــر
ما زلت آنف ان أؤلّفَ مدحــة   الا لصاحب مِنبَـر وسريـر[٤]

وتفتقد هذه الروح والحمية والأباء في العصر العباسي ، فأبـو عبـادة البحترى شاعر القرن الثالث المداح مثل تطورا جديدا لقصيدة المديح فهو يمدح الملوك والوزراء والكتاب ، ويمدح عمال الطساسيج ، ويكتب القصائد في طلب غلام او زق خمر او استسقاء نبيذ من احد الرجال الاعاجم الذين عرفوا بهذه الصنعـة •

ورغم بخل البحتري وحبّه للمال فهو ما زال يشعر بضرورة المحافظة على رفعة قصيدة المديح ، ويتمزق قلبه الما عندما يمدح اصحاب الولايـات الصغـار الذين لا تتناسب منزلتهم ورفعة القصيدة وجلال شأنها[٥] •

وقد شهد القرن الرابع للهجرة ابتذالا للقصيدة العربية في مديحها وفي ذلة السؤال وكثرة الاستجداء وبدأت كتب النقد تحدد اساليب مدح الملـوك والوزراء واصحاب الصناعات والكتاب ، وصنفت القصائد حسب منزلة الممدوح وصنعته[٦] •

وكان مهيار بعد ذلك مسؤولا عن نهاية قصيدة المديح في نهاية القــرن الرابع للهجرة وأوائل القرن الخامس في قيمها وتقاليدها وشكلها الفني ، وتميزت هذه القصيدة بملامح خاصة نستطيع ان نحددها بما يلي :

اولا ــ اصبحت القصيدة المدحية في شعر مهيار بضاعة تعرض للبيع وينتظر ثمنها ، وهي مصدر رزق للشاعر المحترف الذى تحول الشعر على يديه مـن موهبة ومشاعر الى حرفه من الحرف التي يزاولها الناس •

(٤) العمدة جـ ١ ص ٨٦
(٥) ديوان البحتري ــ طبعة بيروت سنة ١٩١١ جـ ٢ ص ٥٢١
(٦) نقد الشعر ــ قدامة بن جعفر ص ٩١

ثانيا ــ انتهت قصيدة المديح المرتبطة بالاحداث الخطيرة ، وتحولت الى قصائد مراسيم ومناسبة تقدم في التهاني بالنيروز والمهرجان والاعياد الاسلامية او بأضافة لقب فخم جديد لوزير او قائد او تهنئة بخلعه او عقد نكاح •

ثالثاً ــ كان الشاعر العربي يضع تقاليد المديح محاولا تحقيق رغبات الممدوح وقد اصبحت القصيدة في مديح مهيار تحدد مواضيعها وتوصف الحادثة التافهة او الهدية الثمينة لكي يستطيع الشاعر وصفها في قصيدته الطويلة فالشاعر يسأل وعليه ان يجيب(٧) •

رابعا ــ انتهت القصيدة ذات الرنين القوي التي تنال الاعجاب ساعة انشادها ، وهي تصف انتصارا حربيا عظيما او حدثا جليلا ، واصبحت هذه القصيدة منظومة تكتب ولا تنشد وترسل الى الممدوحين ، وليس غريبا ان نجد في ديوان مهيار ظاهرة ارسال القصائد والانصراف عن الانشاد •

ممدوحو مهيار :

من الاطالة ان نقدم تاريخيا شخصيا لكل الممدوحين الذين اتصل بهم مهيار من امراء ووزراء وولاة وكتاب ، الا اننا نستطيع ان نصنف هؤلاء الى مجموعات لأن مهيار حدد منهجا خاصا في المديح لكل مجموعة من هذه المجموعات يتناسب وتاريخهم ومذاهبهم واصولهم العربية او الفارسية •

والمجموعة الاولى تضم الكتاب والولاة امثال ابي الحسن الهُماني متولي البصرة(٨) ، واحمد بن روح النهرواني الناظر في العيار بديار الضرب(٩) ، وابي الحسن محمد بن علي بن المزرّع الذي عرف بعلاقته ببني مزيد ، ومحمد بن ايوب الكاتب في دار الخلافة ثم وزير الخليفة القائم ثم القادر بعد سنة ٤٢٢ للهجرة(١٠) •

---

(٧) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ١٠٢ ، ١٦١ ، ٢٨٦ ، ٤١١ ، جـ ٢ ص ٥٦

(٨) الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ٢٩٩

(٩) المنتظم جـ ٨ ص ١٥٨

(١٠) الوافي بالوفيات جـ ٢ ص ٢٣٤

ومدائحه لهذه المجموعة لها ملامحها الاخوانية وطابع الصداقة والتكليف بأيصال قصائده الى حضرة الوزراء والقادة ، وقد عرف مهيار بفطنته اثر هؤلاء الكتاب في رعاية قصائده والحصول على اثمانها ، وقد تولى بعضهم مهمة الوساطة بين الشاعر والممدوحين ، والاتفاق على الثمن ، وقد عتب مهيار على احد الرؤساء لانه طلب منه مدح بني اسد ثم انكروا عليه الثمن فنهض ابو الحسن بين المزارع بالحق(١١) .

والمجموعة الثانية تضم وزراء بني بويه على مختلف اصولهم ، واذا استثنينا عائلة آل عبدالرحيم والكافي الاوحد فأن علاقة مهيار بالوزراء الباقين لم تقم على الوفاء والحب والاعجاب وانما قامت على النفاق السياسي والكسب ، فهو يمدح الوزير سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة بقصيدتين ، وتنتهي علاقته بهذا الوزير بعد وفاة بهاء الدولة سنة ٤٠٣ للهجرة ، ويبقى الوزير حيا الى سنة ٤١٦ للهجرة كما تقول كتب التاريخ(١٢) ، الا ان مهيار لم يجدد علاقته بهذا الرجل بعد انصرافه عن الحكم .

وممدوحه فخر الملك الذى اشاد بأمجاده وتوسل الى الكتاب بأيصال قصائده الى حضرته لم تهزه فاجعة قتله على يد سلطان الدولة سنة ٤٠٦ للهجرة(١٣) ، ولم تترك الحادثة اثرا في نفس الشاعر الذى اشاد بأمجاد الوزير وشجاعته ومناقبه في ايام عزه وسلطانه ، وليس غريبا بعد ذلك الا يمدح مهيار الشريف المرتضى الا بقصيدة يتيمة يغلب عليها طابع الابتذال والسؤال عن تأخير حاجة طلبها منه(١٤) ، بينما مدح نقيب العلويين الشريف الزكي ابا علي السابسي بقصائد عديدة انتظر فيها الهبات الواسعة والصلات التي لم تنقطع .

والمجموعة الثالثة من الممدوحين هم آل مزيد وأمراء العائلة ، وبنو مزيد

---

(١١) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٤ ص ١٠١
(١٢) الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ٣٢٤
(١٣) المصدر نفسه جـ ٧ ص ـ من الغرابة الا يمدح مهيار استاذه الرضي .
(١٤) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٣ ص ١١

هؤلاء من بني اسد وقد ذكرت سابقا عن تشيعهم وكانت محلاتهم من بغداد الى البصرة ولهم النعمانية ، وتمتد عشائرهم الى خوزستان[١٥] ، واول امير اتصل به مهيار من هؤلاء هو علي بن مزيد ، وانتقل بعد ذلك الى ابنائه واعمامه وبقيت علاقة مهيار مع هذه العائلة قائمة على المساومة والمزايدة على الثمن ، وقد ذاق مهيار منهم الامرين ، فهم يطلبون القصائد وينكثون العهود ويتسلمون الشعر ويمتنعون عن دفع الثمن ، وقد اضطر مهيار على تهديدهم بالهجاء اكثر من مرة[١٦] .

وقد كتبت اكثر مدائح مهيار لعائلة آل عبدالرحيم الفارسية مبتدئا بعميدهم الصاحب بن عبدالرحيم نقيب النقباء على جيوش الاتراك ومن بعده ابناؤه ابو سعد وأبو الحسن وكمال الملك ، وشاركهم عميد الرؤساء ابو طالب محمد بن ايوب .

اما الامير البويهي الوحيد الذى اتصل به مهيار فهو جلال الدولة الذى تولى امر بغداد بعد سنة ٤١٦ للهجرة[١٧] ، ولم يوفق الشاعر في الوصول الى دار الخلافة طيلة حياته ، وبقيت اشاراته الى عدل الامامين القائم والقادر مكررة في مدائحه لوزيرهم محمد بن ايوب ، الا ان الابواب بقيت مغلقة بوجهه ، ولم تسنح له الفرصة في مدح الخلفاء ، ولعل مهيار لم يكلف نفسه عناء الوصول الى دار الخلافة التي اصبحت اسما بلا سلطان .

وقد تبع هذا التصنيف لمدوحي مهيار تصنيف فني لقصائده في شكلها ومحتواها ملائمة للمدوحين ومنازلهم وأصولهم العربية الفارسية ، وكان الشاعر موفقا في تقديم التقاليد والقوالب الفنية المناسبة لمدوحيه .

---

(١٥) تاريخ ابن خلدون ـ طبعة بيروت مجلد ٤ ص ٩٠ ـ ٩١
(١٦) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ١٦٦ ، جـ ٢ ص ٢٢
(١٧) المنتظم جـ ٨ ص ٢١

قصيدة المديح وتطورها :

ارخت اقدم قصيدة مديح لمهيار لسنة ٣٩٣ للمهجرة ، وهي قصيدة قصيرة يغلب عليها الطابع الاخواني ، وقد كتبها الشاعر معاتبا صديقه الكاتب هلال بن المحسن الصابي ، والقصيدة لا تعطي صورة كاملة الملامح لمديح مهيار في مرحلته الاولى وتدخل في باب العتاب بين صديقين(١٨) .

ولكننا نستطيع ان نطمئن تاريخيا الى مجموعة من قصائد المديح كتبها مهيار في وقت مبكر من حياته الشعرية ، وهي القصائد التي مدح بها الوزير احمد الضبي الملقب بالكافي الاوحد وابنه سعداً ، وقد توفي الكافي الاوحد سنة ٣٩٨ للهجرة او ٣٩٩ هـ وتوفي بعده ابنه سعد وكانت المدة بينهما قصيرة جدا(١٩) .

ولدينا ايضا قصيدتان في مدح الوزير سابور ابن اردشير في ايام وزارته، وابعد تاريخ لهاتين القصيدتين وفاة بهاء الدولة سنة ٤٠٣ للهجرة ، وسابور استوزر آخر مرة في حياة هذا الامير البويهي ، ولمهيار ايضا قصيدة مؤرخة بسنة ٤٠٠ للهجرة في مدح الوزير فخر الملك بمناسبة فتحه لقلعة « سابور خواست » الواقعة بين شيراز واصبهان وقد تم فتحها في هذه السنة(٢٠) .

ومهيار في قصائده الاولى لم يحدد لها بعد القالب الفني الملتزم الذى سار عليه في مرحلة نضجه ، وقد تميزت مقدمة القصيدة النسيبية بقصرها وجمعها بين التقاليد الحضرية والبدوية ، الا ان مهيار لا يكثر من الاشارة الى مواضع البادية والحنين اليها بالشكل الذى نراه واضحا في قصائد المديح في مرحلة النضج وتبدو لنا هذه الصورة في قصيدته التي مدح بها الكافي الاوحد وجاء في مقدمتها :

على اى لائمةٍ اربَعُ — وفي أيما سلوة اطمعُ
وقد أُخِذَ العهدُ يومالرحيل — امامي والعهدُ مستَوْدَعُ

---

(١٨) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ٩ وقد ارخت في طبعة بغداد لسنة ٣٨٧ هـ
(١٩) المنتظم جـ ٧ ص ٢٤٠ ، ومعجم الأدباء جـ ٢ ص ١٢٢
(٢٠) الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ٢٤٨ حوادث سنة ٤٠٠

فقصرك يا خادعي من وفائي ... لؤمتَ اعن كرمي أُخدعُ
لامر اخوك غدا صامتا ... على انه الخاطب المِصقع
سقى الغيث بغداد اما سقى ... لذكرتها جَدّ بي المدمع
وحيا بها قمرا ما استقر بعد فراقي به مطلع[21]

ومهيار لم يترك بغداد وقمر بغداد وهو ما زال كثير الشوق اليها لم يتعود بعد حنين البادية ومواضعها ولم يرصع قصيدته بكثرة الاماكن الحجازية والتنقل بها ، ونجد في قصيدة اخرى مثالا للجو الحضرى البغدادى وقد كتب بها الى الوزير سابور يقول :

لاية لِبسةٍ خلع الخَلاعة ... وكان عصى العذولَ فلم اطاعه
تلثم كالغمامة اعجبتُه ... فشام خلالها برقا فراعه
وغالى في ابتياع صباً شرته الليالي منه مرتخصا فباعه
قليلا ما حملتَ عليه ودا ... قليلا مذ احبكَ ما اضاعه
نزلنا « في بني ساسان دورا ... بها تُسلي بيوتك في «قضاعه»[22]

والقصيدة بجوها الحضرى تضم كثيرا من الالفاظ التي تجمع بين النثرية والابتذال ، وكأن الجو البدوى في قصيدة مهيار هو الذى يرفع من منزلتها الفنية ، وعندما تفتقد هذا الجو تقع القصيدة في مهاوى النثرية والابتذال •

وقد حاول مهيار في مقدماته النسيبة الاولى ان يعرض لنماذج الغزل العربي مقلدا اساليبها الفنية ، وكان واضح التقليد في سلوكه هذا المنهج ، وقد مدح ابا القاسم سعد بن الكافي الاوحد بقصيدة وضع لها مقدمة نسيبية فيها تقليد لاسلوب عمر بن ابي ربيعة في المحاورة الغزلية وقد قال مهيار :

بلغت صبراً فقالت ما الخبرْ ... قلت قلب سيم ذلاً فنفر
لا تعودى في هوى ظالمةً ... ربما عاد بحِلم فانتصرْ

(٢١) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٢ ص ١٧٩ ـ واربع : اعطف
(٢٢) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٧٧

وفيها يعرض مهيار لاسلوب المحاورة الغزلية فيقول :

قال : حياتي فقالت : نائما طرفه ؟ قال : نعم قالت : غدر
يا هوى حسناء ما شئت لها من فوادى غيرَ ذلٍ وخَوْر[٢٣]

ومهيار لم يستطع تقليد هذا الاسلوب الغزلي ولم يقدم الصورة الحية للمحاورة ، وقد افتقدت صورته الشعرية الاحساس الصادق والحرارة والجو الشعرى .

وقد سار مهيار في تقليده هذا وعرض الصور الحضرية في قصائده الاولى ، ونجد ذلك في قصيدة كتبها لابي القاسم بن مما في عهد بهاء الدولة وقد وضع لها الشاعر مقدمة في وصف الخمر استعار فيها الصورة النواسية المعروفة في كأس الخمر وصورها ونقشها ويصف معها العود مقدمة لوصف الخمرة[٢٤] .

وكان الشريف الرضي النموذج الفني المقلَّد الذى اختاره مهيار مبكرا وبقي وفيا لاسلوبه في مرحلته الشعرية ويكاد يكون التقليد اكثر وضوحا في قصائده الاولى ، ونجد صورة الاقتباس في قول مهيار :

عجِلتَ بحطك فيها الرحالا أثرها امنتُ عليك الكلالا[٢٤]
وقدها محدبة كالقسِي من الضال تسبي الفيافي نضالا

وهي مقدمة استنهاضية اقتبسها مهيار من قول استاذه الرضي في قوله :

أثرْها على ما بها من لَغَبْ يقلقل اغراضها والحَقَبْ
ولا ترقب اليوم ميْطَ الأذى عن اخفافها واندمال الجُلب
الى ان تعجعجها كالحني تجترّ بالدم لا بالعشب[٢٦]

(٢٣) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ٣٥٥
(٢٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧
(٢٥) ديوان مهيار طبعة دار ج ٣ ص ٣٨
(٢٦) ديوان الشريف الرضي طبعة القاهرة ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالعميد ج ١ ص ٢٨٨ . الغرض كالحزام للسرج والحقب : الحزام يلي حقو البعير أو حبل يشد به الرجل في بطنه .

ومهيار واضح الاقتباس في قوله هذا وقد غير القافية الا انه ابقى البحر المتقارب الذى ضم صورة الرضي واسلوبه •

وبدأ مهيار يميل الى الحجاز وأماكنهالا انه لم يكثرمن ذِكْر المواضع بشكل واسع ، ولم يحدد بعد اسماء حبيباته البدويات الكثيرات ، ونجد هذا اللون البدوى في قصيدته التي مدح بها الكافي الاوحد وفي مقدمتها يقول :

اجيراننا « بالغور » والركب مُتهِم — ايعلم خالٍ كيف بات المتيم
رحلتم وعمر الليل فينا وفيكم — سواء وفيكم ساهرون ونوم
بنا انتم من نائمين وخلفّوا — قلوبا ابت ان تعرفَ الصبرَ عنهم
يقون الوجوه الشمسَ والشمسُ فيهم — ويسترشدون النجمَ والنجمُ منهم
اناشد « نعمان الأخابير » عنهم — كفى خُبرةً مستفصحٌ وهو اعجم[٢٧]

وتنتهي المقدمة النسيبية هذه بأشارتين الى الغور ونعمان الاخابير وهي صورة نادرة تفتقد في قصائد مهيار الناضجة حيث أولع بأغراق مقدمته بعدد وفير من هذه المواضع •

ولم يستطع مهيار في قصائده الاولى ان يخفي ملامح النثرية في قصيدة المديح بعد ان افتقُدتْ النسيبية التي قدر لها ان ترفع القصيدة عن مهاوى السقوط بما تحمل من موحيات فنية وتاريخية لها لونها الديني ، وقد كثرت في قصائده الجمل الاعتراضية الدعائية والالفاظ النثرية التي طالما ابتلي الشعر بها وقد استعان مهيار بهذه الالفاظ لاكمال بيت او تقفيته ، ونجد هذه الصور في قول مهيار :

اجرُك مذخورٌ لها ذاك والنيروز موفور على حفظ ذا[٢٨]

وفي قوله :

(٢٧) ديوان مهيار طبعة دار ج ٣ ص ٣٤٤ وفي معجم الأدباء ـ فيا انتم بدل بنا انتم وفي الوافي سال بدل خال

(٢٨) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ٥

وحرمةٌ شروطُها مكتوبةٌ على جبين المجد راعوا حق ذا[٢٩]

وصور الركاكة والنثرية في قصائد مهيار الاولى اكثر من أن تحصى ، وهي لا تتميز باللفظة النثرية فحسب وانما بالاسلوب العام لشعر مهيار كما يظهر في قوله :

ايا ساريا إمّا ركبت فلا تُنِخْ مريحاً واما ماشيا كنت فاركبِ
لعلك تأتي شِرعةَ الجود سابقا بها ذاك مع فرط التزاحم تشرب
وقل يا أبا العباس بل يا أبا الورى فكلهُم فيما مَلكتَ بنو أبَ
انا ذاك لم تكف اشتياقي زورةٌ بلى زادني بالبعد شجوا تقربي[٣٠]

وفيها

واشمتَهم ذا العام أنك جُرت بي ومذهبُك العدلُ الصحيحُ ومذهبي[٣١]

والنثرية في هذه الابيات ليست مقصورة على الالفاظ وانما تكاد تشمل الاسلوب العام والمعنى المبتذل والتعبير الركيك .

ومهيار الكاتب الشاعر كانت قصائده الاولى تتميز فيها اساليب الرسالة اكثر مما يتميز فيها اسلوب الشعر ، وقد عبّر مهيار عن هذه الظاهرة بوضوح في قصيدة كتبها الى ابي القاسم بن ممّا نقيب النقباء في عهد بهاء الدولة يقول في افتتاحها :

اذا عارضٌ نحو ارضٍ عَدَلْ وطاب الهواء له واعتدلْ

ويقول بعد مقدمته مستعينا بألفاظ الرسالة :

وبعدُ فسلْ بفوأدي وعن تلاعب شوقي به لا تسلْ
فقلت : اقص عليك الحديثَ لعلي أُنَصفُ قالت : اجل
لك الخيرُ شكوى ذليل السؤال لو كنت حاضرَه لم يُذل
كرُمتَ ابتداءً كما قد علمتَ كالغيث لم ينتظر أنْ يُسل
فعارض امَرك بالامتناع عِلجٌ اذا خفّ رضوى ثقل

---

(٢٩) المصدر نفسه ج ١ ص ٧
(٣٠) المصدر نفسه ج ١ ص ١٧
(٣١) المصدر نفسه ج ١ ص ١٨

وقال :ـ ويكذبُ ـ سيانِ ما احيل علي وما لم يُحَلْ
وقد كنت كاتبته مرة فأبرم ما بيننا وانفصل[٣٢]

وهذه الابيات لا تحمل من مظاهر الشعر الا القافية والوزن ، وقد اسقط البحر المتقارب بهدوئه الموسيقى بقايا موسيقاها فأصبحت القصيدة رسالة منظومة •

وتميزت قصيدة مهيار في مرحلتها الاولى بكثرة الولع بالمحسنات اللفظية والاكثار من الطباق والجناس والمقابلة بشكل يظهر عليه طابع التكلف والصناعة ، وكأن موهبته الشعرية اضعف من ان تخفي هذا المظهر في المرحلة الاولى من شعره ، ونجد هذه الظاهرة في قوله :

وددت الهوى يومين وصلاً وهجرةً به اليوم يشقى من به امسَ ينعم
وان ملوكا في « بروجردَ » كُرّمت بهم بذلوا الانصاف فيما تكرموا
فميِّز من اعدائهم اولياؤهم اذا انتقموا يوم الجزاء وانعموا

وفيها يقول :

وما الفقرَ اذْ اغفلتُمَ ما منعتُمُ وليس الغنى ـ لو جُدتم ـ ما بذلتمُ
ولا كان قدُر المال قدَر انتقامكم الا بئس فتكاتُ الملوك فتكتم[٣٣]

والمحسنات التي يستعملها مهيار ويكثر منها يظهر عليها طابع التكلف والتعمد ، وقد حفلت قصيدته التي كتبها لسعد بن الكافي الاوحد بهذه الصناعة المتكلفة فهو يقول له عاتبا على دهره :

تلاعبتَ بي يا دهرُ حتى تركتني وسيانِ عندي جِدُ خطب ولِعُبُه
وابعدت من اهوى فان كنت مُزمِعاً لتسلُبنَي عنهم « فسعد » وقربُه[٣٤]

والامثلة والنماذج على هذا الكلف بالمحسنات وافرة وكثيرة في قصائده

---

(٣٢) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٣ ص ٩
(٣٣) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٤٤ ـ ٣٤٦
(٣٤) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ١٠ وتراجع القصيدة

الاولى ، الا ان هذا لا ينفي وجودها في قصيدته الناضجة ، ولكنه استطاع ان يتخفف منها ، وتمكنت موهبته ان تخفي مظاهر الصنعة فيها ·

اما محتوى قصيدة المديح في هذه الفترة فليس له طابع مميز فهي ابيات متناثرة واوصاف عامة بين الحضارة والبداوة ، فمهيار لم يعثر بعد على النموذج الفني الذى يلتزمه في قصيدته بتقاليدنا البدوية والحضرية ، واصولها الفنية من براعة استهلال وحسن تخلص وانسجام واختتام دعائي طويل ·

الا اننا سنجد ان كثيرا من الخطوط العامة لقصيدته الناشئة تبقى قائمة في مرحلة النضج ، بعد ان يكتمل محتواها وشكلها ، ونلمح هذه التطورات في مقدمتها النسيبية الطويلة وطابعها البدوي المتعمد ، وأسلوب الفقرة في عرض قيم المديح العربية والفارسية ، وتحقيق الملاءمة بين القصيدة والممدوح ، وهي تطورات كان مهيار رائدا فيها وممثلا للقصيدة العربية ذات التقاليد الفنية الثابتة ·

اما الطابع الشخصي المتميز في قصائده الاولى بالشكوى من سوء الحال وضيق اليد وجناية الدهر وما يتبع ذلك من حزن دائم ، فسنجده في مرحلة النضج شكوى من الحساد والاعداء الذين اغاظهم ما حصل عليه مهيار من شهرة واسعة ومجد شخصي ·

قصيدة المديح عند مهيار في مرحلة النضج :

لا شك في ان أكثر تقاليد قصيدة المديح العربية بقيت متوارثة عن الشعر العربي وقد حافظت القصيدة العربية على مستوى معين في شكلها الفني ومحتواها وهي تناقل ما قاله السابقون وتجدد وفقا لمتطلبات العصر والحضارة ·

وقد تناول مهيار قصيدة المديح ليكون نهاية مرحلة فنية في سقوطها الفكرى والفني ، وكأن مهيار اراد ان يقدم مراسيم الخضوع للعصر وسلطانه مضحيا بآخر ملامح الشخصية الشعرية المميزة مطورا محتوى قصيدته وشكلها بناء على الرغبة

والطلب معطيا صورة واضحة لعصره بذوقه الفني وقيمه الفكرية ، وستجد ذلك واضحا في دراستنا التفصيلية لقصيدة مهيار في المديح :

التطويل

واول ظاهرة جديرة بالانتباه هي ظاهرة التطويل في قصيدة مهيار ، وهو تطويل تضيق به النفس ويصيبها الملل ، وظاهرة التطويل في الشعر العربي ليست جديدة وقد حذر ابن رشيق الشعراء من تطويل القصيدة في حضرة السلطان واعتبرها من عيوب الشعر كما اعتبر ابا عبادة البحترى من الشعراء الذين يجيدون المديح لانه « اذا مدح الخليفة يقل الابيات واذا مدح الكتّاب عمل طاقته وبلغ مراده »(٣٥) .

وديوان البحترى لا يحتوى على قصيدة مطولة ، واطول قصائده لا تتجاوز الثمانين بيتا وهي قصيدة قصيرة اذا ما قيست بمطولات مهيار(٣٦) ، وكان ابن الرومي من الشعراء الذين عرفوا بالاطالة وشدة الاستقصاء للمعنى واسترساله فيه، وقد اعتبر الاستاذ العقاد طول قصيدة ابن الرومي احتفالا بالممدوح وتكريما له(٣٧).

وقد ذهب بعض النقاد في تفسير اطالة مهيار للقصيدة الى الطبيعة الآريه القائمة على الولع بالاستقصاء(٣٨) ، وقد اثبتت الدراسة العلمية الحديثة خطأ الغلو في اهمية الجنس وتأثيره على فكر الانسان ومشاعره وثقافته وأنتاجه الادبي ، وانتهت قضية الجنس الآرى وتفوقه ومواهبه الى نوع من الاسطورة(٣٩) .

وعشتَ لمثلي واحدا في زمانه ... وللناس بعدى يطلبُون و تُطلبُ
جازى نداك الغمر نشرا مخلدا ... كلانا مطيل في معانيه مُطنِب(٤٠)

---

(٣٥) العمدة في الشعر جـ ١ ص ١٢٨
(٣٦) ديوان البحتري طبعة بيروت جـ ٢ ص ٧٢٦
(٣٧) ابن الرومي حياته من شعره ــ عباس محمود العقاد ص ٣١٦
(٣٨) تاريخ الفكر العربي ــ اسماعيل مظهر طبعة مجلة العصور سنة ٩٢٨ ــ ص ١٥٥
(٣٩) الاجناس والشعوب ــ وليم بويد ترجمة ابراهيم عبود دار اليقظة العربية سنة ١٩٦٠ ص ١٨ وثقافة الناقد الأدبي ــ محمد النويهي القاهرة ٩٤٩ الطبعة الأولى ص ١٨٠
(٤٠) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ١٤٦

واعتبر مهيار ثمن القصيدة على قدر طولها ويجب ان يتناسب مع هذه الاطالة:

زدني كما قد زِدْتُ يزددْ حسنُهـا ان المكــــارم تبعث الاقـــوالا

ويبدو ان الممدوحين وجدوا القصائد الطوال اكثر احتفاء بالمكارم والامجاد التي ينسبها مهيار لهم ، لذلك طالبوه بالمطولات وقد مضى مهيار صاغرا واعتذر لهم عن قصائده القصار متعللا بالظروف وسوء الحال كما يظهر في قوله :

واسمع عـلى الاختصار طارقـة لهـا طـولا سـوالفٌ قـدم
اخرّهـا الدهـر عـن بلوغ مداهــن وَهمٌ مـاتت له الهمـم[٤١]

واعتذر الى محمد بن ايوب عن قصيدة بلغت ستين بيتا وقال له :

وأحتمل مـن هـذه تقصيرهـا ربما كـانت مع القول الاطالة[٤٢]

ولم يكن طلب الممدوحين العامل الوحيد الذى دفع بمهيار الى الاطالة ، الا انه يبقى عاملا مهما يمثل دور العصر واتجاهاته في المغالات والتطرف وقد تبع هذه الاطالة طابع تفصيلي غريب في اخذ المعاني وشرحها ووضعها في قوالب مطولة •

وقد اعتبر الدكتور شوقي ضيف هذه الاطالة بسبب اجنبية مهيار عن اللغة ، فهو كفارسي « قد ينسى الكلمة الاصيلة في اللغة •• ويعمد الى التفصيل في افكاره والاتساع في عبارته »[٤٣] ومهيار نفسه اكد على معاني الفرس في قصيدته العربية وادار هذه الحقيقة في كثير من قصائده ، الا اننا لا نملك دليلا على ثقافة مهيـار الفارسية في عصر سادت فيه تأثيرات هذه الثقافة في شكل واسع ولكن ما قيـل عن ممارسة مهيار للكتابة يعطي دليلا لمعرفته لهذه اللغة ، وقد عرف الفرس بميلهم في الشعر الى التطويل والاطناب[٤٤] • كما عرف شاعر العربية منذ القديم بميلـه

(٤١) ديوان مهيار طبعة دار ج ٣ ص ٢٦١ ـ
(٤٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٧٤
(٤٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي طبعة ٤ ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠
(٤٤) الشاهنامه مطبعة دار الكتب قاهرة ٩٣٢ مقدمة الدكتور عبدالوهاب عزام

الى الايجاز بحكم طبيعة اللغة وانه « اذا اطال في قصيدته شارحا امورا متعددة فأنه لا يجيد في الجمع عكس النثر وعلى هذا فأني رأيت العجم يفضلون العرب في هذه النكتة »(٤٥) ، ورأي السيد عبدالوهاب عزام تأكيد لما ذهب اليه ابن الاثير في وصفه لشعر الفرس وميلهم الى التطويل والاطناب •

ومهيار بعد ذلك وصف نفسه بالشاعر والكاتب وكان تأثير الكتابه واضحا في شعره ولاشك في ان تطويل الكتّاب وميلهم الى الاطناب قد عملا عملهما في شعر مهيار ومطولاته ، ولابد من الاشارة الى ان اعجاب الممدوحين بطول القصيدة لا يخلو من التأثيرات الفارسية فأكثر ممدوحي مهيار من الفرس الذين تثقفوا بالثقافة العربية •

اما الظاهرة الثانية في قصيدة مهيار فهي ظاهرة تحكيم العقل والميل الى العمل المنظم في ترتيب القصيدة في معانيها وأفكارها ، وتحقيق الانسجام بين اجزائها في منهج دقيق وتقليد ثابت ، وسنجد هذه الظاهرة بوضوح في مقدمة قصيدة مهيار وفي اجزاء القصيدة الاخرى •

مقدمة قصيدة المديح :

عرض مهيار لمقدمة قصيدة المديح نماذج معادة قائمة على التكرار ، ومن الممكن تصنيف هذه المقدمات الى ثلاثة انواع :

اولا ـ المقدمة النسيبية القائمة على تقاليد الغزل العربي المكرر وقد حشد فيها مهيار اسماء حبيباته البدويات ، وأكثر من الاماكن الحجازية تلذذا واعجابا لا على اساس التحديد والمعرفة ، وعرض خلال ذلك المواقف الحجازية في ايام الحج وتكرار صورة اللقاء في موسم الحج والفراق بأنتهائه(٤٦) •

ثانيا ـ المقدمة الاستنهاضية والدعوة للسفر من اجل الرزق وركوب الناقة وتحمل المتاعب والمشاق ، وهي تقليد واضح وماهر لاسلوب استاذه الرضي الذى

(٤٥) المثل السائر ـ ابن الأثير ـ طبعة مصطفى الحلبي قاهرة ٩٣٩ ج ٢ ص ٤١٨
(٤٦) ستدرس الصورة النسيبية بالتفصيل في فصل نسيب مهيار

عرف بمقدماته الاستنهاضية من اجل العزة والمجد ، ومقدمة مهيار هذه لاتختلف عن سابقتها الا باقتطاع القسم النسيبي من القصيدة والبدء بالسفر من اجل المال •

ثالثا – وضع مهيار مقدمات عامة ملائمة لغرض القصيدة ترك فيها النسيب او السفر ، وقد غلب على هذه المقدمات طابع النثرية وكانت قصائد هذا النوع اقل من النوعين السابقين •

واول ما يلاحظ على مقدمة قصيدة مهيار التطويل والاسهاب ، وليس هـذا جديدا فهو جزء من قصيدة طويلة ، والظاهرة الثانية محاولة مهيار لطبع مقدمة قصيدته بالطابع البدوى ، والابتعاد عن المظاهر الحضرية التي رأيناها واضحة في قصيدته في مرحلتها الاولى •

ومهيار لم يستطع التخلص من مظاهر الحضارة والفاظها ورغم التزاماتـه البدوية في الصور التقليدية واسماء الحبيبات والاماكن والحنين الدائـم بقيت الملامح الحضرية في الالفاظ الطرية اللينة التـي تقترب احيانـا مـن السـوقية والابتـذال •

وكان مهيار اكثر الشعراء استجابة لذوق العصر ورأي نقـاده في تحقيق الانسجام في مقدمة القصيدة وباقي اجزائها ، وقبل ان ندرس نجاح مهيار في هذا الامر ننقل رأى ابي علي الحاتمي في قصيدة العصر وسماتها حيث يقول : مثـل الانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه فـي صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهة ويقول ايضا : « تأتي القصيـدة فـي تناسب صدورها وأعجازها وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجـزة لا ينفصل جزء عن جزء وهذا مذهب اختص به المحدثون »(٤٧) •

ويظهر لنا من رأى الحاتمي ان هذا المظهر الفني ليس جديدا والحـاتمي يقول انه مذهب اختص به المحدثون بعد ان كانت العرب سابقا تنتقل من النسيب

(٤٧) زهر الآداب جـ ٢ ص ٥٩٧

الى المدح طفرا وانقطاعا ، وقد عرف البحتري بحسن ابتداءاته ولطف خروجه وسرعة انتهائه(٤٨) .

ومهيار لم يحقق حسن التخلص وانسجام المقدمة النسيبية مع القصيدة وانما مثل اتجاها فنيا في ملاءمة المقدمة لغرض المدح ومقتضى الحال ، وهو ما سماه ابن حجة الحموي ببراعة الاستهلال عند مهيار(٤٩) .

ومهيار اذا كتب قصيدة تهنئة لاحد الرؤساء بأملاكه وأعراسه جاءت ملائمة لطبيعة التهنئة كما يظهر في قوله :

قل لزماني صُلحُا قد عاد ليلي صُبحا

جاد فزار قمر كان لوى وشحا

يلبس جِنحا من دجى الليل وينضو جنحا

فردّ ريحا ناشقا كاظمةً والسفحا(٥٠)

ونستطيع ان نقدر هذه الملاءمة بما جاء في مقدمة القصيدة الايضاحية التي تقول : « وقال وكتب بها الى المهذب ابي منصور ابن المزرع يمتدحه ويهنئه بأملاكه وأعراسه » .

واذا كتب مهيار الى ممدوح اصابته جفوة ابعدته عن مركز الوزارة جاءت مقدمته النسيبية ملائمة لغرض القصيدة في مواساة الممدوح وتبشيره بقرب ذهاب الوحشة فهو يقول لاحد الوزراء مبشرا ..

كم النوى قد جزِع الصابرُ وقنَط المهجورُ يا هاجر

الحمدَ البادون في عيشهم ما ذُمْ من بعدهم الحاضر(٥١)

---

(٤٨) المصدر نفسه ج ٢ ص ٦٠١
(٤٩) خزانة الأدب ـ ابن حجة الحموي ص ٩
(٥٠) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ٢٠٩ ـ كاظمة : على سيف البحر في طريق البحرين ، والسفح : موضع يقع بين بكر وتميم وقيل قرب اليمامة
(٥١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٧٩

وقد كتب مهيار قصيدة عتاب للوزير ابي سعد بن عبدالرحيم فجاءت مقدمته النسيبية عتابا ايضا تحقيقا لهذا الانسجام وقد قال فيها :

نأت والاماني بها تقرُب ومَلّتْ وأحسبُها تعتَبُ
ومال بها الغدرُ غَدْرُ الطباع عني والكاشحُ المُجلِبُ (٥٢)

وفي قصيدة مهيار التي كتبها الى جلال الدولة بعد اتهامه وحبسه ثم اطلاق سراحه بعد ظهور كذب الوشاية ، صورة ملائمة بين مقدمة القصيدة ومحتواها الذى يتعرض للوشاة وكذبهم ويؤكد براءته من التهمة وفيها يقول في الغزل :

اما وهواها عذرةً وتَنَصُلا لقد نقل الواشي اليها وأمحلا
سعى جُهْدَهُ لكنْ تجاوزَ حدَّهُ وكثّر فارتابت ولو شاء قللا
وقال فلم تقبل ولكن الومُها على أنه ما قال الا اتِقبلا (٥٣)

وقد جاء في مقدمة القصيدة « واتفق ان بعض الحسدة وشى به في امر محال اتصل ان استدعي الى داره واعتقل ليلة على كشف الصورة اعتقالا مميزا ٠

وواضح ان مهيار لاءم بين المقدمة النسيبة وبين حديثه عن الوشاة والوشاية٠

وقد قطع مهيار شوطا بعيدا في تحقيق هذا الانسجام ووضع المقدمة اللازمة الملائمة في نسيبها لغرض القصيدة ومنزلة الممدوح ووضعه ، وقد مدح مهيار الامير العربي ابا الحملات شبيب بن حمّاد المزيدى فوضع مقدمةً مناسبة له كما يبدو في قوله :

طرقت على خَطَر السرى المركوب والليلُ بين شبيبة ومشيب
وعلى الرحائل ساجدون دحا بهم سكران سكْرُ هوى وسكر لُغوب (٥٤)

---

(٥٣)ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ١٩٤ وفي الوافي : الومها وقد اخذت بها بدلا من
(٥٣) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ١٩٤ وفي الوافي : الومها اخذت بدلا من
رواية الديوان « تلومت » ، وفي عيون التواريخ غدرة بدل عذرة التي هي العذر ٠

(٥٤) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ٩٨ وفي الوافي : دجا بدل دحا : رمى

وقد شمل هذا الانسجام مقدمات مهيار التي جاءت على شكل مقدمات استنهاضية او عامة[٥٥] ولم يقتصر الامر على تحقيق هذا الانسجام على مقدمة القصيدة النسيبة ومحتواها .

وقد ابتليت هذه المقدمات على مختلف اشكالها بظاهرة التكرار التي تطورت على يد مهيار لتصبح تقاليد ثابتة ، ويبدو ان التكرار اصبح مظهرا واسعا في القرن الرابع للهجرة وقد اشرت الى اهتمام الثعالبي في يتيمة الدهر بهذا المظهر ومتابعته له في شعر الشعراء امثال المتنبي وابن الحجاج[٥٦] .

ومهيار رغم عدم تجديده وابتكاره اكثر من الصورة المكررة في مقدمات قصائده وأعاد أساليبه مراراً ، فالصور الاستنهاضية التي التزمها مهيار أعاد فيها كثيراً ، وهي مع كونها تقليداً للشريف الرضي فان مهيار جعلها اسلوبا ثابتا ، فهو يقول في احدى مقدماته :

خاطر بها إمّا ردىً او مراد ... ورِدْ لها اين وجدت المرادْ
ولا تُماطلْها بجماتها ... معللا أظمأها بالثماد
باعد عزيزا بين اسفارها ... فغرةُ النجم السُرى والبِعاد[٥٧]

ويقول في اخرى :

تَغَرَّبْ فبالدار الحبيبة دارُ ... وفكّ المطايا فالمُناخ إسارُ
ولا تسأل الأقدارَ عما تَجُره ... مخافة هلك والسلامة عارُ
اذا لم يَسَعْها الأمرُ في عُقرِ دارها ... فخاطر بها ان العلاء خِطارُ[٥٨]

وكانت المقدمات النسيبية ايضا كثيرة التكرار ونجد مقدمة مهيار الطللية التي قال فيها :

---

(٥٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٥ وج ١ ص ٦٠ ، ص٢٨١
(٥٦) يتيمة الدهر ج ١ ص ١٣٨ ـ ١٤٥ و ج ٣ ـ ٨٥ ، ٨٧
(٥٧) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٢٨١ ، الجم : الكثير ، والجَمّة : البئر الكثيرة الماء
(٥٨) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨٢ ومكررة ايضا ج ١ ص ٣٠١٠ ، ٣٣٧ ، ج ٣ ص ..

لمنْ طَللٌ (بلوى عاقلِ) عفا غيرَ منتصبٍ ماثلِ
تشرّف يُصغي لامر الرياح وإما الى واقفٍ سائلِ
تذكرت العين مالا تزال تعرف من رَبْعهِ الآهلِ
بدائدُ من قاطني الوحش فيه بدائلُ من أُنسه الراحلِ
وقفت به ناحلا اجتدى شفاءَ سَقامي من ناحلِ[59]

وقد اعاد مهيار هذه المقدمة شكلا ومحتوى في قوله :

هل عند هذا الطلل الماحل من جلد يجدى على سائلِ
اصمُ بل يسمع لكنه من البِلىَ في شُغلٍ شاغل
وقفت فيه شبحا ماثلا مرتفدا من شبحٍ ماثل
ولا ترى اعجبَ من ناحل يشكو ضنى الجسم الى ناحل[60]

والصورة المكررة هذه لن تنتهي بقصيدتين ، ويبقى مهيار يلاحقها في قصائد اخرى بعيدا مكررا ، والصورة كما يقول الدكتور شوقي ضيف قديمة معروفة استضاع المتنبي ان يعبر عنها في بيت واحد بقوله :

اثافٍ بها ما بالفوأد من الصَلىَ ورسمٌ كجسمي ناحلٌ متهّدم[61]

ومهيار لا يلام على الاستعانة بمعاني الاقدمين ، وانما يلام على ما أدى بهذه المعاني والصور الى توسيع وتفصيل افقدها كثيرا من روعتها ، ووضعها في اطارها النثرى الفاشل .

وكان توفر الصور والمعاني لمهيار وعدم بذل الجهد في التوليد والابتكار دافعا له للبحث عن مجال فني يلهو به ، ويحكم فيه عقله وذوقه وكان هذا المجال الفني في تحقيق الانسجام الداخلي المقصيدة وتنقيتها من الخشونة والتوعر

(٥٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٦٣ ، اللوى .. منقطع الرمل وعاقل موضع ما وراء القريتين في طريق البصرة الى مكة ، بدائد متفرقات
(٦٠) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ٢٠٧ ، وينظر في ج ٣ ص ١٨٨ ، ٢٨٧
(٦١) الفن ومذاهبه في المشعر العربي ص ٣٥٧ــ٣٥٨ ، وديوان المتنبي ص ١٠٣ طبعة عزام . الصلى : الاحتراق

واخذها الى السهولة والتسلسل الفني في ليونته وطراوته وهو ما اطلقت عليه بالانسجام الداخلي لقصيدة مهيار •

الانسجام الداخلي في قصيدة مهيار :

عرف البحترى عند النقاد شاعرا يجيد حسن التخلص والانتقال من مقدمته النسيبية الى غرضه ، الا ان هذا لا ينفي وجود الاسلوب المنقطع في قصيدة البحترى وانتقاله من الغزل الى المديح[٦٢] •

وفي القرن الرابع للهجرة كان المتنبي يتبنى مذهبا جديدا في ترك مقدمات القصائد وولوج باب المديح مباشرة ومن البيت الاول ، ولكن قصائده التي التزم بها بالمقدمات النسيبية حافظت على حُسن التخلص وبراعة الانتقال الى غرض المديح، وفي سيفياته امثلة كثيرة على اتباعه هذا الاسلوب في قصيدة المديح[٦٣] •

وكان الشريف الرضي استاذ مهيار في خط المتبي لم يلتزم المقدمات النسيبية كثيرا ولم يكن حسن التخلص عنده مذهبا ملتزما ، وقد تأتي المقدمة النسيبية منقطعة عن مديحها لا يربطها رابط متين[٦٤] •

اما مهيار فلم يكن ملتزما نهج استاذه في هذا الباب ، واصبح حسن التخلص امراً طبيعيا واجب الالتزام ، ولم يخرج مهيار عن هذا الفن في اية قصيدة من قصائده الكثيرة في المديح ، ولم يحقق مهيار حسن التخلص فحسب ، وانما التزم تقليدا فنيا جديدا في تحقيق تسلسل معاني القصيدة وانسجامها وارتباط مقدمة القصيدة بأجزائها ، وأصبحت عملية الانسجام الداخلي خاضعة لنشاط عقلي منظم في احكام القصيدة في مبناها •

وقد اشرت فيما سبق الى مقدمته النسيبية وملاءمتها لغرض المدح والممدوح، وهو بعد هذا التلاؤم يحقق الانتقال المنسجم من النسيب الى الشيب ومصائب

---

(٦٢) ديوان البحتري ج ١ ص ٢٢٩ ، ٢٦٥ ، ٣٨٩ ، ج ٢ ص ٤٤١
(٦٣) ديوان المتنبي ص ٢٥٩ ، ٢٧٨ ، ٣١٨ ، ٣٣٥ ، ٣٤٧
(٦٤) ديوان الرضي طبعة مصر ص ١ ص ١١ ، ٩٥ ، ١٢٨ ، ١٢٦

الدهر والاخوان وقلة الاوفياء ليصبح الممدوح الخل الوفي الاوحد والحامي لمهيار من نكبات الدهر وشروره ، وليبدأ بعد ذلك في مديحه وينتهي الى الدعاء للممدوح ، ونلمح صورة للانسجام في قصيدته التي مدح فيها امير عمان ناصرالدين بن مكرم سنة ٤٢٤ المهجرة وقد بدأها بمقدمة نسيبية قال فيها :

لمن صاغيات ُ في الجبال طلائح ُ ... تسيل على «نعمان» منها الأباطح ُ
تخابط ايديها الطريق كأنها ... مَوائر ُ من بحر الفَلاة سوابح ُ
دجا ليلُها وهي السهام تقامصاً ... فلم ينصرِمْ الا وهنَّ طرائح ُ

وتنتهي مقدمته النسيبية بذكر الطيف ووفائه فيقول :

امنك ابنةَ الأعراب طيفٌ تبرّعتْ ... به هَبّةُ التغويرِ والليل ُ جانح
طوى الرمل حتى ضاق بيني وبينه ... العناق ُ وما بيني وبينك ِ فاسح
فبات على ما ترهبين ركوبَه ... هجوما وفيما تمنعين يسامح
رعى لله قلبا ما ابرَّ بمن جفا ... واثبتَ عهدا والعهود ُ طوائح
واوسعَ ذَرعا بالوفاء وصَوْنِه ... اذا ضاق ما تُطوى' عليه الجوانح
عذيرى من دهرى كأني اريده ... على الود سَلْما وهو قِرنٌ مكافح
وصُحبةِ خوانينَ بائعُهم وإنْ ... تكثّر منهم بالتوحد رابح
اخوهم اخو الذئبِ الخبيثِ يَدلُّه ... على الدم ما تُملي عليه الروائح
وايدِ سِباطِ هنَّ بالمنع جَعْدَةٌ ... تلاطِمنُي منها اللواتي اصافح

ومهيار بعد ان انتهى من نسيبه انتقل الى الدهر وتحدث عن سوء الحال والحرمان وغدر الاصدقاء والاحباب وبخلهم وانتقل الى بغداد ليتحدث عن سوء حاله فيها ويرمز ايها « ببابل » فيقول :

لقد كان لي عن « ببابلِ » وجُدو بها ... مذاهب يتلوها الغني ومنادح
تركت عُبابَ البحر والبحر ُ معرضٌ ... واملّلت ُ ما تسقى الركايا النوازح
ولو نهضت بي وثبة ُ الجَدّ زاحمت ... على الماء هذى الآبيات ُ القوامح

اذا لسقاها ناصر الدين ما استقت كُبود" حِرار" او شفاه" ملامح(٦٥)

وينقلب بؤس مهيار نعيما بوصوله الى الممدوح ، وهو بعد ذلك لا ينسى البحر ما دام الممدوح اميرا على عمان ليكون الجو الفني منسجما ومتّسقا •

واذا كان الممدوح رجل قبيلة واميرا من امرائها عرف مهيار كيف يأتي بالانسجام الملائم بعد الحديث الطويل عن الحبيبة التي ذهب بها الركب فهو يقول:

كذاك حظُّ فوادي مِن احبتِه قد جرّب الحبَ مبخوس ومنزورُ
فما يحافِظُ الا وهو مطّرح ولا يواصلُ الا وهو مهجورُ
حتى لقد خفت ان تنبو على يده بالشرق من «اسد» بيضُ مشاهيرُ(٦٦)

والظاهرة هذه عامة شاملة نجدها في اغلب قصائد مهيار وتبدو واضحة في قصيدته الراقصة الشهيرة التي بدأها بقوله :

بكَر العارضُ تحدوُه النُّعامى فسقاك الغيثُ يا دار « أُماما »

نجده بعد حديثه عن الحب وما يلاقي به من حرمان يأتي على الدهر ومصائبه في انتقال منسجم ليقول :

اشتكيكم والى من اشتكى انتم الداءُ فمن يَشفي السَقاما
انتم والدهرُ سيف" وفم" ما تَملان ضِرابا وخصاما
كلما عاتبت في حظي دهرى زاده العتبُ لجاجا وعُراما
واذا استرهفتُ خِلاّ فكأني منه جردت على عُنقي حساما

ومهيار يضع هذه المقدمة الواسعة المنسجمة ليقول بعد ذلك ان الايام طبعت

---

(٦٥) ديوان طبعة دار جـ ١ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ، القمص : النفر او النشاط القرن من يقاومك وكفوك ، السانح الذي يأتي من جهة اليمين ، المنادح ـ الارض الواسعة او المذاهب ، القوامح التي تمتنع عن الشرب ربا ، ملاوح •• عطاش ، الركية •• البئر ونعمان ! وادي عرفه

(٦٦) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٢ ص ١٠٤ ، واسد قبيله الممدوح العارض : السحاب المعترض ، النعامى : ريح الجنوب

على الغدر ، وانه لا يجد العون والنصير ، ولكنه وجد في آل عبدالرحيم نعم الحامي ويدعو لهم بالخير فيقول :

قعد الناس بنصرى في حقوق قَعد المجدُ يَبكيّها وقاما
دفع الله وحامي عن رجال قد دَعونْي لم يضيعوا لي سَواما(٦٧)

والشاعر بعد ان يجد الحماية في آل عبدالرحيم يفصل في هذا المدح ويشير الى فضائلهم ثم يصف قصيدته بعد ذلك استعدادا لاختتامها كعادته في تحقيق هذا النسق الفني المنسجم ، ويبقى هذا الانسجام قائما لا يتبدل ما عدا ما يطرأ على تتابع الفقرات كوضع الشكوى من الشيب بدلا من غدر الحبيبة والانتقال من الشيب الى نكبات الدهر ثم الى حماية الممدوح له محققا اسلوب الرسالة المحكمة في الشعر •

اسلوب الرسالة في قصيدة مهيار :

مهيار كاتب وشاعر كما يقول عن نفسه ، وقد اشرت سابقا الى انه اعتاد ان يكتب قصيدته معتمداً على اسلوب المراسلة مع ممدوحيه شعرا ونثرا ، وقد عرف مهيار مفتخرا بشعره ونثره على السواء ووصف نفسه بالكاتب الشاعر :

ولم يكن لو أنه كاتبٌ يُراعُ منه الشاعرُ الكاتبُ(٦٨)

والشعر والنثر في عصر بني بويه كتب عليهما ان يختلطا ويتشاركا في الفنون والاغراض ، ومن مظاهر هذا الاختلاط وهذه المشاركة ما طالب به النقاد في ضرورة التزام قصيدة الشعر اسلوب الرسالة في انسجامها وأحكامها(٦٩) وكان مهيار اكثر الشعراء التزاما بهذه القيم الفنية وفي مراعاة اسلوب الرسالة في استهلالها ومحتواها وختامها بالدعاء •

---

(٦٧) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٢ ـ القصيدة ص ٣٢٧ ـ ٣٣١ ، ومن النماذج الانسجام جـ ١ ص ٢٨٦ ، ٣٠٥ ، ٣٥٧ ، جـ ٣ ص ١٩٤ ، ٢٩١
في خزانة الأدب يحدوه ، والري بدل الغيث وكذلك في الوافي وعيون ـ التواريخ ويتفق المصدران في ٠٠ شمل الداء فمن ينبري بدل رواية الديون.
(٦٨) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ١٤٠
(٦٩) الحبث ص ٩٢

وقد ظهرت ملامح النثرية واسلوب الرسالة في شعر مهيار مبكـرا ، وبقيت قائمة في مرحلة النضج ، ولم يكن مهيار من الشعراء الذين اعتـادوا ان ينشـدوا قصائدهم في المحافل والمناسبات ، وانما عرف بكتابتها وارسالها الى ممدوحيه طيلـة حياته ، وواضح ان القصيدة التي تكتب تقرأ غير القصيدة المعدة للانشاد في رنينهـا وقوتها ، وليس غريبا ان نجد هذا الهدوء الموسيقى وعدم حدة النغـم في قصائـــد مهيـار •

وقد ساهمت تفاهة الموضوعات التي عالجها مهيار في شعره وخضوع هـــذا الشعر للمناسبة في بقاء ظواهر السقوط النثرى لهذه القصيدة ، وكـان العـرض التفصيلي للصورة قد اسقط روعة الكلمة العربية الاصيلة في قوتها وحدتها بعد ان اولع الشاعر بالالفاظ الينة السهلة التي لم يستطع حمايتها من النثرية والعامية •

وقد رأينا مقدمته النسيبية وتطويلها ، وهي في مصطلح الرسالة اســـتهلال بواسع حاول مهيار ان يجعله وثيق الصلة بأجزاء القصيدة ومحتواهـا وغرضهـــا ومنزلة الممدوح ومكانته وما يرغب فيه[٧٠] •

ومن الممكن تتبع اسلوب الرسالة في طول القصيدة وتعمد هذا الاسهاب الممل الذى يعتبر من اساليب الكتاب ، وقد ساهمت عوامل عديدة في هذا الاسهاب ، الا ان تقليد اسلوب الرسالة له اثره في هذه الظاهرة الملتزمة في قصيدة مهيار ونجد المظهر الثاني في الاكثار من الجمل الاعتراضية القائمة على الدعاء وقد جاءت خلال قصيدته في النسيب والمديح ، ويبدو ان هذه المصطلحات لازمت قصيدة مهيار فــي مراحل تطورها وأصبح طبيعيا ان يقول :

اذكر ـ ذكرت الخير ـ مالم تنسه   من صحبتي ذكرك ايـــام الصبـا[٧١]

وقوله في اعتراض واسع ممل :

(٧٠) اشار الدكتور ضيف الى اسلوب الرسالة في قصيدة مهيار ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٣٦٢ ـ ٤٦٣

(٧١) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ٧

اتني ـ طالمـــا اتت ابتـــداءً بـلا حـق ٍ عليـــه ولا وجوب ـ
يـدٌ منـه وفت بيـد الغمام المصيب همت عـــلى العـــام الجـــديب(٧٢)

وفي قصائده المتأخرة نجد هذه الظاهرة في قوله مادحا :

كم رافع ٍ لي بالعـــداوة صوتَـه يُهَبهِـبُ في ايعـــاده ويُهيبُ
قويا على ظلمي بسيف عـــدوكم وعهدى بـه بالأمس وهو يَخيبُ
يظن ـوحاشاكم ـ عُراي تقطّعت واني أخيذٌ والزمانُ طليبُ(٧٣)

وفي قصيدة يمدح فيها ابا سعد بن عبدالرحيم سنة ٤٢٦ للهجرة يقول :

هم رحِمي ـ والأقربـون معقـهٌ وفيهم ابي البَرُّ الرؤوف ولا أبُ
ودولتهُم ـلاعطّلت ـ لي مواسمٌ واياهمهم سوقٌ بفضلي يُجلِبِ(٧٤)

ومهيار يكثر من هذا الجمل الاعتراضية ويضعها احيانا في مقدمته النسيبية فيقول : في قصيدة كتبها سنة ٤١١ للهجرة •

نكِروا ـ فلا عَرفوا ـ برامةَ وقفةً ميـــلاءَ نادتهـــا الديـــار فلبّتِ

ويستعين في القصيدة نفسها بأدوات النثر فيقول :

ولكـــل جســـم في النحـول بليـــة وبـلاء جسمي مـــن تفـاوت همتي
أمـا عـلى كذب الظنـــون فأِنهـــا صدقتامان ٍ في«الحسين» وبرّت ِ(٧٥)

والنماذج الحافلة بالفاظ النثر واسعة ووفيرة ، والتي اخترتها ليست متعمدة ومن النادر ان تخلو قصيدة مهيار من هذه الجمل الاعتراضية •

اما المظهر الآخر من مظاهر النثرية فيبدو في اختتام القصيدة القائم عـــلى الدعاء الطويل في البقاء والتهنئة بالمجد الدائم ، واذا كان مذهب الدعاء ليس جديدا

---

(٧٣) المصدر نفسه جـ ١ ص ١١١ ، هبهب ، يزجر واكثر
(٧٣) المصدر نفسه جـ ١ ص ١١١
(٧٤) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٤٣
(٧٥) ديوان مهيار طبع دار جـ ١ ص ١٥٤ ـ ١٥٥ • رامة : موضع بالعقيق

في قصيدة المديح فان الشعراء الحذاق كرهوا ان تختم القصيدة بالدعاء لانه من عمل اهل الضعف(٧٦) .

ومهيار أولع بهذا الختام الدعائي ، وقدمه لممدوحيه على مختلف مذاهبهم ومنازلهم ، وأصبح تقليدا يختتم به قصيدته لا يفرق بين ممدوح وآخر فهو يقول لاحد اصدقائه من الكتاب :

لا آقفرت منك ربوع عَمُرتْ ... أُنسا ولا ايبسَ عيش رطبا
ولا برِحتَ مالكا مقسِراً ... نواصيَ الاقبال او مغتصِبا
حتى تكونَ باديا وحاضرا ... بين النجوم بانيا مُطنّبا(٧٧)

ويقول لكاتب آخر في اختتام قصيدته :

والبَسْ المِهرجان حُلّةَ عزٍ ... لستَ من لُبسها مدى الدهر تَعرى
طاعنا في السنين تطوى عليهن ... طَوال السنين عصراً فعصراً
واعلُ حتى اراك اشرفَ كَعْبا ... من مكان السُهى وانبهَ ذكرا(٧٨)

ويدعو مهيار لاحد الوزراء في قوله :

واستخدم النيروزَ واسعَدْ به ... مستعملا في العز مستعمرا
يوم من الأيام لكن رأى ... له عليها الفضلَ والمفخَرا
كانه من نخوة قُلِّدَ ... التسويد عن امركَ او أُمّرا
يُنسَبُ كسرىً فان اختاركم ... دينا فقد وافقكم عنصرا
يُقسمَ والصدُق قمينٌ به ... بما حبا الأرض وما نوّرا(٧٩)
إنك تبقى ملكا خالدا ... ماردّ منه الدهر او كررا

(٧٦) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ٢٤١
(٧٧) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ١٢٥
(٧٨) المصدر نفسه ج ١ ص ٤١١ السهى كوكب خفي من بنات نعش
(٧٩) ديوان مهيار طبعة دار الكتب ج ٢ ص ٥٠

وعندما يخاطب مهيار ملك الملوك الامير البويهي جلال الدولة لا يتطور دعاؤه بشكل مميز عن دعائه السابق فهو يقول :

وكُنْ مُفطراً بالبر والبس على التقى ... ثوابَكَ وانزِع صَومكَ المُتقبّلا
تُزخرَفُ جنات العلىُ لك مُفطرا ... وصائمَ فرضٍ كنت او متنفّلا
الى ان ترى صُمَّ الجبال فلائقاً ... مسيّرةً والجوَ ماءً مُسلسلا
اذا ما انجلى صبحٌ ولَستَ مملّكا ... علينا فلاانشقَ الظلامُ ولا انجلى(٨٠)

ويظهر ان هذا الدعاء لم يختلف في صوره سواء كان مقدما لكاتب او وزير او ملك ، وانما اصبح تقليدا ملتزما واختتاما لقصيدة مهيار ، واذا حور الشاعر او بدل في اختتام قصيدته تكلم عن هذه القصيدة وروعتها وتمنى ان يبقى الممدوح ليقدم له مدائحه .

والمظهر الواسع الآخر من مظاهر النثر في قصيدة مهيار هو السقوط الموسيقي واللفظي الذي يلُف قصيدة مهيار بعد انتهاء مقدمتها بجوها الشاعري وظهور ملامح النثر فيها ، فمهيار لم يحفظ لقصيدته مستوى فنيا واحدا في شاعريتها وموسيقاها وكانت مقدمته النسيبية اكثر اجزاء القصيدة حفاظا على مستوى الشعر بما تحمل من موحيات وذكريات تاريخية ودينية ، وبترددها الاماكن البادية وتكاد المتعة التي يشعر بها القارىء تنتهي بأنتهاء المقدمة وانتقال الشاعر الى غرضه الاساس في المديح ، وخير مثال تختاره للدلالة على السقوط النثرى الذى يقع فيه مهيار بعد انتهاء مقدمة قصيدته التي نالت الاعجاب في مدح ربيب النعمة علي بن اسماعيل سنة ٤١٤ للهجرة وفيها يقول :

من عذيرى يوم شرقي الحمى ... من هوى جدّ بقلبي مَزحَا
نظرةٌ عادت فعادت حسرةً ... قتل الرامي بها من جَرحَا
....
يا نسيمَ الصبحِ من كاظمةٍ ... شدّما هجتَ الجوى والبُرحا

(٨٠) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٠٠

الصَبا ان كان لابد الصَبا ... انها كانت لقلبي اروحا
يا ندامای بسَلعٍ هل اری ... ذلك المَغبَقَ والمُصطَبحا
اذكرونا ذكْرَنا عهدكم ... رب ذكرى قرّبت من نزحا
واذكروا صبّاً اذا غنى بكم ... شَرِبَ الدمعَ وعافَ القدحا(٨١)

والابيات حافلة بالنغم الموسيقي العذب والالفاظ المنتقاة والجو البدوي بموحياته ، الا ان مهيار لم يحفظ لقصيدته هذا المستوى ، فهو يقول في القصيدة نفسها :

وثِقَ الشعر بكم واتصلتْ ... غَفلةٌ تُخجلُه فأفتضَحا
فاعذروه ان اتى مقتضيا ... فلقد انظركم ما صَلحَا
اذكروه مثلما يذكركم ... محسنا واستقبحوا ما استقبحا
واعلموا أنّ قَليبَ الشكر إنْ ... هو لم يُمْدَدْ برفدٍ نَزحَا
واصبحوا ايامكم واستقدموا ... في المعالي هَجنَها والصرحا
بين نيروزٍ وعيدٍ أمسيا ... رائدَيْ إقبالِكم او اصبحا(٨٢)

والقصيدة تحولت الى نظم واضح ولم يستطع بحر الرمل ان يحفظ لها موسيقاها المتدفقة ، وهذا هو شأن مهيار في قصائده يقودها التطويل والاسهاب الى نثرية مفرطة ، وينتقل من الشعر الى النظم ، وقد ابتليت قصيدة مهيار الميمية الشهيرة بهذه النثرية ايضا ولن يجد القارىء المتذوق فيها نفسا شعريا واحدا يقول مهيار في مقدمتها :

بكر العارض تحدوه النعامى ... فسقاك الغيث يا دار « أُماما »
وتمشت فيك ارواحُ الصَبا ... يتأرجن بأنفاس الخزامى
واذا مغنى خلا من زائر ... بعدما فارق او زِير لِماما

---

(٨١) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ وفي عيون التواريخ ـ بقلبي مرحا بدل مزحا وغارت بدل عادت ، وارض الحمى بدل كاظمة وارحموا بدل اذكروا · ـ سلع : ـ جبل بسوق المدينة
(٨٢) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٠٥

فقضى عهد الهوى أنْ تُصبحي للمحبين مُناخا ومُقاما

ويتبعه قوله في المديح :

وشفى ادواءها من معشر قبلُ طبّوها فزادوها سَقاما

فهو فيها وأخوه اخوةٌ يذبلٌ ساند رضوى وشَماما(٨٣)

نجد هذا السقوط النثرى ايضا في عتاب مهيار لممدوحه هذا حيث يقول :

واذا سحبك عني عبسَتْ فمتى املُ من ارضي ابتساما

والمُلال المرُ لمْ فاجأني من فتىً كان بحبي مستهاما

ونعم اعذركم فألتمسوا عِذرة المجد اذا ما المجد لاما(٨٤)

والفرق ظاهر بين مقدمة قصيدة مهيار وملامح الشعر فيها وبين مديحها وملامح نثريتها ، والشاعر عندما يترك هذه المقدمات النسيبية تبدو ملامح النثر في قصيدته اعتبارا من مقدمتها ، وتتحول الى ما يشبه الحديث المنظوم كما يظهر في مطلع احدى قصائده اذ يقول لاحد ممدوحيه مبشرا بأنتهاء الوحشة :

هل تقبلون اِنابةَ الدهرِ ام تنصتون له الى عذر

ام تعرفون بقرب رجعته ما كان همّ به من الغدر

فلقد اتاكم يَستظلُ بكم من حَرِّ سُخطكم ويستدري(٨٥)

وقوله في مقدمة قصيدة اخرى كتبها الي ابي سعد بن عبدالرحيم بمناسبة انتهاء الوحشة مع السلطان :

الم اتحدث ـ والحديثُ شجوُن ـ بما كان منكم أنه سيكون

وأعلمكم أنّ الليالي رؤوسُها وان صَعُبت شيئا فسوف تلين

وأزجُر طيرَ اليُمن فيكم عِيافةً فتجرى لكم بالخير وهي يمين

---

(٨٣) ديوان مهيارطبعة دار ج ٣ ص ٣٣٠ ، يذبل : جبل مشهور بنجد ، ـ ورضوى جبل بين مكة والمدينة ، وشمام كقطام جبل

النعامي : ريح الجنوب ، العارض : السحاب المعترض

(٨٥) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ٣٨٨

واعـــلم أنّ الله في نظـــم امرِكم   كَفيلٌ برعي المكرُمـات ضمين[٨٦]

وهذه المقدمات لا تحمل من روح الشعر الا اوزانه وقوافيه ولولاهما لمـــا شك القارىء المتذوق في بعد هذه المقدمات عن الشعر ، وقد جرى مهيار شـــوطا بعيدا في سهولة الالفاظ ، وافتقد معها عنصر القوة والرنين ، فالابيات التي ذكرتها فيها الى جانب افتقادها للرنين روح نثرية واضحة تقرب مـن الحـديث وتتميز بأساليب الرسالة ايضا .

الاوزان القصيرة في مديح مهيار :

من الظواهر في شكل قصيدة مهيار الفني استعمال الاوزان القصيرة فـــي المديح ، وقد كتب مهيار قصائد عديدة ذات وزن قصير راقص ، ووضع احـدى قصائد الرثاء الشيعية في هذه الاوزان .

وظاهرة الاوزان القصيرة ليست جديدة على الشعر العربي وكان تأثير الغناء واضحا في الشعر العربي في العصر العباسي ، ويقول الدكتور شـــوقي ضيف : وتأثير الغناء العباسي لم يقف عند موسيقى الشعر الغنائي بل تعداها الى موســيقى الشعر التقليدى ، فقد كان اكثر الشعراء العباسيين ينظم في النوعين .. ولذلـك كنا نجد في الشعر التقليدى كثيرا من الاوزان الشائعة في الشعر الغنائي ، كمـــا نجد في الشعر التقليدى كثيرا من الاوزان القصيرة المجزوءَة او المولدة الشــائعة في الشعر الغنائي »[٨٧] .

ويذكر لنا الدكتور ضيف نماذجَ من هذه الاوزان القصيرة في شعر مسلم بن الوليد وسلّم الخاسر واستعمال الشعراء لهذه الاوزان في مديح الخلفاء[٨٨] ، وتبقى هذه الظاهرة قائمة نجد تأثيراتها في شعر ابي تمام ومقطوعاته القصيرة التي مدح بها الحسن بن وهب[٨٩] ، وقد اكثر من بعده البحترى ، واشاع هذه الاوزان

---

(٨٦) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٥ ـ ٣٨٨
(٨٧) الفن ومذاهبه في الشعر ص ٧٦
(٨٨) المصدر نفسه ص ٧٧
(٨٩) ديوان ابي تمام ـ مطبعة حجازي قاهرة ٩٤٢ ص ٢٩

في قصائد المديح ، وكان بحر الهَزَج اكثر البحور القصيرة التي استعملها البحتري في مدائحه الا ان هذه الاوزان لم يكن استعمالها بشكل واسع[٩٠] .

وكان عصر بني بويه اكثر العصور تأثرا بالتقاليد الفارسية في مختلف صورها ومن المفروض ان تنتشر ظاهرة الانغام الراقصة في هذا العصر فهي ملائمة لحياة الترف ومجالس الانس والطرب ، وقد ذكرت فيما سبق شيوع هذه الاوزان في شعر الشريف الرضي والمرتضى والشعر العربي في عصر بني بويه بصورة عامة .

ومهيار تلقى هذا التأثير وكتب القصائد الكثيرة بأوزانها القصيرة ، وكان القصيرة ، وكان موضوع قصيدة مهيار في التهاني والمناسبات والاعياد ملائما لهذه الاوزان .

وقد عرفت الطبيعة الفارسية بميلها للانس والطرب ، وعرف الفرس بميلهم للاوزان الراقصة الطروبية ، وحبهم للمرح المشوب بالرقة والليونة[٩١] ، وجاءت قصائد مهيار ملائمة لذوق العصر في اوزانها الراقصة ورقتها وليونتها وكتب في المديح يقول :

اين ظباء المنحنى ... سوالفا واعينا[٩٢]

وكتب ايضا في المديح :

بالله ثم بالله ... يا راكب الشِملّه
تحمله وهمّه ... بنزلاء مستقلّه
يَنفضُ بعضَ ليله ... بها الغوير كله[٩٣]

---

(٩٠) ديوان البحتري جـ ١ ص ١٣ ، ١٤ ، ٨٤ ، جـ ٢ ص ٥٢٤ ط بيروت
(٩١) قصة الأدب في العالم ـ احمد امين وزكي نجيب طبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ٩٤٣ جـ ١ ص ٤٦١ ، وتراث فارس ـ لمجموعة من المستشرقين ترجمة محمد كفافي ـ دار احياء الكتب العربية ٩٥٩ ـ ص ٣٨
(٩٢) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٤ ص ١٤٢ .
(٩٣) المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٤٧

وهذه القصائد الطوال لم تحتفظ بمرحها وموسيقاها الحلوة ، وكان تطويلها سبباً في تحولها الى نماذج باهتة خالية من الروح •

محتوى قصيدة المديح في شعر مهيار :

اشرت سابقا الى تصنيف ممدوحي مهيار الى مجموعات ثلاث من امراء ووزراء وكتاب ، وقلت ان مهيار رسم منهجا تقليديا في مدح هؤلاء ، واعتاد ان يقدم القصيدة المناسبة لكل مجموعة ، وأول ما يلاحظ على محتوى قصيدة المديح ملاءَمتها للمدوح ، وقد فصلت فيما سبق انسجام الشكل الفني للقصيدة مع غرض المديح ، وسنجد ان المحتوى ايضا حقق هذا الانسجام ، وحاول مهيار ان يحافظ على هذا الالتزام في اغلب قصائده :

ملاءمة قصيدة المديح للمدوح :

مدح مهيار انماطا مختلفة من الناس ، ووضع لكل صنف محتوى ملائما في القيم صفات المدح ، وقد رأينا كيف لاءَمَ الشكل الفني لمقدمته النسبية هو يمدح الامير المزيدى شبيباً بن حماد بالمدح العربي الاصيل القائم على القيم القبلية في الكرم والشجاعة والمفاخر المتوارثة ، ومهيار يترك الاوزان الطروبية الراقصة ، ويعمد الى البحور القوية ذات الرنين الفخم القوى ، كما يتخفف من الاسلوب اللين الطرى كما يبدو في قوله :

واذا فَزِعتُ لجأتُ من اسد الى	اسد تأشب في القنا المخضوبِ
ونزلت في غرف العلى منظللا	بالعز تحت رواقها المضروب
وعلقِتُ منها ذِمَّةً ومودةً	ان فات «حمّادٌ» بحبل «شبيب»
الماجد بن الماجدين وربما	تجد النجيب وليس بابن نجيب
وابن القرى وابن الصوارم والقنا	والخيل تَخلِط ارجلا بسبيب(٩٤)
والواهبي مالا يُجاد بمثله	والسالبي ما ليس بالمسلوب

(٩٤) السبيب من الفرس : شعر الذنب والناصية
تأشب الشجر اختلط وتشابك

والراكبين الى ذوى حاجاتهم	ظَهرا من الأخطار غيرَ ركوب
جادوا فقال المالُ سحبُ مواهب	وسطَوْا فقال الموتُ أُسْدُ حروب
وتتابعوا في المجد ينتظمونَهُ	والرمحُ أُنبوب على انبوب
كانوا الأسنةَ من معَدٍ كلها	والناسُ بين معاقدٍ وكعوب
إنْ فوخروا شَهِدتْ لهم ايامُهم	فيها بكلِ معْلَمٍ مكتوب
يتوارثون مكارما مضرية	إرثَ النبوةِ في بني يعقوب
درجوا عليها آخذين بحكمها	لم يُفسدوا حسناتِها بعيوب
وجرى ابو الحملات يطلُب شأوهم	اكرِمْ به من لاحق وطلوب
قالوا الهمامُ فافْرجتْ ابطالُهم	لكَ عنْ طريق الضَيغَمِ المرهوب(٩٥)

ومهيار في مديحه هذا يقدم النموذج للعربي القائد في شجاعته وكرمه ونسبه الاصيل ، ويلتفت الى قبيلته ذاكراً طرفا من امجادها المتوارثة في الفاظ ترتفع عن مستوى الليونة والرقة لتتناسب مع غرض المدح ومنزلة الممدوح ، ويعود الشاعر الى كرم الممدوح فيصفه بما اعتادت العرب ان تصف به شيخ القبيلة في كرمه وسخائه فيقول :

لله بيتُك أمنُه وجفانُه	والحقُ بين مخافةٍ وجدوب
ومكرَمَّات النسل تُهونَ في القِرى	بالمُصطفى منها وبالمجنوب
واذا الوقود خبا جعلت لحومَها	حطباً لنار الطارق المجلوب(٩٦)

ومدائحه لآل مزيد تأخذ هذا النهج في محتواها وفي صورها العربية الاصيلة ، ونجد الصورة الواضحة في مديحه لثابت بن علي بن مزيد اذ يقول :

فتى لا على الأعذار بالعهدِ ناكثٌ	ولا مع فرط الجودِ للسن ناكت
يَبيتُ خَميصاً جنبُه ووسادُه	وطارقُه خصباً كما شاء بائت
اذا الليلة الطُولى امَرتْ وأيبستُ	فللضيت فيه مُتمرُ الليل رابت(٩٧)

---

(٩٥) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ٩٩ ــ ١٠٠
(٩٦) المصدر نفسه ج ١ ص ١٠١
(٩٧) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ١٦٨

والشاعر دائم الاقتباس لهذه الصورة العربية في الكرم يقدمها لممدوحه العربي ارضاءً له وتحقيقا لرغبته ، وتكاد قصائده لآل مزيد تلتزم هذا المنهج في محتوى مديحها[٩٨] .

وقد وضع مهيار تقاليد خاصة لممدوحيه من احفاد آل البيت وكانت مجموعة القصائد التي مدح بها نقيب الكوفة العلوي تمثل نهجا خاصا في المدح الشيعي والاشادة بمناقب الائمة وفضائلهم ، ويكاد يكون نصيب الممدوح قليلا في هذه القصائد التي خصص اكثرها لعرض مناقب آل البيت فهو يقول لممدوحه العلوي :

وابنَ الذين بصّروا من العَمى ... وفتحوا بابَ الرشادِ المُغلقا
مناسكُ الناس لكم وعندكم ... جزاءُ من أَسرفَ أو من اتقى
لايملِكُ الناسُ عليكم إِمرةً ... كنتم ملوكاً والانامُ سُوقَا[٩٩]

ويقول في قصيدة ثانية :

انتم ولاة الدين والدنيا لكم ... سلطانُها في واضح التبيين
واليكم رَجْعُ الحسابِ ومنكم ... قاري الغريبِ ومُطعِمُ المسكين
واذا تكلم ذو الفَخار مقصّرا ... طاولتم بمكلّم التنيّن
وابوكم المفضي اليه جدُكم ... ماكان منموسىُ الى هارُون[١٠٠]

ومهيار يضع لهذا الرجل العلوى صورة مدحية خاصة تلائمه وترضيه في اكثر قصائده[١٠١] .

اما مدائحه لمحمد بن ايوب فلها منهج ملائم ايضا يتناسب مع الرجل الكاتب في دار الخلافة ووزير الخليفة فيما بعد .

---

(٩٨) المصدر نفسه جـ ١ ص ٩٩ ، ١١٣ ، ٢٨٨ ، جـ ٢ ص ٢٢ ، ١٠٧ ، جـ ٣ ص ٢٠١ ، جـ ٤ ص ٩٧

(٩٩) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٢٩

(١٠٠) المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٢١ التنين : الحية الكبيرة وفي الأبيات اشارة الى مناقب الأمام علي

(١٠١) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٣٥ ، ٣٢٧ ، جـ ١ ص ٢١٥

ويقوم هذا المنهج على الاشادة بصلاح دينه وثقة الخليفة به ونهوضه بوزارة الخلافة وسعة علمه وبراعته في الكتابة وهي امور تتناسب ومنزلة الرجل المعتمد لدى الخليفة الذى تميزت منزلته الدينية بشكل ظاهر في هذه الفترة فهو يقول في مدحه :

قد عَرفَ القائمُ بالأمرِ منذ سلّك أنَّ القطعَ للقاضبِ
ظهرت بالعفة سلطانه هذا وما الزاهر كالراغب
وصُنت ما حسّنَ من ذكره من دَنَسِ القادحِ والقاصب[١٠٢]

وأمجاد اسرة آل ايوب امجاد كتابية ومهيار بحكم تقليد الاسلوب العربي يعبر عن هذه الصورة في قوله :

داسوا على المجد القديم ومَشَوا خَطْراً على خدّا لزمانِ الغابرِ
وأَنطقوا بالخُرس من اقلامِهم السنةِ الدُسُوتِ والمنابر
ولابنه من بعدهِ ما يَرِثُ الشمولُ في الغاب عن القساور
شهادةٌ صدّقها محمدٌ صِدْقَ الرُبى عن الغمام الماطر[١٠٣]

وهذا المحتوى في مديح محمد بن ايوب يبقى ملتزما في اكثر القصائد التي مدحه فيها مهيار ، ونلمس الصورة المكررة في قول مهيار من قصيدة مديح اخرى لهذا الرجل :

ملأ الدَسْت وَقارا ونفاذاً وبياناً حيث تعنى الناسُ لُكنا
ووفى عند الأمامين وأوفى وكفى من جانب النُصح وأغنى
كان سيفا قاطعاً دونهما فاذا ما استظهروا كان مِجَنا
ومضى يرهِف خطا وخَطابا كان في دفع العدى ضربا وطعنا[١٠٤]

---

(١٠٢) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ١٢٧
(١٠٣) المصدر نفسه ج ص ١٩
(١٠٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٧١
الدست : صدر البيت • والوسادة صدر المجلس •

واصبحت ثقة الخليفة لازمة لبيان مكانة الممدوح مع الاشادة ببراعته في الكتابة وتشبيه اقلامه بالرماح ، وهي تعبّر عن رأى نصيح بعيد عن التسرّع والخطل ، ويبقى هذا المحتوى يدور في اغلب قصائد مهيار التي قيلت في مديح محمد بن ايوب وهذا امر طبيعي ، فمهيار لا يكرر صورة وانما يلتزم تقاليد ثابتة في مدائحه(١٠٥) .

واذا مدح مهيار رجال الفرس عرف كيف يرضيهم ويرضي نفسه بالفخر الفارسي وهم بحكم ثقافتهم العربية ينتظرون من مهيار ان يجمع لهم التقاليد العربية والفارسية في مديحه .

اما مدائحه لجلال الدولة فقد جاءت متناسبة مع عظمة السلطان وتميزت بطابع المبالغة والغلو مع الاشادة بالسلطان في حفظ الامن وصلاح الامة وتقواه وحسن اسلامه ، وقد غلب عليها طابع الدعاء الطويل المناسب للامير صاحب الالقاب الفخمة والامجاد العظيمة .

التقاليد البدوية والحضرية في مديح مهيار :

في دراستي لقصيدة مهيار وملاءمتها للممدوح اوضحت صورة من صور المدح العربي الاصيل الذي انتهجه مهيار في مدح آل مزيد والاشادة بمفاخرهموأمجادهم العربيـة(١٠٦) .

وهو كثير الافتخار ببدوية قصيدته وتأكيد هذا الطابع لها ، وعندما يغلو مهيار في حبه للممدوح يصبح ـ كما يقول عن نفسه ـ بدويا عاشقا :

ظن غلوى فيك قوم سَرَفـاً   وفرطَ حبي زُخْرُفاً مختلقـا
وزاد حتى لن يقولوا حاضرٌ   ودّ فقالوا بدوىٌ عسقا

ومهيار لا يقطع صلته بالحاضرة وقصيدته تجمع بينهما كما يقول :

---

(١٠٥) انظر قصائد مهيار في الديوان جـ ٢ ص ٣٤١ ، ١٤٣ ، جـ ٣ ص ١٧٢ ٣١٦ ، جـ ص ١٧١
(١٠٦) الرسالة ص ١٠٩

حاضـــرةٌ تحسبَهـــا باديـــةً تديّرت داراتِ خَبْت فالبُرَق(١٠٨)

ومدح مهيار لرجال عصره بألفاظ الحاضرة وقيمها امـر طبيعي لشاعـــر يعيش في بغداد في القرن الخامس للهجرة وفي تمام نضج الحضارة ورونقها وترفها، ولكن اتجاه مهيار البدوي في مقدمته النسيبية وفي محتوى مديحه يحتاج الى تحليل اسبابه ودوافعه بالنسبة لشاعر فارسي الاصل عاش حضارة بغداد •

وقد اشرت في المقدمة التي كتبتها عن عصر بني بويه الى ان التيار الشعري الحضرى سار جنبا الى جنب مع التيار العربي التقليـدي ، ولـكن مهيـار الشـاعر البغدادى رفض ان ينهج نهجا حضريا في قصيدته وحاول ان يتجه الى الاسـلوب العـربي التقليدى •

والواقع ان عوامل عديدة دفعت مهيار الى هذا الاتجاه وأثرت في نمو هـذا الطابع الفني ، فمهيار شاعر كتب باللغة العربية وتأثر بثقافتها وأعجب بها ، وكـان تأثير هذه الثقافة واسعا بحكم كونه شاعراً مقلدا فيإستعارة صور الشعراء وأساليبهم•

وقد رأينا هذا الشاعر في بدء نشأته الشعرية يجمع في مقدمته النسيبية بـين روح وطابع البداوة وتطورت هذه المقدمة لتصبح تقليدا بدويا ظاهرا ، وكان هـذا التطور وثيق الارتباط بنضج مهيار وتمام ثقافته الشعرية وهو يحاول ان ينفصـل عن جو الحاضرة وأسلوبها وصورها •

ويبدو ان رأى ابي حيان في لياليه كان على كثير من الصواب في تأكيده على ضرورة اتقان فنون الحضارة في الشعر قبل الانتقال الى اسلوب اهل البادية(١٠٩)•

اما السبب الآخر فيرتبط بالطبقة التي مدحها مهيار والتـي عرفت بثقافتهـا العربية الاصيلة جذورها الفارسية وقد رأينا اكثر وزراء بني بويه رجال ادب

(١٠٧) ديوان مهيار ط دار ج ٢ ص ٣٢٥

(١٠٨) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٤٩
خبت : المطمئن من الارض فيه رمل وهو علم لصحراء بين مكة والمدينة ، وقربة من زبيد في اليمن

(١٠٩) البحث ص ٣٣

وثقافة ، وكان على مهيار ان يرضي هذه الطبقة ويحقق رغبات ذوقها في مديحه(١١٠).

وكان عصر مهيار عصر تشيع وتصوف ، وهو بحكم ثقافته الشيعية وما تحمل من تأثيرات صوفية(١١١) تأثر الى حد بعيد بالجو الديني القائم على الهروب من فساد الحضارة ومتاعبها وأهوالها ، وكان لهذا الوضع الفكرى والعاطفي تأثيره على الوجهة الفنية لقصيدة مهيار بشكل مباشر او غير مباشر .

ومهيار بعد ذلك تلميذ الشريف الرضي في الشعر ، وكانت امنيته ان يسير في خط استاذه يعارض قصائده ويعيد كثيرا من تقاليدها الفنية ، الا ان مهيار لم يحقق النجاح الذى حققه استاذه في نهجه الفني ، وتحملت قصيدة مهيار مظاهر البداوة والحضارة وبدت هذه الظاهرة في محتوى قصيدة المديح التي جمعت بين الظاهرتين .

والتقاليد العربية البدوية في مديح مهيار لا تقوم على وصف الممدوح بالكرم والشجاعة وباقي الصفات العربية فحسب ، وانما تقوم على الصورة العامة التي يحاول مهيار بها ان يبتعد عن الجو الحضرى ثم يجد نفسه مضطرا الى تقديم صورة حضرية ايضا مناسبة للممدوح ، فهو يمدح الوزير الفارسي ابا سعد بن عبدالرحيم فيقول :

فتى صُحْفُه في النازلات دروعُه ... وأقلامه فيها قَناً ونُصول
تَشُلُّ العدا حتى يقال كتائب ... وتحوى المدى حتى يقال خيول
وان شهد اليوم القطوب تهللت ... قسائمُ وجهٍ كلهن قَبول
يَضحْنَ اذاالأوضاح في النَقع بهمتْ ... ويبسمن أمناً والنفوس تسيل
وفارقها صَلبَ العصا لم يرع له ... جَنانٌ ولم تُرعَدْ اليه خصيل
من القوم لم يُخزِ القديمُ حديثَهم ... ولم تتخذل بالفروع اصول
اذا الأبُ منهم قص مجدا على ابنه ... تقبل اثارَ الأسود شبول(١١٢)

---

(١١٠) امثال الوزير المغربي وابي سعد بن عبدالرحيم وابن ايوب وغيرهم
(١١١) في فصل التشيع تفصيل لهذه العلاقة
(١١٢) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ١٩٠

وتبدو الصورة مقتبسة من شعر المتنبي والسموأل في وصف ممدوحه بالمجد الاصيل وكريم النسب والشجاعة العربية الاصيلة(١١٣) ، ونجد هذه الصورة العربية في قوله يمدح ابن ايوب وعائلته :

كرامٌ ترى سرَّ أعراضهم مَصونا وسرَّ غناهم مُذاعا
اذا اجدبوا خصّهم جدُبهم **وان اخصبوا كان خِصباً جِماعا**

ويقول فيها :

فتى ملءُ كفك **ان جئتَه** وفاءً اذا العَضدُ خان الذراعا
ربيعُ الجناب اذا ما الرياح الصقن بالوَهَدات التلاعا
اذا فض ناقلةَ الأُعطياتِ توهم يقسم حقاً مشاعا
فلو جئت تسأله نفسه لخالك كلفته ما استطاعا(١١٤)

وفي احدى مدائحه للوزير الفارسي الاصل ابي المعالي بن عبدالرحيم يبالغ مهيار في صورته العربية في الكرم ليقول فيهم :

لنيرانهم في مُتون اليَفاعِ لِحاظٌ الى طارق الليل صورُ
مواقدُ تُضَرمُ بالمندلي وتُنحر من حولهن البُدور
عُلاً شادها مجد عبدالرحيم على خِطةٍ خطها اردشير(١١٥)

ويظهر ان عائلة آل عبدالرحيم كانت تطالب الشاعر ان يضم لها الامجاد العربية الى جانب امجادهم الكسروية ويحاول مهيار ان يجمع بين الصورتين وقد يبالغ احيانا في صورته العربية التي تضم ملامح الكرم العربي في اصوله القديمة كما يبدو في قوله يمدح الوزير الفارسي الاصل ابا سعد قائلا في قومه :

لهم نار على شَرَفِ المقارى اقر الله عيني من رآها

---

(١١٣) ديوان السموأل طبعة بيروت ص ٩١ ديوان المتنبي ص ٣٧٧

(١١٤) ديوان مهيار طبعة دار ج ٢ ص٢٠٢ ـ٢٠٣ ، التلعة : ما ارتفع من الأرض ، الوهدة : الأرض المنخفضة

(١١٥) ديوان مهيار ط دار ٣٩٦

اذا قصَر الوقودُ الجزل عنهـا قبيل الصبح مُنـدِلَ موقداهـا
تضيء كأنهـا والليـل داج تَزيّدُ من جباههم جُذاها
يبيتُ سميرَ سؤدُدِها عليهـا فتى منهم اذا قرَّ اصطلاها
يماطل نومـهَ عـن مقلتيـه تَطَلّع نفسه ضيفاً اتاها
اذا الكومـاء يُسمنُها ربيـعُ وغصت بالأظالـع عرضتاها
وراحت تشرُف النَعمَ استواءً كأن مِلاطَ روميّ بَناها
رأى الاضيافَ اولى ان يهينوا كريمتها ويهتدموا ذراها
اذا ما خاف من قِدرٍ عليها مماطلـةً تعجّلَ فأشتواها
وقام فأطعم الهنـدي عَقْـرا اسافلَها ليُطعِمَهم عُلاها

ولا ينسى مهيار الاصول الفارسية في المديح فيقول :

وبات يَسُرُ نفسا لو عداها غنى الأموال موّلها غناها
نمت اعراقُها في بيت كسرى الى غيناءَ محلولٍ جَناها(١١٦)

ومهيار في هذه الصورة لا يمدح شيخ قبيلة ، ولا صاحب مضارب ترتفع نيران مواقده في ليالي الصحراء ، يستهدى بها التائهون حيث يجدون الدفء والامن والطعام ، وممدوحه لم يحلم في حياته ان ينحر ناقة تشوى للضيفان ولكنه يسحب هذه الصور بطابعها العربي البدوى ، ويريد ان تنسب اليه مكارم العرب وامجاد الفرس •

وليس هناك غرابة في الامر ، فالعصر عصر تناقض وغلو ومفارقات ، فالممدوح الفارسي يتمنى امجاد العرب والممدوح العربي يريد ان يوصف بمكارم العرب وبخير ما عند الفرس من مناقب وأمجاد ، ولهذا فمهيار يمدح اميرا مزيديا ويشيد بقبيلته فيقول :

ادع الى النصر الحسام المُنتضىُ وأسألْ عن الغيثِ الغمام المُسبِلا

---

(١١٦) ديوان مهيار طبعة دار ج ٤ ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ، مندل بفتح اوله واسكان ثانية وبعده دال مفتوحة بلد في الهند يجلب منه العود الفائق ويقال المندلي

واجلُ دجاهـا بفتـى خُزيمـةٍ ما صَدَعَ البرقُ الغمامَ فأنجـلى
وافتح « بمجدِ الدين » إنْ مَدّ لها يمينَه بـابَ السَماح المقفـلا
بالعـربـي نَسَـبا وكرمـا والفارسي سِـيرة ومنـزلا(١١٧)

وصورة مهيار العربية لا تخلو من اثار الحضارة في مبالغاتها وغلوهـا ، فمهيار كما قال يجمع في قصيدته بين الحاضرة والبادية ، وهو في مدائحه يعرض القيم الحضرية وما يتعلق بالسلطان والوزارة بأسلوب حضرى بين ، وقد اعتاد ان يشير الى مركز ممدوحه وصلاح سيرته ونشره الامان والعدل بين الناس ، وفي مدحته للوزير ابن ماكولا اشار بالممدوح على الطريقة العربية وانتقل الى وصف سيرة الوزير في قوله :

وأمـدّكَ اللهُ المعونـةَ فـي عَزمْيك من سير ومن حِـل
ارضـاك باطُنك المخلّصُ مـن غش يَرينُ عليـك اوغِـل
ولا ّكَ امـرَ عبـادِه نَظَـراً منـه فمـا تُدهـىَ من العَـزلِ
وملكت اهـواءَ القلوبِ فمـا تُسلىَ على هَجْـر ولا وَصل
عافيت اهـلَ الأرض من سَقَمٍ عرضوا لـه بالمـال والأهـل(١١٨)

ونجد صورة اخرى من هذه القيم الحضرية في وصفه لوزارة مؤيد الملك الرخاجي :

تسربل بأثـواب الـوزارة انهـا لـك انتضمت اردانهـا وجيوبُهـا
وقد طالمـا منيتهـا الوصل مُعرِضـا وباعدتهـا من حيثُ انتَ قريبُها
ومن يـك مولاهـا الغريبَ وجارَها فـأنت اخوهـا دِنيـةً ونسيبُهـا
بلطفِك في التدبيرِ شابَ غلامُهـا على السيرةِ المُثلى وشبّ ربيبُها(١١٩)

---

(١١٧) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٠٢ خزيمة قبيلة الممدوح ومجد الدين من القابه
(١١٨) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٣ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠
(١١٩) المصدر نفسه جـ ١ ص ٤٨ وقد اخذت رواية طبعة بغداد في انتضحت بدل انتصحت جـ ص ١٧

وكانت صورة الوزارة وما يتبع ذلك من تكرار قد ادى الى محتوى حضري يغلب عليه اسلوب العامية والابتذال كأن يصف مهيار الوزارة بالمرأة الجميلة التي تبحث عن بعلها او يصفها بأمرأة عجوز شمطاء لن يلتفت اليها الوزير الذي اصابته وحشة ابتعد معها عن الحكم ، وعندما تولى ابو القاسم المغربي وزارة بني بويه قال له مهيار مادحا •

بك اشتفى الفضل وأبناؤه ... بعد عموم السقم المنصب
والقم الملك هدى نهجه ... وكان يمشي مشية الأنكب
وزارة قلبها شوقها ... منك الى حوّلها القلب
جاءتك لم توسع لها مرغباً ... وليتها المهر ولم تخطب
كم اجهضت قبلك من عدّهم ... لها شهور الحامل المقرب
وولدت وهي كأن لم تلد ... ام اذا ما هي لم تنجب
قمت بمعناها وكم جالس ... تكفيه منها سمة المنصب(١٢٠)

وقد تداول مهيار في موضوع الوزارة هذه الصورة الحضرية المبتذلة في الطلاق والزواج وما يتبع من وصف الوزارة بالمرأة الجميلة او المرأة الشمطاء ، ونجد هذا الابتذال الفاضح في قول مهيار في احد ممدوحيه :

اذا طلّقت منك الوزارة اصبحت ... مجذّذة من حسنها تتسلب
تغوّث بالاسحار تدعو صباحها ... وتبكي زمان الوصل منك وتندب(١٢١)

كان مهيار في مدحه العربي الاصيل ، وهو يستعير الصورة العربية القديمة محتفظا بمستوى لائق لقصيدته رغم التقليد والتكرار والمبالغة ، الا انه في قيمه الحضرية لم يستطع ان يرتفع عن الصورة العادية التي تتداولها العامة في الفكرة والاسلوب ، وكان هذا الجمع للصورتين واضحاً في اكثر قصائد مهيار ، ورغم

---

(١٢٠) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٨١ ، ٨٢ اللقم : الضم الطريق او وسطه
(١٢١) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤٤

محاولاته لاخذ قصيدته الى نهج عربي اصيل بقيت عوامل الحضارة تعمل عملها في قصيدته .

لقد كان ابن الحجاج وزميله ابن سكرة يمثلان ادبا شعبياً بلغة عربية غير سليمة وهو اتجاه شعرى نما بوضوح من تأثير العصر وكانت هذه العوامل تؤثر بقدر في شعر مهيار وفي محتوى مديحه وأسلوبه .

صورة العصر في مديح مهيار :

في الوصف الذى قدمته لعصر بني بويه قلت : إنّ هذا العصر هو عصر التناقضات السياسية والاجتماعية ، وعصر اختلال القيم والموازين والتقلب السريع من حال الى حال ، وكانت هذه الظاهرة شاملة عامة لطبقات المجتمع في مصائبها وأحزانها ، فالوزير الذى يتربع على دست الوزارة لا يستطيع ان يقرر مايحدث له بعد ايام في وزارته ، وما تخبيء له الايام من مصادرة اموال وحبس وسمل العيون ، وعانت العامة ما عانت الطبقة العالية من خوف وهلع وما يتبع ذلك من شكوى وأحزان من فساد العلاقات وتقلب الاحوال .

ولم ينظر المجتمع الى السلطان وسوء تدبيره وتقلباته ، وحمل الحظ والدهر اسباب كل هذه الآلام والفواجع وآمن الناس بالاسطورة اكثر من أيمانهم بالحقيقة ، وقد جاءت قصيدة مهيار معبرة بوضوح عن هذا المظهر فهو في مواساته للوزير الذى اخرج من الوزارة لا يحمّل السلطان سوء فعلته ، وانما الدهر هو المسؤول عما حدث ، واذا اراد ان يشيد بسؤدد وزير او كبير اكد ان سؤدده لم يكن عن « حظ غلط » كما حدث للآخرين ، وانما جاء عن دراية وكفاءة وهذا ما نجده في حديث مهيار عن الحظ والدهر وتقلباته .

الحظ وتقلباته :

نظر مهيار في ابناء دنياه فوجدهم شاكين باكين من هذه الايام ومصائبها وهو رغم كثرة شكواه وأحزانه تعجب من هذه الظاهرة وقال :

ما أكثر الشاكين من دنياهُمُ فليت شعري هذه الدنيا لِمَنْ؟
وقد قلَبتُ الناس في حالاتهم فما وجدت راضيا عن الزمن
قد جعلوا الشكوى طريقَ بخلهم يعتذرون في النعيم بالمحن(١٢٢)

ومهيار ينظر الى شكوى الناس من خلال مصلحته الشخصية ، وينسى شكوى العصر وادعاء الناس للفقر خلاصا من المصادرات عندما تصبح خزائن الامير خاوية ويبدأ البحث عن اصحاب المناصب والاموال ، ومهيار نفسه جعل الشكاية من سوء الحظ ومن تقلبات الدهر مظهرا شخصيا في محتوى قصيدة المديح ، واعتبره طريقا مشروعا للكدية ، واصبح سوء الحظ طابعا مميزا لمهيار طيلة حياته .

وهو في قصيدته التي يدعو فيها الى المخاطرة من اجل المجد والمال يعتبر الحظ عاملا اساسيا في الحياة ويقول :

زاحِمْ على باب العلى ضاغطا لابدَّ ان تَدخلَ بين الزِحامْ
رامِ بها الليل فما يُسفرُ النجاح الا عن نِقاب الظلام
موارقا عن عُقْل أشطانها مروقَ فُوق السهمِ عن قوس رام
لعل حظا عُقمِت هذه الارضُ به يُولدُ بعد العُقام(١٢٣)

ويشكو مهيار من الدهر وسوء الحظ فيقول :

وكم قد شكوت الدهر لو كان مشكياً وعاتبتُ سوءَ الحظِ لونَفَعَ العتبُ(١٢٤)

ويشكو مرة اخرى من حظه ودهره فيقول :

الا هل رُقَيةٌ من مرِ دهرِ خفيِ الكيدِ شيطانِ العُرامةْ
يخاتلني الزمان فلستُ ادرى بأى جوانبي اتقي سهامَه
وحظِ لو سألتُ بِلالَ ريقي عُبابَ البحر صاعبني مرامه(١٢٥)

---

(١٢٢) ديوان مهيار ط ج ٤ ص ٤٩
(١٢٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣١٨
(١٢٤) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤٨
(١٢٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٦٣
الفوق : شق رأس السهم حيث يقع الوتر

وقد تداول مهيار موضوع الحظ في مديحه واشاد بممدوحيه الذين لم يكن الحظ سبب علاهم ومجدهم •

وهو في مديحه لعميد الدولة ابي سعد بن عبدالرحيم اعتبر امجاد الوزير قديمة ومتوارثة وجاءته عن حق وجدارة كما يظهر في قوله :

لم يأخذ السؤددَ حظاً غلطاً ... ولا العلى مغتصباً او مُقتَسرْ
ما سار في كتيبةٍ الا حمى ... وما امتطى وسادةً الا وزر(١٢٦)

اما ممدوحه ابن ايوب فقد فداه الشاعر بأعدائه الذين جاءهم المجد بسبب غلط الحظ :

فدى عميد الرؤساء مُصفِر ... لو طاب لا يَصلُح الا للفدا
يرضى بما ساق اليه غلطُ ... الحظ ولم يَسْعَ له مجتهدا
يعجَبُ من جهالة الأيام في ... وجدانه ما لم يكن لينشدا
تَحسَبهُ جاء يريدُ غيرَه ... فَضلَّ عن طريقه وما اهتدى(١٢٧)

اما تقلبات الدهر فهي في نظر مهيار مسؤولة عن ذهاب الوزارة واعتزال ممدوحه او حبسه ، واذا عادت الايام هانئة رخية طلب مهيار من ممدوحه ان يقبل اعتذار الدهر عما حدث وقد اشرت سابقا الى قصيدته التي كتبها للصاحب بن عبدالرحيم وفيها يصور الدهر معتذرا خاضعا يطلب العفو من الممدوح •

هل تقبلون إنابةَ الدهرِ ... ام تُنصِتون له الى عذرِ
وشمُ الندامة فوق جبهتِه ... ويداه بالأِقرار في أسْرِ

وكان على مهيار ان ينظم ما يطلب الممدوح والا يذكر السلطان الذى ابعد ممدوحه عن منصبه وان يحمل الدهر ما حدث • وقد ادرك مهيار ان هذا الدهر متقلب خداع لذلك جاء شفيعا له عند ممدوحه مؤكدا وفاءه(١٢٨) :

(١٢٦) ديوان مهيار طبعة دار ج ٢ ص ٤١
(١٢٧) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٣٧
(١٢٨) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨٨

وانا الزعيم لكم بعهدته ووفائه وشفيعه شعري

وقد كتب الشاعر للوزير نفسه مرة اخرى مبشرا بالوزارة فقال :

وكم قد هفا الدهر من قبلها وعاد وأقلع عما اجترم
وجاءك يحمله الأعتذار منيباً ويشفع فيه الندم[129]

ويبدو أن هفوات الدهر لم تنته في هذه الحياة السياسية القلقة التي لا تستقر على حال ، ومهيار يعرف ذلك ويدرك الامر بفطنته ، ويذكر ممدوحه بهفوات الدهر السابقة ، وكيف عادت الايام زاهية ، وما هذه الهفوة الجديدة الا كسابقتها ، فالشاعر يقدم صورة للعصر الذى تتقلب ايامه بين يوم وآخر • وهو في روح التخاذل والسلبية يمثل عصر تواكل وانخذال ، وقد تبع ذلك أن تلونت هذه الصورة بطابع من انهم والاحزان الشخصية ، وقد وجد مهيار دهره في غدره شبيها للناس في غدرهم :

ما أشبه الناس بالزمان وما اقل فرقاً بالغدر بينهم[130]

الوشاة والحساد :

ظاهرة الحسد والوشاية ليست جديدة على المجتمعات في علاقاتها وسلوكها، الا انها تكون اكثر شيوعا في المجتمع الذي تأخذ به عوامل الانحلال والفساد • وكان عصر بني بويه بحكم تناقضاته واختلاف عناصره من اكثر العصور ابتلاء بهذه الظواهر ، بعد ان سادت الحياة الاجتماعية والسياسية عوامل الانحلال وانعدام القيم ، وأصبح الحكم الغريب ببغداد يعتمد اول ما يعتمد على التناحر واذكاء الخلافات بين مختلف طبقات المجتمع •

وقد تميز سلوك الطبقة الحاكمة بالغدر والتقلب والنكث بالعهود ، وكان معتادا ان يحلف الامير البويهي للخليفة العباسي ثم يخونه ويصادره ، وأصبحت المناصب تعرض للبيع كلما نضبت خزائن الامير البويهي ولم يجد ما يصادره •

---

(١٢٩) ديوان مهيار طبعة دار ج ٣ ص ٣٩٣
(١٣٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٥٩

وقد ابتلي مهيار بالوشاة والحساد وقادته الوشاية الى الاعتقال في عهد جلال الدولة ، وقد اشار في قصيدته انه هجر ابواب الملوك خلاصا من الاذى وابتعادا عن الوشاة والحساد •

اتعــرف يـا مـولى الملوك كقصـة ... بُليتُ بها بالأمس والحرِ يُبتلى
ابعـد قُنوعي بالثِمـاد تعففـاً ... وهجـرى ابـواب الملوك تعـزّلا
وظلمي فضلي واهتظامي توحـدي ... مخافـة أنْ أُوذى وان اتبـذلا
يسيء رَعاعُ الناس عندك سُمعتي ... ويُشعرُ أنيحزْتُ مالا مؤثلا(١٣١)

ويبدو من ابيات مهيار ان صاحب الفضل والشهرة لن ينجـو مـن الاذى والابتذال ، ولابد ان تأخذ به وشاية واش الى سجن واعتقال ، او يسعى به عدو كاشح الى سوء حال ومصادرة اموال ، وأصبح التعرض لاعداء الممدوح صـورة مميزة لقصيدة مهيار في المديح حين يتعرض للاعداء والحساد ويعقـد المقارنات بين ممدوحه وأعدائه ، ونجد هذه الصورة في مديحه لمحمد ابن ايوب وفيهـا يشير الى اعدائه قائلا :

اقرّ لـك الأعداء بالفضـل عَنـوةً ... ومعترفٌ مـن لم يسَـعه جحـودَ
وكيف يُمـارِى في الصباح معانـدُ ... وقـد فلق الخضراءَ منـك عمـودُ
تسمّع من الحسـاد وصَفـك واغتبط ... فأعجب فضـل ما رواه نديـد(١٣٢)

وعندما جرت نبوة للصاحب بن عبدالرحيم ونفور من السلطان وصف مهيار وضع الوشاة وسعايتهم للايقاع بين السلطان وصاحبه فقال :

مـدّ الوشـاةُ لـه رقابَهُـمُ ... يتطلّعون عـواقبَ المكْـرِ
يرمـون بالأبصـار رائـدةً ... أنىّ تَصوبُ سـحابةُ الشـر
ظنّوا اليـد اليمنى اذا بطشـتْ ... قطعتْ بيسراهـا عـن النصـر
والنيـران وإنْ همـا اختلفـا ... فالشـمس لا تُرتاب بالبـدر

---

(١٣١) ديوان مهيار ج ٣ ص ١٩٧
(١٣٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٢١١

يا خابَ سعي مرقّشين مَشَوْا بالغش بين الماء والخمر
ومسولين نفوسهم حسداً ان القِطار تُظُن كالبحر(١٣٣)

فالحساد والوشاة يتربصون برجال السلطان الدوائر ، ويتظرون الجفوة ليزيدوا النار اشتعالا ، وليتواثبوا على مصاحبة السلطان ونيل رضاه ، ومهيار في ابياته يدعو لهؤلاء بالخيبة في مسعاهم الخبيث للنيل من ممدوحه الوزير ٠

وكان تأثر هذا الوضع السياسي والاجتماعي واضحا في قصيدة مهيار التي التزمت تقليدا فنيا اصبح جزءاً من القصيدة ومتمما لمحتوى المديح ، وهو ما اسميه بصورة التفدية ، وصورة التفديه هذه تقوم على الدعاء ببقاء مجد الممدوح ، وتفديته بأعدائه وحساده الذين لا يستطيعون نوال مجده وعلاه

وقد جمع مهيار بين صورة الحسد والتفديه في مدحته لمحمد بن ايوب التي لوح فيها بذكر هفوة جرت وأسفرت فقال :

يحسُدك الناس وايُّ عاجز لم تُدوه شقاوةٌ بقادر
وإنني معْ بُغض كل حاسد اقضي لحسادك بالمعاذر
يفديك كلُ ساكتٍ مُدامجٍ بغُلّهِ وبائحٍ مُظاهر(١٣٤)

ومهيار اشار الى حساد ممدوحه ثم فداه بهؤلاء الحساد الذين ينتظرون الهفوة ، ويستبشرون بما يصيب الممدوح من عثرات ، وقد توسعت عملية التفدية وشملت الاشراف والاصدقاء والكتاب كما شملت الوزراء ، وتطورت لتكون مقارنة بين كرم الممدوح وبخل الآخرين ، وتظهر هذه الصورة في قوله لاحد الرؤساء الكتاب :

يفديك معتلُّ المكارم جودُه قولٌ اذا ما أنت قلت لتفعلا
و مُزنّدُ الكفين غايةُ رأيِه عجزٌ وغايةُ وعدِه ان يَمطُلا(١٣٥)

---

(١٣٣) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ٠ المرقش : المزور ٠
(١٣٤) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٠ ـ المدامج : الموافق

ومهيار عندما يشيد بعلو همة ممدوحه يقارن بينه وبين اعدائه ويفديه بهم ويصفهم بالتخاذل وضعف الهمة ، وقد قال من قصيدة يمدح ابا سعد بن عبدالرحيم •

يَفديكَ مشمولُ بظلِ غيرِه يسعىُ سِواه وهو كاسٍ طاعمُ
نام على هذي الصَفاة غَفلةً وانتَ من نَبْذِ احَصاة قائم
عاقدَ في حب الهوينا عَجزَه الا يبالي ما يقول اللائم(١٣٦)

لقد كانت صورة التفدية اسلوبا في المدح نجدها في شعر استاذ مهيار الشريف الرضي ، الا أنها فيشعر مهيار اصبحت تقليدا واضح الالتزام ، وتعبيرا واضحا عن صورة قاتمة من صور العلاقات الاجتماعية والسياسية في عهد بني بويه •

الكدية في مديح مهيار :

ومن المظاهر الاخرى التي تمثل العصر في شعر مهيار كثرة الاستجداء والسؤال والاشارة الى سوء الحال ، ومهيار كما رأيناه ينظر الى شكوى الناس من الزمن ويعتبرها طريقا لادعاء البخل ، ونظرته نظرة الشاعر المرتزق وفطنته فطنة المكدين المعترفين •

وقد نشط شعر الكدية في عصر بني بويه وأصبح اعترافا عند عدد من الشعراء يفاخرون به ويتباهون ، وكان مهيار اكثر الشعراء التقليديين كُديةً وسؤالا يطالب بثمن قصيدته اذا تأخر ويطلب المزيد من ممدوحيه شارحا سوء حاله وكثرة اطفاله ، فهو يقول الوزير المغربي الذى عُرِف برعايته الدائمة للشاعر :

ولم استزدْ نَعماك الا ضرورةً وقد تُستزادُ المُزنُ وهي دوالح
بما ثقّلت ظهري الخطوب وضاعفت تكاليف عيشي وانحنتني الجوائح(١٣٧)

(١٣٥) المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٤٠ ـ المزند البخيل ، واعطاء مزند : قليل
(١٣٦) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٤ ص ٢٠
(١٣٧) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٢٤

وكتب الى احد الرؤساء الكتاب يشكو الحال ويستجدي قائلا :

فلا ترمين بحقي وراء ظهر النسيئة ملقى سدى
ولا يشغلنك عز الولاة عن حرماني وبعد المدى
فليس الوفي المراعي القريب ولكنه من رأى الأبعدا[١٣٨]

وكان الاستجداء جزءاً من قصيدة مهيار طيلة حياته وبقيت الشكوى من الفقر وطلب العون قائمين الى اواخر حياته ، وقد كتب قصيدة الى الوزير هبة الله بن ماكولا سنة ٤٤٦ للهجرة يشكو حاله وينتظر العون قائلا :

دعوناكم من وراء التي لسان البليغ بها يحصر
وعن خلة باطن داؤها تجمل بالصمت او تستر
مكحلة خشن مسها الى اكلنا فمها يفغر
يعز على المجد والمكرما ت أنا بأنيابها نعقر
ونحن من الدهر بل منكم بما سد خلتنا اجدر[١٣٩]

ومهيار في كديته ليس غريبا عن عصره ، فهو شاعر مرتزق اصبحت قصيدته وسيلة الطلب اذا ما انقطعت الصلة وساء الحال ، فاذا وجد المشترى المعجب ساومه وطالبه بأغلى الاثمان ، واذا الحت عليه الحاجة طلب واستجدى والح في السؤال .

حب الممدوح في مديح مهيار :

كان زهير مخلصا في مديحه لهرم معجبا بمواقفه في اصلاح القوم وأطفاء نار الفتنة وحقن الدماء ، الا أنه لم يكن محبا عاشقا لممدوحه ، ويبدو أن عشق الممدوح لم يكن من تقاليد المديح العربي قديما ، وانما كان هناك اعجاب بصفات ومكارم وأمجاد .

ولعل ابا الطيب المتنبي كان رائدا في هذا الميدان ، وقد عرف في سيفياته

(١٣٨) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٦٦
(١٣٩) ديوان مهيار جـ ٢ ص ٣٩
خلة : حاجة ، مكحلة : شديدة في جدبها

عاشقا مُتيما بممدوحه سيف الدولة الحمداني يفتتح قصائده بحب الممدوح بدلا من التغزل بالحبيبة وقد عرف بقوله في مدح سيف الدولة :

واحر قلباه ممن قلبُه شبِمُ ... ومن بجسمي وحالي عنده سَقَمُ
مالي أُكتّمُ حبا قد برى جسدي ... وتدعي حبَ سيف الدولة الأممُ
ان كان يجمعنا حبٌ لغُرّته ... فليت أنا بقدر الحبّ نقتَسِمُ[١٤٠]

وقد خاطب المتنبي ممدوحه بقصيدة اخرى واظهر حبه فقال :

أُحبك يا شمسَ الزمان وبدرَه ... وان لامني فيك السُهى والفراقد
وذاك لأن الفضلَ عندكَ باهرٌ ... وليس لأن العيشَ عندكَ بارد[١٤١]

ويبدو ابو الطيب في حبه عاشقَ مثلٍ وفضائلَ ، وهو يرى في سيف الدولة صورة للبطل العربي القائد في عصر اصبح فيه ملوك العرب اعاجم وولاة امرهم غرباء ، الا أن المتنبي لم يظهر هذا العشق لسيف الدولة فحسب • ونجد في قصائده لكافور ما يشير الى هواه لهذا الوالي الاسود الذي سخر منه احيانا في مدائحه[١٤٢] وأظهر المتنبي هذا الحب للامير عضد الدولة وأكد ان هذا الامير ختم على فؤاده بحبه وهواه[١٤٣] •

وقد عرف الشريف الرضي بحبه لممدوحيه وقد اعتاد ان يعطي حبه للخلفاء الذين تجمعه وأياهم روابط النسب والمجد المتوارث والدوحة الكريمة وعبر الشريف الرضي عن حبه للطائع في قوله :

كيف انسى وقد محضتك اهوائي وحصّنتُ عن عدوك حبي[١٤٤]

وقال مادحا الطائع في قصيدة اخرى :

لئِن كان شخصي في غيركم ... فأن اقلبي فيكم مُقاما

(١٤٠) ديوان المتنبي ص ٣٢٢
(١٤١) المصدر نفسه ص ٣١٤
(١٤٢) المصدر نفسه ص ٤٥٨ ، ٤٨١
(١٤٣) المصدر نفسه ص ٥٨٤
(١٤٤) ديوان الشريف الرضي طبعة القاهرة جـ ١ ص ٨٥

وأن لســـاني لـــكم والثنـــاء   وأنّ ولوعي بكم والغَراما[١٤٥]

ويبدو لي أن هذا المظهر في قصيدة المدح العربية جزء من التلمذة الشعرية المتوارثة في خط يمثل المتنبي والشريف الرضي ومهيار ، وقد عرف الشـريف الرضي معجبا بفن المتنبي مقتبسا لكثير من معانيه ، كما عرف مهيار تلميذاً للرضي في فنونه الشعرية .

وقد اكثر مهيار من الاشارة الى حب الممدوح وجعل هذا الاسلوب تقليـدا فنيا في كثير من قصائده ووجد فيه صورة من صور النفاق الاجتماعي ووسـيلة لارضـاء الممدوح والغلو في مدحه .

ولم يقصر مهيار هذا الحب على ممدوح واحد او على مجموعة مـن هؤلاء الممدوحين اعجب بهم وأحبهم ، وانما التزم هذا التقليد في بداية شعر المـديح وبقيت تقاليده قائمة في قصائده ، ونجد جذور هذه الظاهـرة في مدحـه للكافي الاوحد وقوله لـه :

ونفسي لـكم تلـك التي لِودادِ هـــا   ولو أُغضِبتْ فيواجبالفُ موُجِب
أمدحُ منهـــا مـــا اختبرتُم وإنمـــا   يُظن بعِتقِ السيف ما لمْ يُجَرّبِ
هجرت لك الأقــوام حُبـــا فوفنـــي   يَبِنْ بي الى جدوى يديك تحزبي[١٤٦]

وواضح ان مهيار ربط هذا الحب بالكدية والسوأل ، وقد تفنن في ابتكار روابط هذا الحب وأسبابه فهو في مديحه للامير المزيدى المعروف بتشيعه يعبر عن هذا الحب في قوله :

احببتكم وبعيـــدٌ بـين دوحتنـــا   فكنت بالحب منـكم ايّ مقتـرِب
وَوِدّ « سلمان » اعطاه قرابتَـــه   يوماً ولمتُغْنِ قربى' عن«ابيلهب»[١٤٧]

ويقول مهيار لامير مزيدى آخر وهو دبيس بن علي بن مزيد :

---

(١٤٥) ديوان الشريف الرضي طبعة بيروت مجلد ٢ ص ٣٢٣
(١٤٦) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ١٨
(١٤٧) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ص ٢١

أحِنُّ الى لقائـك والليـالي ... عليّ مع العوائق لي جُنـودُ
وتجذِبُني نوازعُ مُوقظـاتٌ ... اليـك ووراءها قَـدَرٌ رَقودْ
وكم وعدت بـك الآمال نفسـي ... ويقضي الدهرُ ان تُلوىْ الوعود
فهـل من عَطفةٍ بالـود اِنـي ... على شَحْطِ النـوى خِلٌ ودود
محبٌ بالصفـات ولم اشـاهد ... كـأني من نَجّيـكم شـهيد[148]

ومهيار في حبه يبدو متصوفا اضناه الحب وأخذ بلبه وعقله ، وليس هـذا الامر غريبا على شاعر متشيع عاشر عصرا اختلطت فيه اتجاهات التصوف والتشيع وظهرت عند الفرس اكثر من غيرهم[149] ، ونلمح هذه الظاهرة في قصيدته التي مدح فيها كمال الملك وأغناها بروح المتصوفة واصطلاحاتهم فهو يقول في حبـه للوزيـر •

وودُ نفسـي لـو أنّ باطنهـا ... يُحَملُ في حبـكم على الظاهـر
وان ترى عينُكَ العليّـةُ مـن ... تحتِ شَـغافي نصيبَـكَ الوافـر
فتصـرف الشـكَ باليقـين اذا ... بلوتَ سـرى بالفاحص السابر

ويقول بعد ذلك :

واعـلم بأني ما اشتَقتُ عهـدَ الصبـا العـافي ولا سُكرةَ الغنـى الفاجـر
شـوقي الى ان اراك او سـترى ... ذاك بأنسـان عينـي الناظـر[150]

وليس لدينا دليل تاريخي على اشتغال مهيار بطرق المتصوفة والاهتمـام بافكارهم ، الا ان هذا لا يمنع من استعمال اصطلاحاتهم وهـو كفارسـي متشيع اكثر من غيره تعرضا لهذه التأثيرات •

الا أننا لا نستطيع ان نرجع هذه الظاهرة الى عوامـل التصوف والتشيع

---

(١٤٨) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٩١
(١٤٩) انظر كتاب الصلـة بين التشيع والتصوف لكامل مصطفى الشـيبي جـ ٢ ص ٩٨
(١٥٠) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٢ ص ٩٩

بشكل قاطع ، وان حاول مهيار التفنن بهذا الحب والاستعانة بطابع الصوفية وأسلوبهم ، فمهيار في الواقع يطور اسلوبا فنيا وجد فيه ما يلائم روحه ونفسيته وفيه ما يرضي الممدوح في ادعاء هذا الحب وأعلانه .

وليس معقولا ان يسع قلب مهيار حب كل الممدوحين ، فهو يمدح كاتبا مهنئا بالمهرجان ويقول له :

انا من أَسر لك المودةَ قلبُه | وطوى لذاك لسانَه مُتجمّلا
ورأى بقربك ما رأى بحبيبه | صبٌ الفؤاد شفاؤه ان يُوصَلا[١٥١]

ويقول لآل عبدالرحيم :

احن لكم حنة العاشقين | فأمد حكم مثل ما انسُبُ
على ملل فيكم لا تزالُ | بجنبي قوارفُه تَنْدُبُ[١٥٢]

ويظهر ان هذا الحب صورة من صور النفاق والمبالغة وتقليد شعري وجد فيه مهيار ما يحقق غرضه في ارضاء الممدوح وأنتظار هباته ، وان تفنن الشاعر بهذا الحب وحاول صبغته بطابع الهَيام والشوق اللاهب .

الفخر بالقصيدة في مديح مهيار :

يقول ابن رشيق : إنّ من آداب الشاعر الا يكون معجبا بنفسه مثنيا على شعره « وان كان جيدا في ذاته حسنا عند سامعه ، فكيف ان كان دون ما يظن » ، وجوز هذا الفخر اذا اراد الشاعر ترغيب الممدوح او ترهيبه فيثني على نفسه ويذكر فضل قصيدته[١٥٣] .

وفخر الشعراء بشعرهم قديم ومتداول ، وقد خصص الجرجاني فصلا

---

(١٥١) ديوان مهيار طبعة دار ج ٣ ص ١٤٠
(١٥٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٩٧
(١٥٣) العمدة في الشعر ج ١ ص ٢٠١

واسعا لوصف الشعر والادلال به لعدد من الشعراء امثال كعب بن زهير وحسان بن ثابت وبشار والفرزدق وأكثر من ذكر الاوصاف التي وصف بها ابو تمام شعره وتشبيهه القلادة والبرد المنمنم او أنها منقوشة كنقش الدنانير وأن صاحبها سهر الليل الطويل في ابداعها(١٥٤) .

ويبدو أن ابا تمام كان اكثر الشعراء وصفا لقصيدته وروعتها وفخامتها(١٥٥) كما عرف البحترى فخورا بشعره ينتظر مشاركة الآخرين اعجابه بقصيدته(١٥٦) وقد اشار البحتري في بعض قصائده الى ضرورة تقدير الثمن المناسب بعد ان وصفها وأشاد بروعتها(١٥٧) .

وكان المتنبي يعتبر قصيدته جزءاً من مفاخره الشخصية يُدِل بها ويفخر ويعلن توحده في دنيا الشعر ، فالدهر من رواة قصائده ، ومن يقول بعده لن يأتي الا بالمعنى المكرر :

أجزني اذا أُنشِدت شعراً فأنما
بشعرى اتاك المادحون مُردَّدا
ودع كلَ صوتٍ بعدَ صوتي فأنني
انا الصائحُ المحكي والآخرُ الصدى(١٥٨)

وقد وجد الشريف الرضي في فخر المتنبي بشعره ما يرضي نفسه الطموحة ذات الهمة العالية ، فقلده واستعار صوره ومعانيه وقال عن شعره :

انا القائلُ المحسودُ قولي من الورى — علوتُ وما يعلو عليّ مقالُ
يقولون حازَ الفضلَ قومٌ بسبقهم — وما ضرّني أني اتيتُ وزالوا

---

(١٤٥) دلائل الاعجاز ـ عبدالقاهر الجرجاني الطبعة ٤ دار المنار مصر ١٣٦٧ هـ ص ٩٣١ ـ ٣٩٧

(١٥٥) العمدة في الشعر ج ١ ص ٢٠١

(١٥٦) المصدر نفسه ص ٢٠٤

(١٥٧) ديوان البحتري ج ١ ص ٩٤ ، ٩٥

(١٥٨) ديوان المتنبي ص ٣٦١ قيس عزام

ولا فرق بيني في الكلام وبينَهم بشيء سوى أني أقولُ وقالوا[١٥٩]

والشريف الرضي في فخره بقصيدته يحاول ان يوثّق علاقتها فنيا بشعر الاقدمين ، ويفاخر بها خرائد مسلم في فصاحتها او يصفها بأنها محكمة تقف في قمم المجد بين الاشعار ، وقد اعتبر الرضي هذا المجد الشعرى مجدا شخصيا لا علاقة له بالجائزة او بطلب المال او استدرار عطف ممدوح .

وجاء مهيار فكان اكثر الشعراء احتفاء بقصيدته وافتخارا بها ، وأعتبر نفسه شاعر العصر الاوحد بعد وفاة ابن نُباته والشريف الرضي ، كما اعتز بمعاني قصيدته الفارسية التي جاءت باللفظ العربي وجمعت بين معاني العجم وفصاحة العرب .

وجاءت اوصاف قصيدته تكرارا وتقليدا لاوصاف سابقيه وزاد عليهم توسيع هذا الوصف واختتامه بتقدير هذه القصيدة ومراعاة ثمنها ، وقد كتب الى سعد الملك بن حاجب النعمان سنة ٤١٧ للهجرة ووصف قصيدته فقال :

فأسمع اقرّطْك شنوفا دُرّها لغير اذانكم لا تُثقَبُ
مِن المصونات التي تعنّست[١٦٠] خلفَ الخدور وهي بكر تُخطب
تنافس الملوك في مهورها واقترعوا في حبها واحتربوا
عندهم الرغبةُ والودُ لها وعندها المَلالُ والتَجنُبُ
وزادها نزاهةً وورعاً مني ابُ على البنات حَدِب[١٦١]

ومهيار لم يأت بجديد في وصف قصيدته ، الا انه اولع في وصفها بالمرأة الجميلة كما وصف الوزارة من قبل ، وأتبع ذلك بما تبدى هذه المرأة من دلال وتمنع ، وما يبذل لها الطالبون من المهور الغالية ، ونجد هذه الصورة مكررة في قول مهيار يمدح احد امراء بني مزيد فيقول :

---

(١٥٩) ديوان الشريف الرضي مجلد ٢ ص ١٢٧ ط بيروت
(١٦٠) تعنست : صارت عانسا
(١٦١) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ٩٢ ـ ٩٣

وهي التي شَجَتْ الملوكُ وخُودِعوا	منها على المنفوسِ والمرغوبِ
فأستقربوها مُغرمينَ بها وما	تزدادُ غيرَ تمنُّعٍ ونُكوبِ
وتفرّدتْ في ذا الزمان بمُعجِزٍ	لم تُؤتَ من ردٍ ومن تكذيب
فاعرفْ لها حقَّ الزيارةِ بَغتةً	وتَلقَّها بالأهلِ والترحيب
وأكرِمِ عليها تَجتَلبْ اخواتِها	ان الصَلاةَ تَتُمُّ بالتعقيب(١٦٢)

ومهيار كعادته يعيد الصورة السابقة لوصف قصيدته ، ويزيد عليها تذكير الممدوح بأن اكرام هذه القصيدة الفريدة يجتلب لها اخواتها الكريمات .

وقضية المهور الغالية التي تقدم لقصيدته تكاد تكون حديثا معادا ، اما الاوصاف الاخرى فهي اوصاف تقليدية معادة ايضا ، كأن تكون قيدته برودا نشرت حَبَراتها او هي كتابة النجوم في علو مكانتها ، لا تقل عن جهد زهير في مدح هرم بعد ان جاءت من كرائم فكر الشاعر فملأت عرض الفلاة وطبقت اقاصي الدنيا مشيدة بالممدوح وفضائله(١٦٤) .

وكل ادعاء مهيار بقصيدته واسعا ، فيه كثير من الغلو والمبالغة الرخيصة ، وقد وجد في هذا الوصف مجالا لتوسيع قصيدته في الحديث عن روعتها . وفي احدى قصائده يقول لممدوحه في وصفها :

تشتاقها الأرض وبعدُ لم تصلْ	لأنها تسبِقُها اخبارُها
يخالها النادى اذا اجتازت به	لطيمةً مرّ بها عطّارها
تحمل اثاماً بمدح غيركم	حتى تُحَطُّ بكم اوزارُها
تُهدِي لك الأعيادُ فيها طُرَفا	جواهرا تحت فمي بحارُها
مما توحدتُ به لم تُفتَرعْ	لا عونُها قبلُ ولا ابكارُها
ودت تميمٌ وفحولُ وائلٍ	من قبلها لو أنها اشعارُها(١٦٥)

(١٦٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٠١ ــ ١٠٢
(١٦٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١٧٤ ، ١٨٢
(١٦٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣
(١٦٥) ديوان مهيار طبعة دار ج ٢ ص ٩٣ اللطيمة : نافحة المسك

وبلغ الادعاء عند مهيار ان يفاخر بقصيدته عمرو بن كلثوم في وائل والفرزدق وجريراً في تميم ، وان يكرر توحده في دنيا الشعر ، الا ان هذا الشاعر المفاخر لا يستطيع ان يقدم فخرا جديدا ، فكرر هذا الادعاء في قوله لاحد ممدوحيه بخرائد فكر بها .

خرائدُ فكرى بها عن سواك ابيٌّ وفكرى بها عاضل
غرائبُ كل مُعانٍ لهنّ منتحلٌ وانا الناحل
يباهل فحلا تميم بها وُتوقِرُها لأبنها وائل(١٦٦)

ومهيار لم يفتخر بقصيدته لمجرد الادعاء وانما اعتبر هذا الفخر طريقا للمطالبة بالثمن الغالي واسلوبا جديدا من اساليب الكُدية والاستجداء .

العرض التاريخي في مديح مهيار :

أولع مهيار بعرض حوادث التاريخ في مدائحه ، واعتاد في هذا العرض على الخبر والحقيقة التاريخية اكثر من اي شيء آخر ، وقد افتقد هذا الاسلوب الطابع الفني والروح الشعرية .

وقد عرف ابو تمام في قصائده يعرض احداث التاريخ عرضا فنيا موجبا وقائما على الصورة المجسمة الفخمة لتزداد القصيدة روعة وجلالا ، وقصيدة عمورية مثال حي في اشارتها التاريخية للصراع بين الاسلام والمسيحية وأيام الاسكندر وكسرى(١٦٧) .

وقد استعان المتنبي بالاسماء التاريخية وأحداثها ليضفي على قصيدته طابع الفخامة والقوة ، واستطاع ان يبقى لهذه الاحداث اهميتها بأشاراته ولم يتعرض لتفصيل او اسهاب كما يبدو في قصيدته التي مدح فيها محمداً الطوسي(١٦٨) وكان الشريف الرضي استاذ مهيار يفضل اعتماد الحوادث التاريخية في رثائه اكثر من

---

(١٦٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٣ عاضل : حابس المرآة عن الزواج
(١٦٧) الفن ومذاهبه في الشعر ص ٢٥٩ وديوان ابي تمام ص ٨
(١٦٨) ديوان المتنبي ص ٥٣ ــ ٥٤

مديحه ويأخذ بها كصور للتاسي والسلوان ٠

ووجد مهيار في الاحداث التاريخية مجالا واسعا لتوسيع قصيدته وأخذها الى التطويل ، وعرض الخبر التاريخي عرضا تفصيليا مملا خاليا من الروح الفنية، ونستطيع ان نجد هذه الصورة في مدحه لآل مزيد وتعرضه لامجاد قبيلتهم بني اسد :

وهل تُكابر في ايام عزكم قبيلةٌ وهي الغُرُّ المشاهيرُ
فيومُ حجرٍ وحجرٌ كل ممتنعٍ في ملكه النجم مقبوضٌ ومحجور
جرُّ الكتائب من غسان يقدُمها عنه مُدِل على الأقدار مغرور
عنا له الدهر احيانا وأقدره على الممالك تأجيلٌ وتعميرٌ
فساقها نحوكم يبغي اتاوتكم وانتم جانب في العز محذور
والحلف لا آب الا بعد قسركم يا لك حلفا لو ان الشيخ مبرور
لكنه لم يكن في دين غيركم لها سوى السيف تحليل وتكفير(١٦٩)

ومهيار في هذه الابيات الطويلة يفصل لما وقع لحجر بن الحارث بعد ان ملكه ابوه على اسد وغسان وقد قتلته بنواسد بعد ان كانت تدفع له الاتاوة(١٧٠) ٠

وقد توسع مهيار في هذا العرض التاريخي وشمل اكثر مدائحه لبني اسد ذاكرا ايامها في الجاهلية والاسلام كما استعان به في مدح آل ماكولا وفي مدح الوزراء الفرس وعرض اخبار الاكاسرة وأمجادهم(١٧١) ، الا ان هذا الاهتمام بالتأريخ وحوادثه يبقى قائما على العرض التفصيلي معتمدا على الخبر المنقول والاسهاب منه ، وهو لا يعطي اية دلالة فنية ٠

التكرار في مديح مهيار

تكلمت كتب النقد عن التكرار في الشعر ، وتحدثت عن كثرة وقوعه في الالفاظ دون المعاني وقال ابن رشيق : « واذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك

---

(١٦٩) ديوان مهيار طبعة دار ج ٢ ص ١٠٨

(١٧٠) ايام العرب في الجاهلية ـ محمد احمد جاد المولى ط دار احياء الكتب ج ١ ص ٤١٥

(١٧١) ديوان مهيار طبعة دار ج ٢ ص ٦١ ، ج ٣ ص ٢٠١ وفي مدح ال ماكولا

الخذلان بعينه »[١٧٢] ويظهر ان الباب الذى خصصه ابن رشيق كان للكـــلام عن التكرار في القصيدة الواحدة وليس بما يكرره الشاعر في شعره ، كما اشرت الى اهتمام الثعالبي في يتيمة الدهر بهذه الظاهرة وتتبعها في شعر المتنبي وغيره من شعراء العصر وكان حديث الثعالبي عن تكرار المعاني لدى الشاعر وأعادتها[١٧٣].

أما مهيار فكان صورة نادرة المثال في مكرراته وكثرتها ، وقد انتبه ابن سنان الخفاجي الى هذه الظاهرة في شعر مهيار فقال :

« وكان ابو الحسن مهيار بن مرزويه ممن غُري بكلمة طين وطينة فما وجدت قصيدة تخلو من ذلك الا اليسير ، حتى وضع هذه اللفظة في غير موضعها ومستعارة لما لا يليق وأقرها مقرها في بعض الاماكن ، ووافق بينهما وبين ما الفت معها وذلك موجود في شعره » . وقال : « هذا وان لم يكن محمودا عندى فهـو اصلح من التكرار في القصيدة الواحدة او البيت الواحد »[١٧٤] .

وابن سنان الخفاجي لم يوجه اهتمامه الى معاني شعر مهيار وانما كان يتكلم عن فصاحة الكلمة وسلامتها ، ولو تتبع كلمة « طينة » في شـعر مهيار بدقة لوجد تكرارا واسعا لمعنى شعرى يقوم على طينة الممدوح وطيبتها وشرف عنصره .

ولم يكن تكرار هذا المعنى صورة نادرةً ، فالمعـاني المكـررة اكثر من ان تحصى ، وهي لا تعتبر تكرارا فحسب ، انما هي تقاليد ثابته وضعها مهيار في قصيدة المديح والتزم بها ، وفيها دلالة واضحة على الفراغ الفكرة وسطحية الثقافـة ، وكان كثرة الانتاج وطول القصائد من الاسباب المهمة في شيوع هذه الظاهرة .

فمهيار يجد في معنى عمرو بن كلثوم في بلوغ الرضيع الفطام وسـيادته على الناس معنى جليلا وصفة نادرة لابد ان يقدمها لكل ممدوح ، وقـد تنـاول المعنى ابو الطيب المتنبي قبل مهيار وأفسده في قوله لكافور :

(١٧٢) العمدة في الشعر ج ٢ ص ٧٤
(١٧٣) يتيمة الدهر ج ١ ص ١٣٨ ج ٣ ص ٨٥ وغيرها
(١٧٤) سر الفصاحة ص ١١٩

ترعرع الملك الأستاذ مكتهلا قبل اكتهال اديبا قبل تأديب

وأولع مهيار بهذا المعنى بعد ذلك فقال لابن ايوب :

ترى الأنام في رجل سُوِّدَ في العَشْرِ الأول[175]

ووضعه لأبي سعد بن عبدالرحيم في قوله :

قرّ وما أُلقيتْ تميمتُه وساد في عَشْرِ عُمره الأُولِ[176]

وقال مرة اخرى لكمال الملك بن عبدالرحيم :

بذ غلاما رأيُه شيخ الحجا وكَهْلَه[177]

وأعاد هذا المعنى لعائلة آل عبدالرحيم فقال فيهم :

يسود الناس شيباً او كهولا وفيهم سؤددُ الطفل الفطيم[178]

وبقي مهيار مع هذا المعنى البسيط يتداول ويعيده ليشمل كثيرا من قصائده[179]

ويلتفت الى معنى ثان قال فيه المتنبي :

وكلُّ اناسٍ يتبعون امامَهم فأنت لأهل الكرمات امام[180]

فقال فيه مهيار :

فمرّ في غَلوتِه سابقاً والناسُ مأمومون وهوالأمام[181]

وقال لممدوح آخر :

---

(١٧٥) ديوان مهيار طبعة دار ج ٣ ص ٧٩
(١٧٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ٩٠
(١٧٧) ديوان مهيار طبعة دار ج ٣ ض ١٤٩
(١٧٨) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٩٧
(١٧٩) المصدر نفسه ج ١ ص ٦ ، ٤٢ ، ٩٦ ، ٣١١ ، ٣٧٢ ، ٤٠٣ ، ج ٢ ص١٤
١٠١ ، ١٤٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٠ ، ج ٣ ص ٧٩ ، ٣٠٧ ، ٣٤٨
(١٨٠) ديوان المتنبي ص ٣٨١
(١٨١) ديوان مهيار طبعة دار ج ٣ ص ٣٢٠

جـاء مأمومـــا وقـــامتْ اية" فبه دلّتْ أَنــه جاء اماما[182]

اما الوزراء الكتاب فهم في شعر مهيار يكتبون بالرماح ويطعنون بالاقـــلام ولابد ان يكون كل كاتب طاعنا بالقلم كاتبا بالرمح ، ما دام مهيار يمدح هـؤلاء الوزراء فهو يكرر هذا المعنى التافه عشرات المرات[183] •

ويبدو ان مهيار لم يجد ما يحشو به قصيدته غير الاعادة والتكرار وجاءت اكثر قصائده نسخا مكررة نادرة الابداع قليلة التفنن •

---

(١٨٢) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٢٩

(١٨٣) ديوان مهيار طبعـــة دار جـ ١ ص ص ٦٩ ، ٨١ ، ٩٠ ، ١٩٨ ، جـ ٢ ص ١٧٦ ، ٢٨٠ ، جـ ٣ ص ١٩٠ ، ٣٢٤ ، جـ ٤ ص ١٤١ ، ١٤٥

الفصل الثالث

رشاء مهيار

كتب مهيار عشرين قصيدة رثاء خلال فترة طويلة من الانتاج الشعرى تبدأ تاريخيا بسنة ٣٩١ للهجرة وهي السنة التي توفي فيها خـال الشريفين الرضـي والمرتضى ورثاه مهيار بقصيدة تعزية ومواساة •

ولم يكن مهيار قليل الوفاء لاصدقائه ، ولكنه كما يظهر كان يميز بـين الممدوحين ، لذلك نجد اكثر مراثيه للاصدقاء والاخوان وأقلها لرجال الحكـم والسلطة ، ووضع مهيار هذا لا يخلو من نكران النعم ، الا ان عدم الوفاء لهؤلاء لم يكن السبب الوحيد في امتناع مهيار عن رثاء ممدوحيه من رجال الحكم الذين غالبا ما تنتهي حياتهم نفيا او ابعاداً او قتلا •

ومهيار كما يبدو آثر السلامة في مديحه وخصصه للمناسبات التقليدية بعيدا عن متاعب سياسة بني بويه وتقلبها وأهوالها ، وقد التزم هذا النهج في رثائـه وابتعد عن الرثاء السياسي الذى عرفه عصر بني بويه في شعر الشريفين المرتضى والرضـي •

والامثلة على سلامة هذا الرأى كثيرة في مواقف مهيار ، ونجد صورة منها في موقفه من الوزير فخر الملك ابي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولـة وسلطان الدولة ، وقد غضب عليه وحبسه ثم قتله وكان هذا الوزير معروفاً بكثرة الصلاة والصلات وتشجيعه لاهل العلم(١) ، وقد اشاد مهيار بكرم هذا الـوزير في حياته وخصه بمدائح كثيرة ذكر فيها شجاعته وتشجيعه لاهـل الادب وفيـه قـال :

اری كَبدِي وقد بَردت قليـلا امـات الهمّ ام مـات الشـعور
أم الأيـام خافتنـي لأنـي بفخـر الملك منهـا استجير(٢)

---

(١) المنتظم جـ ٧ ص ٢٨٦ والكامل جـ ٧ ص ٢٧٤
(٢) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ٣٥٨

وقد اشاد في مدائحه الاخرى بفارسية الوزير الذى عرف بميله للتشيع وتشجيعه رسوم الاحتفالات الفارسية كما يقول مهيار[3] ، ولم تشفع هذه العلاقات الشيعية والفارسية لفخر الملك في ان ينال مرثية من مادحه ، فقاتل الوزير مازال حياً ورثاء رجل تعرض لغضب السلطان يعرض مهيار لخطر الحبس والاعتقال ومهيار ليس رجل سياسة يؤيد اتجاها ويقف ضد آخر كالشريف المرتضى مثلا الذى رثى الوزير القتيل بقصائد تعرض فيها للسلطان[4] .

والوزير الثاني من ممدوحي مهيار هو ابو القاسم المغربي الوزير الكاتب والشاعر المصنف الشيعي المعروف وصاحب النسب الفارسي العريق الذى وزر لمشرف الدولة سنة ٤١٤ للهجرة ، وكان مهيار من مداحه ، ثم اخرج الوزير من بغداد بعد خلافه مع مشرف الدولة والتجأ الى بني عقيل ثم الى ديار بكر بعد ان كتب الخليفة الى امير بني عقيل يطلب ابعاده ، وقد توفي هناك سنة ٤١٨ للهجرة[5] .

ولم تشفع العلاقات الفارسية والشيعية لهذا الوزير في مرثية يذكره بها مهيار بعد وفاته ، ولم يستطع الشاعر ان يتحمل مسؤولية رثاء وزير مبعد غضب عليه الخليفة والاتراك والسلطان البويهي ، الا أننا لا نجد عذرا لمهيار في امتناعه عن رثاء الوزير سابور بن اردشير الذى اشاد به وذكر علاقة النسب والادب التي تربطه به وتوثق صلته ، وهو صاحب دار العلم وحامي العلم والادب ، ومن اوائل الذين تولوا مهيار بالرعاية ، ولعل السبب الوحيد في ذلك ابتعاد الرجل عن الوزارة فترة طويلة انقطع فيها مهيار عن مديحه ايضا ونسى مكارمه وأفضاله .

لقد كان مهيار مداحا متكسبا يصطنع الحب والهيام لكل ممدوح ويموت هذا

---

(٣) ديوان مهيار طبعة دار ج ٣ ص ٢٦٣

(٤) ديوان الشريف المرتضى تحقيق رشيد الصفار دار احياء الكتب العربية ـ قاهرة ٩٥٨ ج ٣ ص ٣٤ ، ج ٢ ص ١٤٧ ، ج ١ ص ٨٨ ـ ٩٢ .

(٥) معجم الادباء ج ١٠ ص ٧٩ والكامل ج ٧ ص ٣٢٩

الحب بموت الحبيب وتكاد تكون علاقته بآل عبدالرحيم صورة نادرة من العلاقات المخلصة برجال السلطة •

وقد اظهر لهؤلاء اخلاصه وتقديره لرعايتهم ووقف الى جانبهم في سعدهم ونحسهم ، اما علاقاته الاخرى بذوى السلطة فكانت علاقات تكسب وارتزاق •

على ان مهيار كان وفيا مع اصدقائه الخلص الذين احبهم واصطفاهم ، وهم يمثلون مجموعة من الرؤساء والكتاب الذين لم تكن علاقته بهم علاقة مدح وتكسب فحسب وانما كانت ايضا علاقة شخصية فيها شيء من صدق العواطف وحسن الوفاء وجاءت قصائده الرثائية بعد ذلك فيها شيء من صدق العاطفة وخالص الاحساس •

وليس معنى ذلك ان قصائد مهيار العشرين تمثل احزانا حقيقية وتعبر عن عاطفة ملتهبة ، فأن عددا منها قصائد تعزية ومواساة اكثر من كونها قصائد رثاء ، ومن الممكن ان تحشر بباب المديح ، ومن هذه القصائد القصيدتان اللتان كتبهما مهيار لابي الحسين احمد بن عمر بن روح النهرواني الشاعر والناظر في العيار بدار الضرب والمعتزلي المذهب(٦) •

وقد عزاه مهيار في القصيدة الاولى عن وفاة ابنتين له وفي الثانية عن وفاة والدته(٧) ، وكتب مهيار قصائد تعزية ومواساة اخرى لاصدقائه من العرب والفرس يعزيهم بفقد عزيز او قريب ، وهذه القصائد رغم طابعها الحزين لا تمثل فن مهيار الرثائي • فأكثرها في معاتبة الدهر والشكاية منه والدعاء للمدوح بطول البقاء ، الا أنها تمثل لونا من الوان الوفاء ، وقد قلت سابقا ان هذه القصائد يمكن وضعها في باب المديح ايضا •

اما الذين رثاهم مهيار من شخصيات ورؤساء ففيها اضافة الى طابع الصداقة والوفاء تعبير عن علاقات تشيع كما يبدو في قصيدته التي رثى فيها فقيه الامامية

---

(٦) تاريخ بغداد ج ٤ ص ٢٩٦ والمنتظم ج ٨ ص ١٥٨

محمد بن محمد النعمان[٨] . وقد يجمع مهيار بين الصداقة والمذهب كما في رثائه لصديقه الكاتب ابي الحسين بن عبدالله وقد اكد فيها صداقته لهذا الرجل وعلاقته المذهبية بـه[٩] ..

وقد كان للعرق الفارسي اثره في رثائه ، ويظهر هذا بوضوح في رثائـه لعميد الجيوش ابي علي بن هرمز الذى عرف عنه الحزم والشدة وحفظ الامن ببغداد ، كما عرف عنه انه « اقام الهيبة ومنع اهل الكرخ يوم عاشوراء من النياحة وتعليق المسوح واهل البصرة من زيارة قبر مصعب »[١٠] .

ولم تكن لمهيار معرفة سابقة بهذا القائد ، ولم يتأثر بتشيعه وهو يرثي رجلا منع اهل طائفته من اقامة شعائرهم المذهبية ، وكان العرق الفارسي اكثر نبضاً وحيوية كما يبدو في قوله :ــ

ولقد أُعدّ أذا بكيتك صادقاً ... في الحافظين وواصلي الأرحام
اصلي واصلُك في مقرٍ واحدٍ ... وتفاوتُ الفَرعيْن بالأقسام
واذا تشجّرت المناسبُ والتقى ... الفخران كان ابوك من اعمامي
شَرَفٌ وصَلْنا حبلَهُ في فارس ... بالمحكمين مرائرَ الأبرام[١١]

ويظهر لنا ان دواعي رثاء مهيار تتدخل فيه العواطف الشخصية والعنصرية والمذهبية ، وان نجد خروجا عن هذه الاسباب الا في قصيدته التي رثى بها الفقيه الحنفي ابا بكر محمد بن موسى الخوارزمي ، وقد جاء في مقدمة القصيدة ما يدل على وثوق العلاقة الشخصية مع هذا الرجل كما يبدو في قوله : « وقال وقد توفي بعض فقهاء بغداد وهو ابو بكر محمد بن موسى الخوارزمي وكان عظيم الايجاب لـه والحرص على مودته وصلى عليه بجامع المنصور »[١٢] .

---

(٧) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ٧٢ ، جـ ٣ ص ٣٥٢
(٨) المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٠٣ ــ ١٠٩
(٩) المصدر نفسه جـ ١ ص ٥٥ ، ومدحه ص ٤٣
(١٠) المنتظم جـ ٧ ص ٢٥٣ والبداية والنهاية جـ ١١ ص ٣٤٤
(١١) ديوان مهيار طبعة دار جـ ٣ ص ٢٥٣
(١٢) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٨٧

وقد اكد مهيار حسن صلاته بهذا الرجل ، وتعرض لحساده وناكري فضله ، وشهد له بالتفوق والعلم وشبه فجيعته بيوم وفاة النعمان والد الشيخ المفيد فقيه الامامية وقال فيه :

مالي وكنتُ بربعِ دارك آنسا   امسيتُ منهُ موحَشا متفرعا
وأراه جَدْباً بعد ما قدَ زرتُه   خِصباً بودك لي ويسرك مرتعا[13]

ولا يخلو بربعِ هذا الموقف من الغرابة ، وقد عرف مهيار متشيعا متعصبا يسب الصحابة ويذكرهم بالسوء ويتعرض للاعداء من جراء ذلك ، ويبدو ان الخوارزمي كان على علاقة حسنة بالشيعة ورؤسائهم ، وقد عرف عنه انه تولى امر دار العلم التي اسسها الوزير سابور بن اردشير ، وكان على علاقة وطيدة بالشريف الرضي الذى تتلمذ له كما كان على علاقة حسنة بأخيه المرتضى ، وقد وسطه الوزير الشيعي الكافي الاوحد لدى والد المرتضى لشراء قطعة ارض في المشهد يدفن فيها[14] ، مما يدل على عظمة منزلته وشأنه .

وقد وصف الخوارزمي هذا بالتقوى وحسن التدريس وسلامة الفتوى « وقد دعي الى ولاية الحكم مرارا فأمتنع »[15] ، ويظهر ان الخوارزمي لم يشترك في خلافات العصر المذهبية مما يقوى احتمال علاقة مهيار به ، ولا يستبعد ان تكون الاصول الفارسية لهذا الرجل قد لعبت دورها في توطيد هذه العلاقة وتلك المودة .

اما مراثي مهيار ذات الصبغة السياسية فلا تعدو مرثيتين رثى بها الصاحب بن عبدالرحيم احد رجال بهاء الدولة ونقيب النقباء على جيوش الاتراك بواسط وقائد سلطان الدولة في حصار الوزير ابن سهلان[16] ، ووالد الوزيرين كمال الملك وأبي سعد .

---

(١٣) ديوان مهيار جـ ٢ ص ١٨٧
(١٤) المنتظم جـ ٧ ص ٢٦٦ ، ٢٤٠
(١٥) تاريخ بغداد جـ ٣ ص ٢٤٧
(١٦) ديوان مهيار ط دار جـ ٤ ص ١٣ ، وابن الأثير جـ ٧ ص ٣٠٦

ومهيار في هاتين المرثيتين مثلّ الوفاء والاخلاص لآل عبدالرحيم وذكر رعايتهم وفضلهم ، وقد مات هذا القائد مقتولا ووقف مهيار ينذر ويهدد بالثأر من اعدائه ، واعتبر فقدانه ضياعا لامجاد الفرس وتعرض لقاتليه وهم اهل سلطان وقوة ، واشار الى ندمهم بعد قتله حيث ظنوا ان الملك يقوى ويستقيم فعاد يزداد ضعفا وهوانا ، وقد مثل مهيار في هذه القصيدة صورة نادرة من صور الرثاء السياسي الذى نفتقده في مراثيه(١٧) •

نستخلص من هذا العرض لمراثي مهيار وتعرفنا على اصحابها ان الدوافع الاساسية للرثاء لم تكن طلبا او استجداء او تحقيقا لاغراض سياسية ولم تخل من الوفاء والحب والصداقة ، وان كانت تتميز بدوافع عامة تمثل التعصب العنصرى الشعوبي والتحيز المذهبي ، الا ان الطابع الذاتي بقي قائما ومؤثرا مما اضفى على هذه المراثي شيئا من الحزن والحرارة والعاطفة وجعلها تقف على طرفي نقيض مع مدائحه في زيفها وأصطناع عواطفها •

وقد انسجم غرض الرثاء مع رقة عواطف الشاعر وأحزانه الشخصية والشيعية ، وكانت رنة الحزن اكثر ظهورا في الرثاء رغم الطابع الحزين الذى يسود شعره •

تطور قصيدة الرثاء في الشكل والمحتوى :

حاول مهيار تجربة قصيدة الرثاء في وقت مبكر من نشأته الشعرية ، وكانت قصيدته الاولى مشاركة للشريف الرضي في وفاة خاله ابي الحسين احمد بن الحسين الناصر سنة ٣٩١ للهجرة • وقصيدة مهيار هذه قصيدة تعزية اكثر من كونها قصيدة رثاء وقد جاء في مقدمتها : « وكتب يعزى السيدين الرضي والمرتضى ابني الطاهر ابي احمد الموسوى عن خالهما ••»(١٨) •

ويبدو مهيار في قصيدته شاعرا لم تكتمل ادواته بعد ولم يتم نضجه ، وقد

(١٧) ديوان مهيار طبعة دار ج ١ ص ٤١٨ ـ ٤٢٦
(١٨) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٤٦

حاول ان يسلك مسلك استاذه الرضي في شكوى الدهر والنظر في الحياة والزهد فيها ، وكانت قصيدة مهيار قريبةً في روحها وجوها من قصيدة الشريف ويبقى الفارق قائما في سهولة الفاظ مهيار ونثريتها وبدائية النظرة وعاميتها ونجد في القصيدة روحا دينية رغم كونها قد كتبت قبل اسلام مهيار بثلاث سنوات ، وقد بدأ مهيار مقدمة قصيدته بقوله :

خُدَعُ الزمانِ مودةٌ من ثائر ... ومُنى الحياة وتيرةٌ من واترِ
نغترُّ بالباقين منا والذي ... فَرسَ المُقَدمَ رابضٌ المغابر
واذا ذوى من دوحةٍ غصنٌ فيا ... سَرْعان ما يُودَى باخرَ ناضرِ
يا عاشقِ الدنيا النجاء فانها ... اِن ساعدتْ وصلت بنّيةِ هاجرَ
لا تَخْدَعنّك بالسراب فلم تَدعْ ... ظَناً يُرَجّمِ فيه وجهُ السافر
اردُدْ لحاظَك عن زخارُفِها تُفزْ ... ان البلاء موكلٌ بالناظرِ
خَذَلَ المحدِثَ نفسَه بوفائها ... تصريحُها بالغدرِ في « ابن الناصر »
مشت المنون اليه غيرَ مُحصَّنِ الجنبات واغتالته غير محاذر
ولو انتحته لأنذرتْهُ وانما ... شبَّ الفجيعةَ انْ أُصيبَ بعاثر(١٩)

والابيات كما تبدو للقارىء المتفحص تعطي صورة واضحة لضعف التعبير وما تبع ذلك من برودة العاطفة • كما تميزت بضحالة الفكرة والنظرة الى الحياة في نجاة عاشق الدنيا اذا ابتعد عنها وما يتبع ذلك من فوز عند الخلاص من عشقها والهيام بزخرفها ، اما الصورة العامة لمقدمة القصيدة فهي قريبة من قول الشريف الرضي في رثاء خاله وقد جاء في مقدمتها :

لنا كلَّ يوم رنةٌ خلفَ ذاهبِ ... ومستهلَكٍ بين النوى والنوادبِ
وقلعةُ اخوانٍ كانا وراءهم ... نُرامقْ اعجازَ النجوم الغوارب
نوادع الحدثانَ الليالي على شَفا ... من الحرب لو سالمنَ من لم يحارب

(١٩) ديوان مهيار طبعة دار جـ ١ ص ٣٤٦
الوتيرة ! الابطاء

ونأملُ من وَعْد المنى غيرَ صادقٍ ونأمنُ من وعدِ الردى غيرَ كاذبِ
وما الناسُ الا دارعٌ مثلُ حاسرٍ يُصابُ والا داجنٌ مثلُ ساربِ
وهل ينفع المغرورَ قُربٌ للنوى تَلومُ مغرورٍ بأرجاء جاذبِ

ويقول بعد ذلك في الدنيا وخداعها :

نعم إنها الدنيا سِمامُ لطاعم وخوفٌ لمَطلوبٍ وَهمٌ لطالب
تصدى لنا قُربُ المواءق ذي الهوى ويختلُنا كيدُ العدوِ المجانب
وانا لنَهواها على الغدر والقِلى ونمنحها مع علمِنا بالمعايب[٢٠]

وتكاد القصيدتان تتفقان في الاسلوب العام وفي الانتقال الى العرض التاريخي للغابرين الذين طواهم الموت مع اختلاف في المادة التاريخية المعروضة ، وقوة العاطفة وتدفقها في قصيدة الشريف وفتورها في قصيدة مهيار ، وقد حاول مهيار ان يستعين بأسلوب الرثاء المعروف في امكانية رد الموت بالشجعان والسيوف والرماح ، الا انه وقع في مبالغات وتهويلات خرجت عن المعقول فهو يقول في الشريفين المرتضى والرضي :

لا تَحسَبَنَّ الموت راعَ حِماهُما فالسارقُ المغتالُ غيرُ القاهرِ
اقسمتُ لو لَحِقاكَ قبلَ وصولِه ما كان بينهما عليكَ بقادرِ

والصورة يعتريها الفشل والخروج عن المألوف وقد احسّ مهيار بهذا التطرف فعاد وانكر ذلك فقال في الموت :

هو حُكْم عدلٍ لا يُردُّ وكان ما يَهِن القلوب لو أنه من جائرِ

ولم يستطع مهيار ان يحقق الانسجام الموضوعي في افكاره ، كما أن اختتام القصيدة بالكلام عن الحساد لا يتلاءم وطبيعة التفجع في الرثاء ويبدو ان مهيار لم يحسن بعد فنون التلمذة والتقليد وهو ما زال في بداية نشأته الشعرية .

---

(٢٠) ديوان الشريف الرضي مجلد ١ ص ١٤٦ ـ ١٥١ الداءين المقيم ، السارب الذاهب

وبعدما يقارب تسع سنوات نجد نموذج مهيار في الرثاء قد تطور فيها في الشكل والمحتوى كما في رثائه للكافي الاوحد ابي العباس الضبي الذى توفي سنة ٣٩٩ للهجرة(٢١) .

وكانت قصيدة مهيار هذه صورة من صور التقليد لاسلوب الشريف الرضي في افتتاح قصيدة الرثاء بالتساؤل عن مناقب الميت وأمجاده ، ونجد فيها بداية اسلوب جديد في اشراك العوامل الخارجية بالفجيعة ، وتجاوب الطبيعة مع الاحزان والآلام وقد بدأ مهيار قصيدته بقوله :

ما للدُسوتِ وللسروجِ تُسائِلُ مَنْ قائمٌ عنهن او مَنْ نازلُ ؟
لِمْ سُدَّ بابُ الملكِ وهو مواكبٌ وخلت مجالسُه وهن محافلُ ؟
ما للجيادِ صوافناً وصوامتاً نكْساً وهُنّ سوابقٌ وصواهل؟
من قطّر الشجعانَ عن صهواتها وهمُ بها تحتَ الرماحِ اجادِلُ
ما للسماءِ عليلةٌ انوارُها لمن السماءُ من الكواكب ثاكلُ
من لجلج الناعي يحدِّثُ انه اودَى فقيلَ اقائلٌ ام قاتلُ ؟
المجد في جَدَفِ ثوى ام كوكب الدنيا هوى ام ركنُ ضَبّةَ مائل(٢٢)

وقد حاول مهيار ان يضفي بتساؤله الطويل جوا من الفجيعة على مقدمة قصيدته ليكون لها طابع الشمول والعموم الا انه اكثر منها بشكل ظاهر وأغرقها بكثرة الجناسات وهو مظهر طبيعي في شعر مهيار تخفف منه في مرحلة نضجه .

وأسلوب التساؤل بحد ذاته ليس جديداً في الشعر وقد أولع به الشريف الرضي وأكثر منه ونجد صورة لاسلوب مهيار في قصيدة الشريف الرضي التى رثى بها الصاحب بن عباد وبدأها بهذا التساؤل :

اكذا المنون تُقَنْطِرُ الأبطالا اكذا الزمانُ يضعضع الاجبالا ؟
اكذا تُصابُ الأسدُ وهي مُدِلةٌ تَحمي الشبول وتمنعُ الأغيالا ؟

(٢١) معجم الأدباء جـ ٢ ص ١٠٥
(٢٢) ديوان مهيار ط دار القصيدة جـ ٣ ص ٢٧ـ ٣٠ الاجدل : الصقر

اكذا تُقامُ عـن الفوارس بعدمـا ملأتْ هَماهَمها الورى اوجالا ؟

وقد اعاد الرضي اسلوب التساؤل مرة أخرى في القصيدة نفسها فقال :

لِمَنْ الضوامرُ عُرّيتْ امطاؤها حول الخيـامِ تُنـازُعِ الامطـالا
لمن المطايا غـيرُ ذاتِ رحائلٍ فارقن ذاكَ السـدوَ والأرقالا ؟[٢٣]

والشريف لم يستطع ان يحقق نجاحا فنيا في كثرة هذا التساؤل المتعمَّد لاظهار عظمة الفجيعة وكان مهيار أكثر فشلا من استاذه وهو يتابع طريقته وأسلوبه ، الا ان قصيدة مهيار لا تخلو من طابع الملاءَمة بين المرثي والمرثية في عرض المناقب ، ولكنها ما زالت تفتقد عنصر الاصالة • ومهيار كان حزينا في قصيدته الا ان حزنه على نفسه وأصحابه اكثر من حزنه على المرثي فهو يبكي نفسه وأصحابه الذين ادركتهم حرفة الادب ، وشعروا بالضياع بعد فقدان راعيهم وحاميهم :

ابكيك لي وللمرملين بنوهم الأيتـامُ بعدكَ والنساءُ اراملُ
والمستجير والخطوبُ تنوشهُ مستطعِمٌ والدهـرُ منه آكـلُ
متلوّمُ العَزَماتِ لا هو قاطنٌ في داره قفـراً ولا هو راحـلُ
اودى به التَطوافُ ينشُدُ ناصرا فيضِلُ ان يلقاه الا خـاذلُ
حتى اذا الاقبالَ منك دنا به انساه عندكَ عامُ بؤسٍ قابـلُ
ولمِعَشَرٍ طُرْقُ العلومِ ذنوبُهم في الناس وهي لُهمْ اليك وسائل[٢٤]

ومهيار لم يستطع ان يُحسِن التعبير عن احزانه ، ومازال اسلوبه يحمل من الركاكة والنثرية شيئا كثيرا ، كما ان كثرة المحسنات وتعمدها ظاهرة واضحة في اعتماد الجناس والطباق ونجد صورة اخرى لتكلفه في قوله معزيا ابن المرثي :

لا تحسبنْ وسعدٌ ابنُـك طـالعٌ يحتلُ برجَـك أن سـعدَك آفـلُ

---

(٢٣) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد ٢ ص ٢٠١ ــ ٢٠٩
السدو : الاتساع في الخطو ، الارقال : الاسراع
(٢٤) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ٢٨

ونضائل الفجيعة في قصيدة مهيار وهو ينظر الشاعر المتكسب ويذكر ابن المرثي « سعدا » بضرورة متابعة نهج والده في رعاية الشاعر ، وضع هذه الصورة في اختتام قصيدته قائلا :

اجْمِلْ له ياسعد وأَحمِلْ وِزْرَه ... ما طالَ باعٌ او أطاعَكَ كاهلُ
وانا الذى يُرضِيكَ فيه باكيا ... ويَسُرُّهُ بك في الذى هو قائل[٢٥]

والقصيدة بعد هذا كله لا تتناسب وعلاقة مهيار بالكافي الاوحد الذى كان الشاعر قد بشره بأسلامه ، وأكد وثوق الصلة به ، ويبدو ان عذر مهيار انه ما زال في أول الطريق لم تكتمل بعد تقاليد قصيدته في الرثاء .

وبدأت بشائر النجاح في قصيدته التي رثى فيها والد الشريفين الرضي والمرتضى سنة ٤٠٠ للهجرة وبدأها بمقدمة حزينة شاكية كان اثر الطابع الشيعي فيها واضحا ، واستطاع الشاعر ان يحقق الانسجام بين المرثي والمرثية وقد بدأها بقوله :

كذا تنقضي الايام حالاً على حال ... وتنقرضُ السادات بادٍ على تالي
ويلحَقُ ابناءُ النبيِّ اباهُم ... على مَهَل من سَيْرِ عُمرٍ وأعجالِ
ضُحى كلِ يومٍ سالبٌ من سَراتهم ... بصيرةَ عُميٍ او هدايةَ ضُلال
اذا اخضرّ فرعٌ منهمُ اغبرّ اصلُه ... فصوّحَ حتى يتبعَ العاطلَ الحالي
ويا وشْكَ ماتمُسي الديارُ خَلّيةً ... اذا ذهب الباقي ولم يَعُدْ الخالي
مدارجُ تحت الأرض سَوّتْ جسومَهم ... وان عرّجت ارواحُهم افقَها العالي
سوى ما يُبقّي الدهرُ من بَركاتهم ... ضرائحَ انوار بها يسأل السالي[٢٦]

ويبدو مهيار حزينا وهو يرى مصارع ابناء الرسول وهم اصحاب الهداية والرشاد ورجال التقوى والعلم والفضل ، وقد استطاع ان يتخلص من النثرية والبساطة المفرطة وظهرت قوة النسج وحسن التعبير ، وأصبحت الالفاظ اكثر

---

(٢٥) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ٢٠
(٢٦) المصدر نفسه ـ القصيدة ج ٣ ص ٢٣ ـ ٢٧

طواعيه له في التعبير عاطفته الحزينة ، وبدأ الشاعر يحاول المعاني العربية الاصيلة في الرثاء كما يبدو في قوله :

قُنوطا بنـي الحاجات إنّ نجاحَهـا بلا كافـلٍ بعـدَ الحسـينِ ولا والي
أجِمّوا[٢٧] المطايا إنـه عامُ قِعدةٍ وفي غيـَرِ الأحوال تغييرُ احـوالِ

ورثاه بما يتناسب ومنزلته الدينية وعلمه وتقواه وشجاعته فقال :

مضى من يخاف العتبَ وهو بنَجوة ويرعى مَصوناً سَبةَ القيلِ والقـالِ
ومَنْ بحره طامٍ ويُروى تَعلّلاً ببَلِّ اللَهاةِ من نُطافٍ وأوشالِ[٢٨]
بكيتـك لليـوم الشـريق بنقعـه رمارشَ فيـه الطعنُ من دم اوصال
وللسيفَ لم يعْدمْ مَضاءَ وزينةَ بنصل وجفنٍ جُهدَ قيْنْ ولا جالي
عُدِمْتَ فلمْ يظفرْ بعاتق حاملٍ يفرّق حينا بين شَنْفٍ وخلخـال

وبعد ان يبكيه الشاعر للخيول والرماح والمعارك يصف اسلوبه في الجدال فيقـول :

وعمياءَ منطُرق الحِجاج تلجلجتْ بأصوات خُطّاب وأفـواه نُقّـال
توسعتَ معْ ضيقِ الخِصام بفَلْجِها وأوضحتمنها كلَّ لَبْسٍ وإشْكال

ومهيار في ذكره براعة المرثي في الجدل والمحاجة يعطي صورة للعصـر في خلافاته المذهبية سنجدها اكثر وضوحا في رثائه للشيخ المفيد فقيه الامامية • اما القصيدة نفسها فلم تتخلص من مظاهر النثرية التي تمثلت في طابعها التفصيلي الواسع وفي التعليلات التي ينتابها الفشل كما يبدو في اشارة مهيار الى طول عمر المـرثي :

يقولون تخفيفـا لحزني مُعمَّرٌ نجـا مائةً او كـاد مطلعَها العالي
وذاك عزاءٌ عنـك لو يعقلونَـه أَمـدٌ لدمعي بـل اشـدُ لأعوالي
بقَدْرِ بقاءِ المرءِ قـدرُ الأسى لـه وذكرُ نعيم دام لي بكَ اشقى لي

---

(٢٧) اجموا المطايا : اريحوها
(٢٨) النطاف : الماء القليل •• الشنف القرط

وتبدو الصورة التفصيلية واضحة الفشل في تعليل احزانه كما خانته البراعة في التعبير فأفتقد اسلوب الشعر ، ولم يستطع ان يقنع السامع بقبول تعليله ، فطول العمر يقرن بالاعمال العظيمة والامجاد الواسعة كما قال الشريف الرضي في رثائه لوالده :

سبعٌ وتسعونَ اِهتَبَلنَ لكَ العدا … حتى مَضَوا وَغَبَرتَ غيرَ مُذمَّمِ
لم يلحقوا فيها بشأوِكَ بعدَما … أَملوا فعاقَهُم اعتراضُ الأزلَمِ
الا بقايا من غُبارِكَ اصبحتْ … غُصصاً وأقذاءً لعينٍ او فمِ[29]

وقد بدأت عواطف مهيار الشخصية تتسع لتأخذ طابعها الشيعي كما يظهر في قوله :

رثاك نسيب ودُهُ وولاؤه … محق اذا زَنَّ القصيّ بأبطال
ومولاكم فيكم على ما شَرَطتُمُ … وان بان عنكم في عُموم وأَخوالِ

وقد اخذت القصيدة ايضا شكلا فنيا محددا في مقدمتها وذكر مناقب المرثي ودفع الموت عنه ثم اختتامها بالسقيا .

وتبقى التيارات المذهبية قائمة في عواطف الشاعر تشاركها الاتجاهات الشعوبية ، وقد ذكرت فيما سبق رثاء مهيار لعميد الجيوش واشاراته الى روابط النسب الفارسية التي تربطه به ، وقد اشار مهيار في القصيدة نفسها الى مثوى عميد الجيوش في مقابر قريش فقال :

ونزلتَ في مضرٍ وأنت لغيرهم … بعد الممات بأشرف الاقوام
انّى التفت فأنت في حرزين من … حرميّ شهيدٍ سيدٍ وإمام
اصبحت منهم بالنزول عليهم … يا رَحْبَ ما بوَّئْتَ من اكرام
فاذا تزخرفت الجنانُ غداً لهم … صاحبتهم فدخلتمُ بسلام[30]

---

(٢٩) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد ٢ ص ٢٩٣ الازلم : المقطوع طرف الاذن من كريم الابل

(٣٠) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ٣٥٢

وتبقى قصائد الشريف الرضي في الرثاء النموذج الفنى لشعر مهيار في اسلوبها وشكلها الفني وفي محتواها احيانا . ونجد هذه الظاهرة الفنية في قصيدة مهيار التي رثى فيها ابن نُباته السعدي وقد أعجب الشاعر بقصيدة استاذه الرضي في رثاء ابي اسحاق الصابي ومطلعها :

أعلمتَ من حملوا على الأعواد ... ارأيت كيف خبا ضياء النادى
جبل هوى لو خَرَّ في البحر اغتدى ... من وقعه متتابَع الأزباد[٣١]

وسار مهيار على نهجه فقال مفتتحا قصيدته :

حَملوك لو عَلِموا من المحمول ... **فأرتاضَ معتاصٌ وخفَّ ثقيل**[٣٢]
وأستودعوا بطن الثرى بك هضبةً ... فاقلّها ان الثرى لَحمولُ

وقد حفلت قصيدة مهيار هذه بطابع ذاتي فيها كثير من الوفاء والوداد والعواطف الاخوانية المخلصة ، وقد عبر الشاعر عن هذه العواطف الشخصية بأصالة في قوله :

وليعطينّك حقَ سبقِك قاضياً ... دينَ الوفاء ودينُه ممطول
مني اخ ان ينأ عنك ولادُه ... فودادُه بك لاصقٌ موصول
اسيانَ طابت نفسهُ لك بالفدى ... عن نفسه لو أنه مقبول

وقد اجاد الشاعر في صوره الحزينة عن تجربة الصديق الذي يحثو التراب على وجه صديقه الراحل وينقل لنا مهيار صورة مفجعة تعبر عن تجربة حادة اصيلة كما يبدو في قوله :

احثو عيونا بالتراب يروعني ... بالأمس فيها الأثمدُ المكحولُ
وأَظلُ اسمحُ للصعيد بأوجهٍ ... قلبي بهُنَ على الشحوبِ بخيل

وقد استطاع مهيار ان يعيد النظر في معناه وتعليله لطول العمر الذي اعطاه لوالد الشريف الرضي فقومه وأصلحه في قوله :

---

(٣١) ديوان الشريف الرضي ط بيروت ج ١ ص ٣٨١
(٣٢) ديوان مهيار ط دار ــ القصيدة ج ٣ ص ٥٤ ــ ٥٨

فالوا طويلُ العمــر قـلت لذاكمُ　　حزني عليه كما تَرونَ طــويلُ
كَثُرتْ فضائلُـه بَقدْرِ بقائــهِ　　وقليلُ فضلِ مَــن مـداه قليـلُ

وفي هذا التطوير الفني دلالة على كمال موهبة مهيار الشعرية وتمامهـــا ، واعتمادها عنصر الاصالة وحسن التعبير • ولن يقلل من اهميتها بقاء ظل الشريف الرضي يتابعه في قصائد الرثاء ، وتبدو هذه القصيدة متخففة الى حـد بعيد مـن المحسنات اللفظية كما انها تخلت عن طابع السهولة الذى كان سائدا في قصائده الاولى ، ونجد ايضا في قصيدته اتجاها الى التقاليد العربية الفنية في الصوروالاسلوب وهذا ما نجده بوضوح اكثر في قصيدتيه اللتين رثى بهما استاذه الشريف الرضي •

وقد جاء في مقدمة القصيدة الاولى : « وقال يرثي الشريف الرضي ذا الحسبين ابا الحسن محمد بن الحسين نضّرالله وجهه ويذكر فجيعةالدنيا وأهلها به•••»(٣٣)، اما القصيدة الثانية فقد جاء في مقدمتها : « وقال وقد رثى الشريف الرضي رضوان الله عليه بالقصيدة الميمية ، وشقّت على جماعة ممن كان يحسد الرضي بالفضل في حياته ان يرثى بمثلها في وفاته ، ونسبه قوم الى السرف فيما ادعى لنفسه من اللحاق به وشدة الانس معه حيا لان تضاف بعض المحاسن اليه وطعنوا في غرضه من الاقرار بالتوحيد(٣٤) •

والقصيدة الثانية رد على هؤلاء الحاسدين من الشعراء وتأكيد على تلمذة مهيار للشريف في نهجه وأسلوبه ، وهي دفاع عن هذه التلمذة التي أنكرها الناس عليــه وبخاصة الشعراء منهم ، وكان الرد في انتهاج الشريف والتزام اسلوبه بتعمــد ظاهـــر •

والقصيدتان تمثلان منهجا فنيا واحدا حاول فيه مهيار تأكيد هــذه التلمــذة بهذا العمل الفني الذي يقف فيه مع الشريف الرضي في اسلوب الفخامة والقوة والايقاع الشديد الذى احتواه البحر الكامل ، كما يبدو التقليد في الابتعاد عــن

---

(٣٣) ديوان مهيار ط دار ــ القصيدة جـ ٣ ص ٣٦٦ ــ ٣٧٠
(٣٤) المصدر نفسه ــ القصيدة جـ ١ ص ٢٤٩ ــ ٢٥٣

السهولة والرقة والتزام التقاليد العربية في الرثاء .

ومن المؤكد ان هاتين القصيدتين لا تمثلان المنهج التقليدى المتبع في رثاء الشاعر عموما ، وهذه الحقيقة لا تقلل من اهميتهما ، فأستاذه الرضي سار على هذا النهج ، ورثى القادة العرب بقصائد فخمة تختلف تماما عن باقي قصائده في الرثاء ، ورثى صديقه ابن ليلى البدوى رثاءً طبع بطابع البداوة ، وانقطع عن كل اسباب الحضارة في الصورة واللفظ والتعبير[٣٥] .

ومهيار اثبت في هاتين القصيدتين انه بارع في الرثاء والتقليد عندما يعتمد الاسلوب العربي الاصيل ويسلك سبيل القوة والمتانة ويؤكد الانسجام الفني بين المرثي والقصيدة في محتواها وشكلها ، ويبتعد بشكل ظاهر عن الالفاظ اللينة السهلة .

ونجد الشاعر في قصيدته التي يرثي بها الشريف الرضي يضع لها مقدمة واسعة قوية وصورة خارجية لها سعتها وأمتدادها لاعلان الفجيعة وشدتها كما يبدو في قوله :

من جبَّ غاربَ «هاشم» وسنامَها ... ولوى لؤياً فأستزلَّ مُقامَها[٣٦]

وغزا قريشاً بالبطاحِ فَلَفَّها ... بيدٍ وقَوّض عزَّها وخيامها

وأناخَ فيمَضَرٍ بكَلْكَلِ خسفِهِ ... يستام وأحْتَمَلَتْ له ما سامَها

مَنْ حَلَّ مكة فاستباحَ حريمَها ... والبيتُ يشهدُ ـ واستحلَّ حرامَها

ومضى بيثربَ مُزعِجا ماشاءَ مِن ... تلك القبورِ الطاهراتِ عظامَها

يبكي النبيَّ ويستنيحُ لفاطمٍ ... بالطف في ابنائها ايامَها

الدين ممنوعُ الحمى مَنْ راعَه ؟ ... والدارُ عاليةُ البِنا من رمَها

أتناكرَتْ ايدى الرجالِ سيوفَها ... فأستسلمتْ ام انكرت اسلامَها

ام غالَ ذا الحَسَبَيْنِ حامي ذودِها ... قدرٌ اراحَ على الغُدوِ سَوامَها

---

(٣٥) ديوان الرضي ط بيروت ج ٢ ص ٦٧ ـ ٧٠

(٣٦) جب : قطع ، الغارب : اعلى الشيء او الكاهل
لؤي : هو لؤي بن غالب بن فهر

وطابع المتانة والقوة ظاهر في هذه المقدمة ، كما يبدو الاكثار من أستعمال الفاظ الناقة والصحراء في الصورة رغم ما فيها من المبالغة والتهويل ، وقد صوّر مهيار الشريف الرضي فارسا علويا افتقده الميدان واستعان بصورة رثائية قديمة فقـــال :

بكَرَ النَعيُّ منالرَضيِّ بمالكٍ غاياتِها متعـودٍ إقدامَهـا
كَلمحَ الصباحُ بموته من ليلـةٍ نَفضَتْ على وجهِ الصباحِ ظلامَها
صَدَعَ الحمامُ صَفاةَ آلِ محمدٍ صَدْعَ الرِداء بـه وحلّ نظامَهـا
بالفارس العَلَويِّ شقَّ غُبارَها والناطقِ العـربيِ شقَّ كلامَها
سلبَ العشيرةَ يومُـه مصباحَهـا ورمى الردى عمّالَهـا علاّمَهـا

وقد امتدت هذه الصورة العربية لتأخذ طابعا بدويا عندما يتحدث مهيار عن الكتائب التي طالما قادها المرثي ، ولم تستطع دفع المنيه عنه :

افلا تُطاعِنُ دونَ مُبلغِك الردى خيلٌ أطَلْتَ لِحاجةٍ إلجامَهـا
وتقوم حولَك سَمْحةً بنفوسِـها عُصَبٌ على العوجاءِ كنت قِوامَهـا

وقد بقيت هذه القصيدة محافظة على هذا المستوى المتين ، وتتميز بتماسك ابياتها وانسجامها ، وقد وصف مهيار فها شعر الشريف الرضي وصف ناقـد وخبير فقال فيه :

حمَّستَ حتى قيلَ صبَّ دماءها وغَزِلت حتى قيل صبّ مُدامَهـا

وكان هذا الوصف مقدمة لان يعلن مهيار انه يقلد الرضي وينهج منهجه ، وقد اختتم مهيار قصيدته بأحزان مخلصة وألم ظاهر كما يبدو في قوله :

ولأساهِرنَّ الليلَ بعدكَ حَسْرةً إنْ ليلةٌ عـابتْ حزينـا نامَهـا
ولأشرِجَنَّ عن العذول على الأسى أُذُناً مُحرّمةً على من لامَهـا
ولأُبْدِلَنَّ الصبرَ عنك بقَرحةٍ في الصدر لا يجد الدواءُ لِحامَهـا
ابكـي لأُطفِئَها وأعلمُ أنني بالدمع محتطبٌ اشُدُّ ضِرامَهـا

ومن حق مهيار ان يسهر الليل وأن يبكي استاذه ، وأن لا يسمع عذل العاذل ،وأن يشعر بالالم يعتصر قلبه ويمزق صدره فهو يرثي رجلا عزيزا عليه تولاه بالرعاية ، وكان مهيار وفيا كل الوفاء بما قال ، وكان وفيا أيضا في التزام منهج استاذه في الرثاء ، وجاءت قصيدته الثانية فيها اكثر من دليل .

لقد انكر الساخطون على مهيار ادعاءه التلمذة وتقليد الشريف الرضي ورد عليهم الشاعر بقصيدة الرثاء الثانية فقال :

اقريشُ لالِفَمٍ اراكِ ولا يدِ ... فتوكلي غاضَ المندى وخلا الندي

خولستِ فألتفتي بأوقصَ واسألي ... من بَزَّ ظَهْرَكِ وأنظرى من أرمدِ (٣٧)

وهبي الذُحولَ فلستِ رائدَ حاجة ... تُقضى بمطرورٍ ولا بمُهنَدِ (٣٨)

خلاك ذو الحسبين انقاضاً متى ... تُجذَبْ على حبل المذلةِ تَنْقَدِ

قمر الدُنا اضحتْ سماؤكِ بعدَه ... ارضاً تُداس بحائرٍ وبمهتدي

فاذا تشادقت الخصومُ فلَجَلْجي ... واذا تصادمتْ الكُماةُ فعردي (٣٩)

يا ناشدَ الحسنات طَوِّفَ فاليا ... عنها وعاد كأنه لم يَنشُدِ

أهبِطْ الى مَضَرٍ فسلْ حمراءَها ... من صاحَ بالبطحاءِ يا نارُ اخمُدى

بكر النعيُّ فقيلَ أُردِيَ خيرُها ... ان كان يَصدُقُ فالرضي هو الردي

والقصيدة لا تختلف عن الاولى في مقدمتها الواسعة القوية وبأسلوبها المتين وفي شكلها العام ايضا ، الا انها اكثر ارتباطا بنماذج الشريف الرضي في الرثاء ، ونجد صورة قريبة منها في قول الرضي يرثي المقلَّد بن المسيب :

اعامرُ لا لليومِ انتَ ولا الغدِ ... تقلدّت ذلَ الدهرِ بعدَ المقلَّدِ

وأصبحتَ كالمخطوم من بعد عزةٍ ... متى قيد مشّاءً على الضيم يَنْقَدِ (٤٠)

---

(٣٧) المخالسة : المفاجئة بالقتل او غيره ، الاوقص : العنق القصير
(٣٨) الذحول : الثارات ، المطرور : المراد به سنان الرمح
(٣٩) تشدّق ـ لوى شدقه للتفصح متوسعا في الكلام من غير تدبر ، عود : هرب
(٤٠) خطمة : ضرب أنفه أو وضع الخطام عليه وبالكلام قهره

فان سار للأعداء غيرُكَ فاربَعي[٤١] وان قـامَ للعلياء غـيرُكَ فأقعُـدِ
وقل للحمىُ لا حاميَ اليومَ بعـدَه ولا قائمٌ من دون مَجْدٍ وسُؤددِ
وللبيض لاكفٌ لمـاضٍ مُهنّـدِ وللسمرِ لا باعٌ لعـالٍ مُسددِ
وقل للعـدى أمْنـاً على كلِ جانبٍ من الأرض او نوماً على كل مَرْقَدِ[٤٢]

وقد استطاع مهيار ان يحوّر صورة الشريف الرضي في مقدمته ، وان يتبعه في اسلوبه ، الا اننا لا نجد العاطفة الحادة التي وجدناها في قصيدته الاولى • وليس في الامر غرابة فلابد ان هذه القصيدة جاءت بعد فترة من رثاء الرضي وبعد ان انكر الناس على مهيار ما قاله في قصيدته الاولى ، وقد اعلن مهيار في هذه القصيدة توحده في دنيا الشعر كما يظهر في قوله :

غـادرتني فيهـم بمـا ابغضتُهُ ادعوا البيوعَ الى مَتاع مُكَسدِ
اشكو انفرادَ الواحـدِ السارى بـلا أُنسٍ وان احرزتُ سبقَ الأوحد

وهذا الادعاء يبقى قائما في قصيدة المديح يعيده الشاعر ويؤكده كما ظهر لنا من دراستنا لقصيدة المديح ، وتبقى قصيدة مهيار هذه تمثل نهاية فترة التقليد الواضح لاستاذه الرضي وبداية مظهر الاستقلال الفني في قصيدة الرثاء عند مهيار •

وبعد سنة ٤٠٦ للهجرة ينقطع مهيار عن الرثاء اكثر من ست سنوات ولا نجد لـه قصيدة واحدة خلال هذه الفترة ، ويطالعنا بعد ذلك بقصيدتين : الاولى في رثاء فقيه الامامية الشيخ محمد بن محمد النعمان الذى توفي سنة ٤١٣ للهجرة والقصيدة الثانية في رثاء صديق جمعته ومهيار علاقات شخصية وثقها المذهب كما يقول الشاعر وهذا الصديق هو ابو الحسين احمد بن عبدالله احد الرؤساء الكتاب في عصر بني بويـه •

ويبد ومهيار في رثائه هذا حزينا يتذكر من فقد من اصدقائه وأحبائه ويشعر

---

(٤١) اربعي : هكذا في الديوان ، واربع : وقف وتحبس وانتظر
حمراء : موضع على ثمانية اميال من المدينة
(٤٢) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد : ص ٣٢٩

بدنو اجله كلما فقد عزيزا ، وقد تميزت قصيدته بمقدمة واسعة عن الدهر وتقلباته ، وأصبح من تقاليدها الحديث عن امكانية رد الميت كما اكثر من التحدث عن احزانه الشخصية ، ووسع اختتام القصيدة القائم على الدعاء بالسقيا ، كما حافظ على ملاءمة القصيدة لمنزلة المتوفي وتوفر فيها عنصر الصدق والبعد عن المبالغة عند الاشارة بمناقب المرثي ، ونجد هذه الظواهر في قصيدته التي رثى فيها محمد بن النعمان فقيه الامامية في بغداد .

وكان محمد بن محمد النعمان مصنفا كبيرا من مصنفي الشيعة ومحاميا عن حوزتهم مشهورا بمجلسه الذى يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف معروفا بحسن اللسان والجدل والصبر على الخصم(٤٣) .

وجاء رثاء مهيار مناسبا للرجل الفقيه ذاكرا اياه بما عرف واشتهر كما يبدو في قوله مشيرا الى مناقبه :

نزّاعِ ارشيةِ التنازعِ فيهم — حتى يَسوقَ اليهُم النصَ الجلي
وُيبينَ عندهم الأمامة نازعا — فيها الحِجاجَ من الكتابِ المُنزلِ
بطريقةٍ وضَحَتْ كأن لم تُشتَبهْ — وامانةٍ عُرِفَتْ كأن لم تُجهَلِ
يصبو لها قلبُ العدو وسمعُه — حتى يُنيبَ فكيف حالكُ بالولي

ويقول فيها :

كم قدْ ضَمَمتَ لدين آلِ محمدٍ — من شاردٍ وهَدَيْتَ قلبَ مُضلّلِ
وعقَلتَ من ودٍ عليهم ناشطٍ — لو لمَ تَرضْه مُلاطفاً لم يُعْقَلِ
لا تَطَّبيكَ مِلالةٌ عن قولةٍ — تَروِي عن المفضولِ حقَ الأفضلِ(٤٤)

ويبدو مهيار واضحا في اغراق قصيدته بأفكار الامامية ومصطلحاتها ، وما تؤمن به ، فهو يشير الى النص على امامة علي ويتناول صورة الجدل ، وما جاء في القرآن حول حق الامامة ، ويؤكد براعة المتوفي فيما يروى من احاديث مسندة

---

(٤٣) الامتاع والموأنسة ج ١ ص ١١ والبداية والنهاية ج ١٢ ص ١٥
(٤٤) ديوان مهيار ط دار القصيدة ج ٣ ص ١٠٣ ـ ١٠٩

عن المفضول في صحة امامة علي وتقدمه ، ويشير الى براعة المرثي في الجدل فيقول عنه : ان العدو يصبو الى ما يقول والوني مؤمن كل الايمان •

وبدأ مهيار يميل بشكل واسع الى الاستقصاء والاسهاب في قصيدة الرثاء ، وترتب على ذلك الاهتمام بالمقدمة الواسعة وأتساع الحديث عن امكانية دفع الموت بفضائل المرثي ، كما أكثر من الحديث عن نفسه وأحزانه بفقدان احبته • اما اختتام القصيدة فقد توسع ايضا وأصبح الدعاء بالسقيا لقبر المرثي واسعا ومفصلا •

كان مهيار على ابواب الخمسين من عمره ، وقد نضجت عواطفه الشيعية وتلون وجدانه بحزن شخصي عميق على أحبابه وأصدقائه ، فهو يحس بالموت متربصا فاغراً فاه ملتهما احب الناس اليه وهو يرى مصرعه في مصارع الاصدقاء والاحباب فيقول :

مالي رَقَدْتُ وطالبي مستيقظٌ ... وغَفَلتُ والأقدارُ لمّا تَغفُلِ
ولويتُ وجهي عن مصارعِ اخوتي ... حَذَرَ المنيةِ والشفارُ تُحدُّ لي
قد نمّت الدنيا اليّ بسرّها ... ودُلِلتُ بالماضي على المستقبل
ورأيتُ كيف يطيرُ في لَهواتها ... لحمي وإنْ انا بعدُ امّا أؤكَلِ
وعلمتُ معْ طيبِ المحلوخِصبِهِ ... بتحول الجيران كيف تحولي

ورغم بساطة المعنى فان مهيار استطاع ان يجود في صورة الموت وأن يضع فيها شيئا من ذاته وأحزانه ، فهو يخاف الموت الا أنه يحس به اجلا محتوما يراه كل يوم في مصارع الاصدقاء وتأكله المنية كلما افترست عزيزاً واخذت رفيقَ عمر ، وقد استسلم مهيار للاقدار ، وأصبح حديثه عن الموت حديث الفكر والعقل ناظرا في الدنيا والبقاء والرحيل متعجبا من صراع الاقوام مغترين بمفاتنها وزخرفها •

عجبتُ لهذى الأرضِ كيفَ تلُمنا ... لِتصْدَعَنا والأرضُ أمُّ العجائب
تُطارِدُ عن اوراحنا برماحنا ... ونَطْرَبُ من ايامنا للحرائب

وتسعرنا الدنيا بشبعةِ طاعنٍ هي السقمُ المُردي ونهلةِ شارب
احدث نفسي خاليا بخلودها فأين ابي الأدنى وأين اقاربي
ولا كنت الا واحدا من عشيرة ولا باقيا في الناس الا ابنُ ذاهب
وهل انا اجبى من مَقَاولِ حميَرِ وامنعُ ظهراً من مُشيّدِ مأربِ (٤٥)

وينظر في نهايته فيقول :

ولا علم لي من اى شِقيَّ مصرعي وفي ايما ارضٍ يُخطُّ لجانبي

ولا يقلل من اهمية هذا الموقف الذاتي عند مهيار انسجامه مع موقف الرضي في النظرة للموت والدنيا والتأسي بالغابرين • فأنسجام العاطفتين كان واسعا رغم اختلاف الجذور والعنصر ، ومهيار تلميذ الرضي كان مقلدا له في الرثاء اكثر من أي فن آخر ، ولا عجب ان نجد صورة لما قال مهيار في شعر الشريف في رثائه لخاله :

نعم انها الدنيا سِمام لطاعم وخوف لمطلوب وهمٌ لطالبِ
حدت بعصاها آل ساسان والتوت يداها بآل المنذرين الأشاهبِ

ويقول الرضي في قصيدة اخرى ؟

وما يعلمُ الأنسانُ من اي جانبٍ من الأرض يأوي منه في التُربِ جانب (٤٦)

ومهيار يجمع الصورتين في قصيدته ويلونهما بعاطفته وأسلوبه كما ظهر لنا ، وليس في الامر غرابة فالشاعر بارع في تحوير الصورة واقتباس الاسلوب وقد نظر في نفس القصيدة الى قول ابن الرومي في رثاء ابنه :

اذا لعبا في لعبة لك لذّعا فوأدى بمثلَ النار من دون ما قصد

فقال مهيار في رثاء صديقه ابي الحسين ابن عبدالله •

وان احدثتْ عندي يدُ الدهر نعمةً ذكرتُك فيها فأعتدتْ من مصائبي

(٤٥) ديوان مهيار ط دار ج ١ ـ القصيدة ص ٥٣ ـ ٥٨
(٤٦) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد ١ ص ١٤٣ ، ١٤٦

والبيت ليس سرقة وانما اقتباس للاساليب الرثاء واختيار اجودها وتحويرها بمـا يناسب المقام •

ونجد النموذج الامثل لظاهرة الاتساع والاسهاب في قصيدة مهيار التي رثى فيها الصاحب بن عبدالرحيم ، وبلغت ابياتها ستة وثلاثين ومائة بيت(٤٧) وهي من اواخر قصائده في الرثاء وقد تميزت هذه القصيدة بمقدمة واسعة عن الدهر والايام وتقلبها وفقدان الشاعر لاحبابه وأصدقائه وبدأها بقوله :

من حاكمٌ وخصوميَ الأقــدارُ ... كَثُرَ العـدو وقـلّت الأنصـارُ
اشْجَى من الدنيـا بحب مُقلّبٍ ... وجهين عُرفٌ وفائِـه إنكـارُ

وقد حفلت هذه القصيدة بالاتجاهات الشـعوبية كمـا حفلت بالاتجاهـات الشيعية • وتبدو فيها شعوبية مهيار في اشارته الى فارسية المرثى قائلا :

المِخذَمُ البتّارُ أُسقِطَ من يدى ... والغيثُ اقلَـعَ عنـي المِدرارُ
والصاحبُ انتُزِعتْ قوادمُ أُسرتي ... منـه وهِيضَ جناحُـه الطيّـار
فاليوم لا أَبتِ الصغـار ولا اغتـدت ... الا عبيــداً فـارسُ الأحـرارُ
وتطأطـأت ذُلًا فطـالت ما أشـتهت ... شَرَفـاً عليهـا يعـربٌ ونِـزارُ
كنـا وان كَرُمتْ نفاخرُهـا بـه ... فالآن ما بعـد الحسـين فَخـارُ

واتجه مهيار في اشارته التاريخية وجهة شيعية فقال عن ثأر القتيل :

ولربمـا نـام الطَلـوبُ بثـأره ... لغـدٍ ولكـن لا ينـامُ الثـار
وقد اشتفى بعد البَسوس (مُهلِلٌ) ... زَمَناً وما نسـيَ الـدمَ « المرارّ »
وعـلى الطفوف دم أطيـل مِطالـهُ ... حتـى تقاضىُ دَينَـه المختـارُ

أما الظاهرة الفنية الاخرى في هذه القصيدة فتبدو في الاتجاه الى الصـورة العربية التقليدية ، ولو ان مهيار لم يعتمد اسلوب التفخيم الذي رأيناه في رثائـه للشريف الرضي ، وتبدو هذه الصورة في تصوير مهيار لاسر القتيل حيث قال :

---

(٤٧) ديوان مهيار ط دار ج ص ٤١٨ ـ٤٢٦

اعـزِزْ علي بـأن تُصابَ غنيمـــةً في القيـد يجمعُ سـاعديك إِســارُ
في حيث لا يُروَى علــى عاداتــه بيديك نَصْلٌ حــائمٌ وغــرارُ
والخيــلُ صائمــةٌ عــلى اشـطانها قَرْحى تقامص خلْفَها الأمهار(٤٨)
بشِياتها لم يُختَضبْ بـدمٍ لهـــا عُرفٌ ولم يُبلَلْ عليكَ عِذار(٤٩)

ونجد الصورة العربية التقليدية ايضا في اشادة الشاعر بمناقب القتيل :

وكـأن بابَك لم يكــنْ لعُفاتِــه حَرَماً يُجيرُ ولا حِمىً يُمتار
يلْوى اليـــه المَسنتون ويلتقــي بفنائــه السُفّار والحُضّـــار
وتَبيتُ تَلَغطُ من وصائِل ناقةٍ عُشَراءَ عندكُ برمـــةٌ أعشـارُ
تُصفي كرائمَها الضيوفَ وتكتفي فيما يليك بما انتقــى الجــزّارُ

وقد احسن مهيار في التعزية فقال لابناء القتيل :

ان تَفتَقدْ عيني مثالــكَ في العُلى فبنــوك من عـــينِ العــلى آثــارُ
ســدوا مكانك والشموسُ اذا هـــوتْ ملأت مطــارحَ نورِ هـــا الأقمـــارُ

وقد توسع مهيار في قصيدته هذه وهو يعزى ابناء القتيل وأسهب في هـذا العزاء كما اسهب في دعائه بالسقي لقبر المرثي ، ومع ذلك استطاع رغـم طـول قصيدته ان يحفظ لها المستوى الفني وان يتحاشى السقوط النثرى الذى تقوده اليه سهولة الالفاظ •

وقد برز مهيار في رثاء الاطفال والنساء ، وهو كما يقــول ابن رشـيق : « من اشد الرثاء صعوبة على الشاعر ان يرثي طفلا او امرأة لضيق الكلام عليـه فيهما وقلة الصفات »(٥٠) • وقد ظهرت براعة مهيار في هذا المجال وهو يرثي

---

(٤٨) قرحى : الخيل فيها جراح ، والقرح : الجرب الشديد ايضا قمص الفرس : اعرض ونفر •

(٤٩) العذار : مأسال من اللجام على خد الفرس ، الشيه : كل لون يخالف معظم لون الشي أو العلامة •

(٥٠) العمدة في الشعر جـ ٢ ص ١٥١

ابنتي صديقه ابي الحسن بن روح النهرواني • وجمع فيهما حسن التعزية وجودة الرثاء ، وقد افتتح قصيدته بمقدمة واسعة عن الدهر والايام ثم قال في الرثاء مقدما الصورة المناسبة :

همـا بيضتا كـنٍ بجانب مُلبِسٍ حماهُ الطروق تيهُهُ وسباسبُهْ
حرامٌ على الساري تضيعُ على القطا افاحيصُهُ في جوه ومساربه
يحوطهما ما اسطاع وَحَفُّ جناحِهِ شِعارُهما دونَ التراب ترائبُهُ
تراه يصادي حاجبَ الشمس عنهما لو ان الردى ما أحرز الشيءَ حائبُه
رُزئتَهما شمسينِ اقسَمَ فيهما ظلامُ الأسى الاّ تَجلّى غياهبُهُ
يَعُدون خُرقا بالفتى في بناته اذا ما بكى او ذلّ للحزن جانبُه
وكم من كريم عزّه نُجباؤه فعزّ بما ساقت اليه نجائبُه
وبعضُ البنات من بها يُنتَجُ العلى وبعض بني الأنسان في الحي عائبُه(٥١)

وقد وفق مهيار في صورة العفة والصون وهو يصف البنتين ببيضتي كن في حرز امين ورعاية وحنان ، وقد استعار صورة من الصحراء للقطاة وحنوها على بيضها ووضعها اياه في مكان امين ، كما اجاد حسن التعليل في حزن على البنات وكونهن ينتجن ابناء المعلى والمجد ، وقارن بينهن وبين الرجال الذين يكونون عارا على اهلهم ، وقد اختتم مهيار قصيدته بتعزية مناسبة قال فيها :

عتبت على دهرى فسهّل عذره بأنك باق كلّ ما هو جانبُه
اذا سلِمَ البدر التمامُ فهيّنٌ على الليل ان تهوِى صِغاراً كواكبُه

ومهيار كان يجيد اختتام القصيدة في المديح ويضع الصورة المناسبة له ،

---

(٥١) ديوان مهيار ط دار جـ ١ ص ٧٤

ملبس : مغطى مستور ، الأفحوص : الموضع الذي تفحص عنه القطا لبيضها واحف الجناح : ريشه الكثير ، الشعار : ما تحت الدثار من لباس يلي الجسد

وهو يجيده في الرثاء ايضا ويضع الصورة المناسبة له ، وملاءمـة قصيدة الرثـاء للمرثي لا تقل نجاحا عن ملاءمة قصيدة المديح للممدوح في شعر مهيار .

ونستطيع ان نقول مطمئنين ان مهيار وفق في رثائه الى حد بعيد اذا ما قيس هذا الغرض بأغراضه الشعرية الاخرى ، الا ان اسلوب سرد الاحداث والاسهاب والعرض التاريخي كانت عناصر فعالة في تقليل شأن قصيدته الرثائية ، وقد امدته احزانه الشخصية والمذهبية والشعوبية بروافد من الاحزان ظهرت في قصيدته .

وكان من اسباب نجاح مهيار في رثائه انه وضع قصيدة الرثاء لتكون اكثـر تعبيراً عن ذاته بعيدة عن التصنع ، وقد حفظ لها الابتعاد عن ليونة اللفظ وسهولته وشملها الطابع الحزين الذى حاول مهيار ان يضفيه على هذه القصيدة .

ولا عجب في ان يقف مهيار على قدميه مع استاذه الرضي مقلدا ومقتبسـا فقد سار على منهجه واقتبس صوره وأساليبه فأحسن التقليد ووفق في التزام المنهج والاقتبـاس .

الفصل الرابع

الوَصفُ في شِعرِ مِهيار

مقدمة :

كان القرن الرابع للهجرة فترةً خصبةً لنمو فن الوصف وازدهاره بعد ان انصرف عن المحيط الصحراوى الى حد بعيد ، والتفت الى مظاهر الحضارة وأدواتها والطبيعة وعجائبها يصفها ويكثر من هذا الوصف بشكل واسع يدل على مدى التأثر بمظاهر الحضارة الجديدة .

ولقد قدر للشاعر العربي ان يظل خاضعا لذوى السلطان يقدم مراسيم الطاعة ارضاء وتملقا واستجداءً ، وكان عليه ان يلتزم المنهج الفني التقليدي في المناسبات ، وان يساهم في المقطوعات الوصفية وغيرها في مجالس الادب واللهو والطرب ليقدم صورة انيقة لمظاهر الحضارة وادواتها .

وقد ذكرت فيما سبق ما يدور في مجالس عضد الدولة من نشاط ادبي في المقطوعات الوصفية ، وكيف كان على الشاعر ان يكون على جانب من الفطنة وحضور البديهية ليجيب رغبة عارضة للامير البويهي في وصف اداة من ادوات الحضارة او اكلة جديدة قدمت على مائدة الامير[1] .

ويظهر ان تأثير الطبقة الحاكمة المثقفة كان بعيد الاثر ، وينقل لنا الثعالبي كيف ان الوزير المهلبي أعجب بشعر الصنويرى في الطبيعة والشرب والثلجيات ونشر هذه الطريقة ببغداد[2] ، ولا شك في ان مجالسه كانت احدى وسائل النشر والتشجيع لهذا الفن الشعرى الحضرى .

ويقول الدكتور جميل سعيد عن اثر هذه المجالس : (وكان للشعراء غير المجالس العامة مجالس خاصة يتحدثون فيها عن الادب والشعر ، ويبدو لي ان شعر الوصف كان اكثر من غيره دورانا في هذه المجالس[3] . وينقل لنا

---

(١) البحث ص ٢٩

(٢) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٢٢٧ والحضارة الأسلامية جـ ١ ص ٤٧٣

(٣) الوصف في شعر العراق ص ٣٠٩

الباحث صورا من الاوصاف التي يتداولها ابن نباته السعدى في مجالسه كوصف الحية والذئب وغير ذلك[٤] •

ويظهر ان شعر المقطوعات بطابعه الحضرى كان اول ما يأخذ بـه الشاعر الناشيء في هذا العصر لينتقل من قائل مقطوعات متناثرة الى شاعر مداح لوزيـر او امير او خليفة ، وكان هذا هو رأى ابي حيان التوحيدى الذى طلب من الشاعر ان يتم حضريا ليتسنى له الانتقال الى النهج الفني التقليدي في القصيدة العربية التي بقيت تمثل « ارستقراطية » الشعر •

وروى لنا الثعالبي قصة الشاعر ابي الحسن السلامي وخروجه وهو صبي من مدينة السلام والتقاءه في الموصل بأبي عثمان الخالدى وأبي الفـرج الببغـاء وشيوخ الشعراء فلما رأوه عجبوا منه واتهموه بأن الشعر ليس له فقال الخالدى انا أكفيكم امره ، وأتخذ دعوة جمع فيها الشعراء وجعـل السـلامي معهـم فلمـا توسطوا الشرب اخذوا في ملاحاته والتفتيش على قدر بضاعته ، فلم يلبثوا ان جاء مطر شديد وبرد ستر الارض فالقى ابو عثمان نارنجا كان بين ايديهم عـلى ذلك البرد وقال يا أصحابنا هل لكم في ان نصف هذا « فقال السلامي فيه ارتجالا وأحسن الوصف فلما رأو ذلك منه امسكوا عنه »[٥] •

والرواية التي ينقلها الثعالبي تعطي صورة لمجالس الانس والطرب ومدى تأثيرها على نمو الشعر الوصفي ، كما تدل دلالة واضحة على أهمية هذا الوصف ، فأختبار السلامي بهذا الفن وهو ما زال في بداية نشأته الشعرية يؤكد صحة رأى التوحيدي في ضرورة اتمام الصنعة الحضرية في الشعر قبل الانتقـال الى ممارسة الشعر التقليدي •

وكان شعراء بغداد الذين تجاوزوا حياة المدن ، وأولعوا بالبادية والصحراء اقل الشعراء التفاتا الى مظاهر الحضارة وأوصافها ، فهؤلاء الشعراء الذين التزموا

---

(٤) المصدر نفسه ص ٣٠٩ وما بعدها

(٥) يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦

النهج التقليدى للقصيدة اعربية في شكلها ومحتواها ، ففضلوا وصف الابل على الزوارق النهرية والطرادات ، وهاموا بالبرق ، وعشقوا شميم نجد المعطر بالشيح والقيصوم بدلا من ان يهيموا بأزهار البنفسج والجلنار ، وتطلعوا الى ماء الغدر في الصحراء وهم اهل بغداد مدينة الترف والحضارة .

الا ان هؤلاء الشعراء الذين مثلوا « ارستقراطية » الشعر لم يستطيعوا ان يتخلصوا تماما من مظاهر الحضارة ، ولكنهم كانوا أقل التفاتا لها من الشعراء الحضريين ، وقد جاء وصفهم قريبا من الصحراء وطابع البداوة ، ونستطيع ان نجد النهج التقليدى في شعر الشريف الرضي وابن نُباته السعدي ومهيار الديلمي وما يمثل هذا الشعر من طابع بدوى في الوصف ، كما نجد الطابع الحضرى في شعر السلامي وشعراء الموصل والشعراء الكتاب امثال الصاحب بن عباد وابي اسحاق الصابي .

وقد ذكر لنا الدكتور جميل سعيد نماذج مما يدور من اوصاف في مجالس ابن نباته وهي لا تتجاوز وصف ذئب او حية[٦] كما ذكر الثعالبي وصف الفرس لابن بناته واعتبره من غرر اوصافه ، ونقل مقطوعتين من هذا الوصف[٧] .

اما وصف الشاعر الحضري ابي الحسن السلامي فهو يتنال الطبيعة الحضرية، كما يتناول ادواتها وما يعجب الناس به من رارنج وجلنار وأديرة وشراب وسفن وزوارق كما كتب الابيات التي تلائم خواتيم النساء بناء على طلب عضد الدولة ، وهو في اوصافه هذه يمثل طابع الحضارة في الوصف والاسلوب والصورة[٨] .

وصف مهيار الحضري :

لمهيار نوعان من الوصف احدهما التفت فيه الى البيئة الحضرية ومظاهرها وهو القليل ، وثانيهما الوصف البدوى الذى جاء في تنايا قصائده وتعرض فيه

(٦) الوصف في شعر العراق ص ٣١٠ نقلا عن النسخة الخطية من ديوان ابن نياته

(٧) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٣٩١ ـ ٣٩٢

(٨) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٤٠٧ ـ ٤٢٠

لطبيعة الصحراء ووصف الابل والقفار ، ويلحق بهذا الوصف اوصافه للاسد والسفينة لالتزامه النهج البدوى في هذا الوصف •

ولم يكن مهيار مكثرا في اوصافه الحضرية ، وهو ما أولع بـه شعراء عصره ويبدو انه سلك سبيل الحضارة في بداية نشأته الشعرية وتداول اوصافها وأدار صورها والفاظها في شعره قبل ان يولع بالبادية ومعاهدها ، وقد تناول مهيار ما تناوله معاصروه من مظاهر الحضارة وجاء اكثر وصفه قائما على الملاحظة البصرية والمشاهدة ، وهو بحكم اسلوبه التفصيلي جاء وصفه فيه كثير من شدة الملاحظة وأكمال جزئيات الصورة ، الا انه افتقد ما يتميز به الشعر الوصفي من اثارة للنشوة والوجدان •

وقد وصف مهيار العود وأواني الخمر في قصيدة قديمة تاريخيا وكانت في مدح نقيب النقباء في عهد بهاء الدولة ابي القاسم بن مما وفيها يقول واصفا العـود :

وأخرسُ مما سنّت الفرسُ ناطقٌ يهبُّ رياحاً رَوحُه وهو راكدُ
على صدره بالطول سبعٌ ضعائفٌ تُدبِّرُها بالعَرض سبع شدائد
وخمسٌ سكونٌ تحتخمسٍ حواركٍ تَمُدُّ ثلاثاً يمتطيهن واحد
يُشرّد من حُلم الفتى وهو حازمٌ فيرجعُ عنه فاسقا وهو عابد[٩]

والصورة كما تبدو بصرية تقترب من شكل التصوير الفوتوغرافي مفتقدة للحيوية والحركة ، وقد التفت مهيار الى وصف تفصيلي للعود وترك تأثيراته في النفس وما يثير في اعماق الوجدان ، كما انه لم يقدم صورة سمعية لتأثيرات العود وأنغامه ، وقد وصف مهيار في القصيدة نفسها اناء الخمر وجاء وصفه « صورة نواسية » قلد بها اوصاف ابي نؤاس وأفقدها حيويتها وما تثير في النفس من نشوة فهو يقول في وصف اناء الخمر :

---

(٩) ديوان مهيار ط دار جـ ص ٢٢٦

وقوراءُ ماءُ الكَرْمِ احمرُ ذائبٌ ... عليها وماءُ التبرِ اصفرُ جامدُ
تُمثِّلُ بهرامَ الكواكبِ قائماً ... بها حيثُ بهرامُ الأكاسرِ قاعدُ
اميران يُخفِي قائمَ السيف قابضٌ ... عليه ويُبدي دُرةَ التاج عاقدُ
تَبينُ وحباتُ المزاج نوازل ... وتَخفى وحباتُ الحَبابِ صواعد[١٠]

وقد اظهر مهيار مقدرة نادرة في تصوير جزئيات الصورة المرئية ، ونقلها بدقة وأمانة ، وكل ما تفتقده هذه الصورة كما قلت اللون النفسي والطابع العاطفي ونلمس هذه المقدرة ايضا في قصيدة وصفية أخرى وصف بها دارا لاحد اصدقائه ونقل فيها صورا من فنون البناء والزخرفة ، وعرج على بستان الدار ووصف سروها ونخيلها ، وجاءت القصيدة متكاملة الاجزاء فيها كثير من التنسيق والنظام[١١] ، وقد وصف شجر السرو والنخيل في قوله :

ومنشورةٍ سَتَرت نفسَها ... فخاطَتْ قميصا ولاثتْ خِمارا
وعزّتْ فصانت سوى ساقِها ... وما إنْ اباحته الا اضطرارا
تُشمِّرُ عنه جلابيبها ... لعادته أن يخوضَ الغمارا
فكادتْ تُواريه ضِناً به ... ومن حسنها أنه لا يُوارى
تُشكِكني وهي طوعُ الريا ... ح تَتْبَعُها يَمنة ويَسارا
اتدنو لتُسعِفَني بالعنا ... ق في مثلها ام تصدُّ ازورارا
وتجلو عليك بناتِ الفسيل ... اذا كستْ السعفاتُ الثمارا
غدائرُ غيدٍ يُضَفِّرْنَها ... وتأبىٰ عليهن الا انتشارا

وقد اتبع مهيار وصف البستان وصفا تفصيليا واسعا للبركة وزخرفها ونافورتها • ونجد للشاعر ايضا امثلة من هذا الوصف الذي يتميز بالدقةِ والاتساع في ملاحقة جوانب الموصوف ، وان كانت الصورة البصرية هي السائدة ، ونجد

(١٠) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ، القوراء : الواسعة ، بهرام الكواكب : المشتري ، وبهرام : اسم العدد من سلاطين بني ساسان
(١١) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٥٠ ـ ٣٥٤

هذه الظاهرة الطريفة في قصيدة وصف فيها مهيار جبة طلبها من صديق وقال في وصفها :

فهل انت منه حافظي بحصينة تمر بها تلك السهام فتزلق
تضم الى الدفء الجمال فوجهها الرقيق وقاح ليلة القر يصفق
موافقة لونا ولينا كأنما تجارى بعطفيها نضار وزئبق
رعى ابواها من «خوارزم» هضبة ترف عليها الغاديات وتغدق
ودبا على أمن وخصب فلقنا بجسميها جسماً يقي ويمرق
اخو سفر من اصبهان ولاده وبغداد منشاه مجيل مدقق
كأن الذي سدى وألحم روضة تفتح من حوك الربيع وتشرق
لها شافع عند القلوب باحمر حكى دمها تحنو عليه وتشفق
وقربها عند النفوس بأسود على ابيض او ابيض فيه ازرق
ومهما يكن من مرسل او مصور فرأيك في التقريب منه الموفق(١٢)

وتبدو الصورة فيها كثير من الطرافة كما تظهر فيها مقدرة مهيار في تتبع جزئيات الموصوف وأتساعه في اكمال ملامح الصورة البصرية ، وقد استطاع الشاعر ان يتخلص الى حد بعيد من الصنعة وأثقالها مما اعطى للصورة رونقا وسهولة مأخذ وطرافة .

وقد وصف مهيار من طيور المدن الحمام والعصافير ، الا ان هذا الوصف لم يكن مقصودا لذاته ، ولم يتفرغ الشاعر لهذه الاوصاف . والمقطوعة الوحيدة التي ابدى فيها مهيار ولعاً وحبا للحمام اعتبرت في الديوان من اوائل شعره

ومهيار اهتم بوصف الحمام والعصافير في بداية نشأته الشعرية وقبل ان ينتقل نهائيا الى الهيام بالبادية ومعاهدها ، ويظهر الشاعر في وصف الحمام كثير الحزن والهم مشاركا له في اساه وحزنه كما يبدو في قوله .

(١٢) ديوان مهيار ط دار ج ٢ ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥
وقاح : صلب ، الغاديات : السحب تسير غدوة

ترنّمتْ ترنّمَ الاسيرِ ورقاءُ فوقَ ورقٍ نضيرِ
تنطِقُ عن قلب لها مكسورِ كأنها تخبرُ عن ضميرى
لبّيكِ يا حزينةَ الصفيرِ ان استجرتِ فبمستجيرِ
مثلُكِ في تبلّدِ المهجورِ قصّ جناحي زمني فطيرى
لكِ الخيارُ أنجدى او غورى وحيثما صار هواكِ صيرى[١٣]

وقد اعتبر بعض الباحثين ميل مهيار لوصف الحمام مشاركة له بالاحزان. وتعبيرا عن ميول فارسية ، ويقول الدكتور جميل سعيد عن هذا الوصف . « ونراه يكثر الحديث عن الطير في شعره يشجيه صفير الحمام ويهز نياط قلبه ، حتى ليتوهم ان الحمامة انما تتحدث عن ضميره هو لا عن ضميرها هي ، وربما كان لهذا الامر صلته بطبيعته الفارسية »[١٤] .

ولمهيار اربع قصائد في ديوانه الكبير تحدث فيها عن الحمام والعصفور ، ومن هذه القصائد المقطوعة التي ذكرناها وثلاث اخرى بدأها بالتحدث عن الحمام مرتين وعن العصفور مرة واحدة ، وانتقل منها الى مواضع البادية ، وهو في وصفه للعصفور لم يصفه لذاته وانما يصفه بقدر ما يثير في نفسه من حنين الى البادية فهو يقول في احدى قصائده القديمة تاريخيا .

ما انتِ بعد البين من أوطاني دار الهوى والدارُ بالجيران
كنتِ المنى من قبلِ طارقةِ النوى والشملُ شملي والزمانُ زماني
ولئنْ خلوتِ فليس اولَ حادث خلتْ الكناسُ له من الغزلان
طربُ الحمام بطبعهن وانما استملين فيكِ النوح من احزاني
امخيمون على اللوى من « عالج » ام لاحقون الماء في «ماوان»[١٥]

ويلاحظ ان مهيار لم يكثر الحديث عن الحمام ، وانما فضّل الانتقال الى

(١٣) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٣٤٥
(١٤) الوصف في شعر العراق ص ١٧٦ .
(١٥) ديوان مهيار ط دار ج ٤ ص ٥٠ الكناس بيت الظبي
ما وان ـ قرية في وادي اليمامة ، عالج ـ موضع ينسب اليه رمل تنزله طي.

البادية وتتبع الراكب الراحل ، وهو في قصائده الاخرى التي تحدث فيها عن الحمام لا يخرج عن هذا الاسلوب[١٦] • ويكاد يكون حديثه عن العصفور قريبا من حديثه عن الحمام ، فهو يذكره بقدر ما يثير في نفسه من ذكريات الحب البدوى الذى أولع به كما يبدو في قوله •

أإنْ تحدّثَ عصفور على فَنَنٍ | انكرتُ يومَ اللوى حِلْمي وأنكرني؟
ما كنت قبل أحتبالي في الحنين له | أخافُ أن بُغاثَ الطير تقنُصني
زقا فذكرني ايام كاظمةٍ | عمارة الدار من لهو ومن دَدَنَ
اشتاقُ ميا ويشكو فقدَ افرخه | لقد أبِنْتُ عن الشكوى ولم يَبِن
دلت على الحُزنِ ريشاتٌ ضُعفنَ به | عن نهضة ودليلُ الحبِ في بدني[١٧]

ولابد من القول ان وصف الحمام ومشاركته الاحزان ليس فنا جديدا على الشعر العربي ، وقد اشجى الحمام العشاق والمحبين وأحزنهم ، كما نجد ذلك في شعر جميل بثينة[١٨] ، وأشجى الشاعر الامير أبا فراس الحمداني في قصيدته الشهيرة، كما نجد صور هذا الاسى والحزن في شعر الشعراء الذين اعتادوا الاحزان في حياتهم ، ومن الامثلة على ذلك شعر الشريف الرضي واشاراته الى الحمام ما يثير في نفسه من أحزان[١٩] •

الا ان هذه الامثلة لا تنفي نفيا باتا افتراض التأثيرات الفارسية او المجوسية في قصائد مهيار التي وصف فيها الحمام والعصافير ، فالقصائد فيها شيء من المشاركة الوجدانية الحزينة ، وأكثرها من قصائده الاولى التى امتزجت فيها القيم الحضرية والبدوية •

---

(١٦) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ١٠ ، ج ٤ ص ١٣٤
(١٧) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٣٤ دون : اللعب
(١٨) ديوان جميل بثينة ـ تحقيق الدكتور حسين نصار ص ١٢٦ ، ٢٢١ •
(١٩) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد ١ ص ٣١٣ ، ٣٢١ ، مجلد ٢ ص٤٧٥

الوصف على طريقة الاهاجي والالغاز :

الاحاجي والالغاز هي الاغاليط من الكلام وتسمى ايضا الكلام المعمى ، وقد وقد فرق ضياء الدين بن الاثير بينها وبين المغالطات اللغوية التي تعرف بدلالة اللفظ على الحقيقة او المجاز وقال • اللغز والاحجية شيء واحد وهو كل معمى يستخرج بالحدس او الحزر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة او مجازا[٢٠] •

وقد اشرت فيما سبق الى انتشار هذا الضرب من الشعر في عصر بني بويه وتداوله في مجالس السمر والادب ، وقد اكثر مهيار من هذه الاحاجي والالغاز بشكل واسع ووجهت بعضها بصيغة السؤال وكأنها امتحان لنباهة وذكاء السامعين •

وقد اعتبر بعض الذين درسوا مهيار هذه الاحاجي شعرا وصفيا رائعا وقال السباعي البيومي • « ما توافر لدى شاعر الثراء اللغوى والخيال الواسع الا اجاد الوصف ، وهكذا كان مهيار فقد وصف الارض وما اخرجت من نخيل ورياحين وأزهار ووصف البحار وما حمل ماؤها وحوى من سمك •••»[٢١] ، وقد خلط الباحث بين الشعر الوصفي والوصف الذى جاء على طريقة الالغاز ، وأخذ بهذا الرأى عن الفلال في بحثه عن مهيار وأعتبر هذه الالغاز من الوصف المستقل وأخذها دليلا على سعة افق الشاعر [٢٢] •

ووضع أحاجي مهيار في باب الوصف البارع امر فيه كثير من التجاوز ؟ فهذه المقطوعات التي جاءت الغازا تفتقد لكثير من ادوات الوصف وأصوله ، فهي خالية من ذاتية الشاعر وتأثره وأعجابه بهذه المظاهر الطبيعية ، وهي ايضا تقوم على التعمية والغموض ، هو الذى يجلو الصورة ويحدد ابعادها ، ويوضح ملامحها ويضفي عليها من وجدانه ما يزيدها جمالا وحيوية وطرافة •

---

(٢٠) المثل السائر ـ ضياء الدين بن الأثير ط الحلبي سنة ٩٣٩ ـ جـ ٢ ص ٢٢٣ ٢٢٤

(٢١) تاريخ الأدب العربي ـ السباعي ـ جـ ٣ ص ٣٧٩

(٢٢) مهيار الديلمي وشعره ـ علي علي الفلال ص ١٥٩ـ١٦١

وقد انكرت على مهيار في وصفياته السابقة جمود الصورة وضعف العنصر الذاتي الذي يدل على المشاركة الوجدانية مع هذه الموصوفات وتلونها بذاتيته ، وانكاري هذا يكون في محله اذا نظرنا الى هذه الالغاز الوصفية التي جاءت هياكل لفظية تفتقد الروح كما تفتقد وضوح الصورة وحيويتها ، فهي لم توضع للوصف ذاته ، وانما جاءت لاختيار الذهن والفطنة ، وكلما نستطيع ان نقرره بالنسبة للشاعر انه يستطيع بفطنته ودقة ملاحظته ان يتلاعب بالصورة الوصفية الجامدة ويعميها لتكون موضع مداولة واختبار في مجلس ادب او تسلية .

وقد قلت ان اكثر هذه الالغاز جاءت على صيغة سؤال ينتظر من السامع ان يكد ذهنه ليعرف الحل ، ونادرا ما يستطيع القارىء أن يعرف المقصود الا اذا عرف ايضاح الشاعر وأشارته الى ما يصف ، ونستطيع ان نلمس هذه الظاهرة في وصف مهيار لرمانة حمراء قال فيها .

ما امُّ اولادٍ كثيرٍ في العدد ... تُروي رضاعا وهي بِكْرٌ لم تَلِدْ
تَبسِمُ عن عَذبِ الرُضابِ باردٍ ... لولا دمٌ يصبُغُه قلت بَرَدْ
اعجِبْ به ماءَ زُلالا شَبِما ... تجمعُه في أُهَبٍ نارٌ تَقِدْ
يا حسنَها مجموعةَ الشملِ ويا ... اضعافَ ماتَحسُنُ والشملُ بَدَد(٢٣)

وقال في وصف ميزان .

وما زائدٌ ابداً ناقصٌ ... فطوراً يقومُ وطوراً يميلُ
اذا ضلّ فَهْمُ الدليلِ الحليمِ ... هدى الناس منه دليل جهول
متى خفّ او طاش اعمدتُه ... ويُحمَدُ وهو رزين ثقيلُ
له مرفقانِ يقيم الحدودَ ... على صمته فيهما ما يقولُ
فحاضرُه صحةٌ اوضنىً ... وغائبُه سَمج او جميل(٢٤)

وعلى هذا النهج وصف مهيار السرير والسمك وبنات نعش والطبل والقوس

---

(٢٣) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٣٤٤
(٢٤) دتيوان مهيار ط دار ج ٣ ص ١١٨

والدواة والثريا •• وأوصافه هذه تجمع مع التعمية وجمود الصورة تفاهة الموصوف ايضا •

الوصف على الطريقة البدوية :

وصف مهيار السفن والناقة والصحراء والبرق وتعرض لوصف الاسد ، وأعاد وكرر كثيرا من الاوصاف التقليدية ، الا ان هذه الاوصاف لا تخلو من طرافة وحيوية كما فيها الدلالة الواضحة على مقدرة الشاعر وسعة خياله ، ويبدو ان مهيار وصف هذه المظاهر بعد ان اكتملت ادواته ، ونضجت شاعريته وسلك الطريق البدوى في صورته وخياله وأوصافه ، وجاءت هذه الصورة مستمدة من طبيعة النهج الذى اختطه لنفسه •

ولمهيار عشر قصائد ركب فيها السفينة بدل الناقة ، وجاء وصف السفن جزءً من قصيدة المديح يضع فيها الشاعر السفينة بدل الناقة وهي تحمل رسوله الى ممدوحيه ، وقد ادرك الشاعر عدم ملائمة ركوب الناقة في السفر الى الممدوحين الذين تقع اماراتهم او مراكز اعمالهم على ساحل بحر او شاطيء نهر ، ولا يتم الوصل الا بركوب السفينة •

وقد ادار مهيار في وصف السفينة الفاظ الناقة والصحراء ، ووصف السفينة على وجه المقارنة والمقابلة بالناقة ، ولم يستطع ان يتخلى عن هذه المقابلة في قصائده العشر ، فاذا وصف مهيار السفينة بالمتانة فهي مضبرة فتلاء واذا اراد ان يقول ان ركاب السفينة يأخذون اماكنهم داخلها وضع مقابل ذلك قوله ان ظهور المطايا للحمول •

أما الرياح التي تدفع السفينة متهادية في الموج مسرعة احيانا ، فهي سياط تشلها فتغدو « طرائد لبس لها جماح » ، اما سيرها في الماء فقد اقتبس له مهيار الصورة المعروفة في تشبيه السفينة بالثعبان وهو يشق طريقه في الرمل ، وقد اعجبت هذه الصورة السرى الرفاء فقال فيها :

وتشقُّ العُبابَ كالحيةِ السوداءِ ابقت في الرمل أَثَرَ انسيابٍ (٢٥)

ووصف مهيار مجاذيف السفينة قادمتي النسر وهي صورة قديمة اجاد فيها مسلم بن الوليد في قوله :

اذا اقبلت راعت بقُنةِ قَرهبٍ وان ادبرت راقت بقادمتي نسر

وابن الرومي في قوله :

اذا هي قيست بالنسور تشابهت بمصطخب التيار جمّ الزمازم
اذا أُعجلت لم يَستَرِث طيرانها وان أُمهلت زفّت زفيفَ النعائم(٢٦)

واستغلال الصورة القديمة لا يقلل من براعة مهيار في وصف السفن وقد استطاع الشاعر في وصفياته ان ينقل صورا حية كثيرة الحركة والحيوية اشتملت على النشاط السمعي والبصرى ، وهو مالم نلمسه في وصفياته السابقة ونجد هذا الوصف في قوله :

هو الراكبُ الدهماءَ تمشي بظهرها
على جَدَدٍ لا يحسدُ الركبَ راجلُه (٢٧)
عريضِ النياطِ لا يثورُ ترابُه
بُخفٍّ ولا تُحفي المطايا جنادُله
امينِ الظما لا تعرف العيسُ خِمْسَه (٢٨)
بِبَلٍّ اذا ثارت عليه قَساطلُه
لزاجر أعجازِ السوابق فوقه
سياطٌ من النسل الذى هو ناسله
تراه بحضنيه يُحارِكُ ظلهَ يقاومه طورا وطورا يُمايلُه

(٢٥) الوصف في شعر العراق ص ٢٤٥
(٢٦) المصدر نفسه ص ٢٤٦
(٢٧) الجدد ـ ما استرق من الوبل والارض الغليظة المستوية
(٢٨) الخمس ـ ان ترعى الأبل ثلاثة ايام وترد الرابع

وتحسبه يهوي ليُفضي بسره الى جالس ما إن يزال يزامله[٢٩]

والسفينة التي يصفها مهيار سفينة صغيرة منحدرة في نهر دجلة ووجهتها واسط ، فهي لا تلاقي امواجا عاتية . وقد وفق مهيار في وصف مجاذيفها وحركتها وحيوية الملاح ونشاطه .

واذا مدح مهيار امير عمان ابن مكرم وجد ضرورياً ان يركب البحر او يصطنع هذا الركوب ، ليصف المغامرة البحرية وتلاطم الامواج وخوفه من السفينة اذا ما اصابها صدع في عرض البحر ، ويتواثب قلب مهيار بين ضلوعه فزعا وهو يتخيل هذه الصورة المرعبة ، وقد استطاع الشاعر ان يجوّد في وصف الرحلة البحرية والسفينة ، وجاء هذا الوصف حافلا باللون والحركة والصوت ، ولا يقلل من روعة الصورة احتفالها بألفاظ البادية والصحراء ، يقول مهيار .

لعل مؤيدَ السلطانِ تحنو عواطفُ فضلِه بعدَ اجتناب
فقلتُ ودونَه متلاطماتٌ زواخرُ هن كالأسْدِ الغِضاب
صواعدُ كالجبال اذا احسّتْ نسيما او نوازلَ كالجوابي
وأخضرُ لايروق العينَ يُطوى على بيضاءَ سوداءِ الأهاب
تُجاذبُه الأزمّةُ من حديد فيقمصُ او يُقطّرُ في الجذاب
اذا خُوصُ الركاب شكونَ ظَمْأً شكا ركابها شَرَقَ الركاب
يروع حُداءُ احبُشِها النواتي اذا شاقتك حاديةُ العِراب
اذا عثرت فليس تُقالُ ذنباً وأن صدعت فليست لأنشعاب
فلست بسابح فأقول انجو عسى إنْ ظهرُها يوما كبا بي
اذا حلمَتْ بها في النوم عيني طِفقتُ أحُسُّ هل رطِبت ثيابي[٣٠]

ومن الطرافة ان مهيار ينقل لنا أن الاحباش كانوا ملاحين للسفن البحرية ، وكان لهم حداؤهم وغناؤهم ، والراكب يرتاع ويأخذه الفزع والسفينة في عرض البحر

---

(٢٩) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ٨٦
(٣٠) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨ الجوابي : الجابية الحوض

المتلاطم الامواج ، وقد استطاع الشاعر ان يصور لنا فزعه الشخصي وهو يتخيل ركوب البحر ومخاطره • وقد نقل لنا مهيار صورة صوتية اخرى لتهليل ملاحي السفينة كما وصف شكل السفينة وحركتها في الماء الضحضاح والعميق فقال :

ولبلّغتَني المجدَ سابحةٌ ... بالظهر ليست من بني الظهر
ترتاح للضَحضاح خائضةً ... وتكُدّ بالمتعمقِ الغَمْر
تجري الرياح على مشيئتها ... فتُخالُ طائرةً بما تجري
واذا شراعاها لها نُشِرا ... خفقت بقادمتين من نسْر
في جانبٍ لينٌ يُدفّعها ... وخِطارُها في جانبٍ وَعْر
يحدو المطيَّ الزاجرون له ... وتُساقُ بالتهليل والذكر[٣١]

ويبدو ان مهيار وفق الى حد بعيد في وصف السفن رغم اهتمامه بالصورة الخارجية ، وعدم تعبيره عن تجربة واقعة في سفرة قاسى الشاعر اقوالها ومتاعبها كما انه حقق حسن التخلص والانتقال الى المدح بعد انتهائه من ركوب السفينة بدلا من الناقة •

ولمهيار قصيدة واحدة وصف فيها الاسد بشكل مقصود وبناء على طلب من ممدوحه الامير ابي الذُوّد المفرّج بن علي بن مزيد، ولم يستعن فيها بصورة استاذه الرضي في وصف الاسد وقد اعتاد الشريف الرضي ان يمر بمأسده في سفراته وأن يصف الأسد وصفا عارضا لم يكرر فيه التجربة التقليدية التي جاءت في شعر البحتري والمتنبي ، الا انه اهتم بوصف السمات البارزة لاعضاء الاسد وقال فيه :

اذا همّ لم تَقعدْ به عَزَماتُه ... وان ثار لا تعيا عليه المَطاعمُ
كأنّ على شدقيه ثغراً وراءه ... ذوابلُ من انيابه وصوارمُ
فما جَذَبَ الأقرانُ منه فريسةً ... ولا عاد يوما انفُه وهو راغم[٣٢]

وقد أولع الشريف بهذه الصورة وكررها في قصيدة اخرى كما ذكر فزع

---

(٣١) ديوان مهيار ط دار جـ ص ٣٧١
(٣٢) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد ٢ ص ٣٦٥

الخيل من زئير الاسد وهي في سفرتها[٣٣] ، اما الاوصاف الاخرى فقد جاءت عرضا اثناء الاشادة بشجاعة الممدوح او بشجاعة الشاعر نفسه ، كأن يشبه الممدوح في صيحته اثناء الحرب بزئير الاسد او يصور وثبات الابطال بوثبات الاسود[٣٤] .

وقد اقتبس مهيار من استاذه في اوصافه العابرة للاسد صورة الاشبال التي تنتظر الفريس ، وسعي الاسد من أجل عرسه وأشباله ، اما القصيدة الوحيدة التي وصف فيها الاسد فقد وجد الشاعر في قصيدتي البحتري والمتنبي معينا من الصور كما اقتبس الاسلوب العام ، فممدوح مهيار كممدوحي البحتري والمتنبي قصدا لاصطياده ، وزاد مهيار على الصورة ان هذا الممدوح ذهب يبحث عن الاسود بعد ان انتهى من حروبه وانتصر على الاعداء وقال :

ولما كفى الأقرآنَ في الروع وارتوتْ ... صوارِمُه من حاسرٍ ومُسَرَّدِ
تعرض للأُسدِ الغِضاب فلم يَدَعْ ... طريقا لذى شبلين منها ومُفَرِدِ

ومهيار كما يبدو لنا يبالغ في الصورة ويقول انَّ ممدوحه لم يترك اسدا في ارضه ، ثم انتقل الى وصف لقائه مع احد هذه الاسود فقال .

ويوم لقِيتَ الأدرعَ الجهمَ واحدا ... جرى مُلبِدٌ يشتدُّ في إِثرِ مُلبِدِ
نصَبتَ لـه لم تَستعنْ بمؤازرٍ ... عليه ولم تُنصَر بكثرةِ مُسعِدَ
وقفت وقد طاشَ الرجالُ بموقفٍ ... متى تَتَمثلْهُ الفرائصُ ترعد
فأوجرتَهُ نجلاء ابقت بجنبه ... فُتوقاً اذا ما رُقّعت لم تُسدّدِ
تحدّر منها لَبتّاه وصدُره ... على ساعد رَخْوٍ وساقٌ مُقيّد
فلم تُغنه اذْ خان وثبةُ غاشم ... ولم ينتقذْه منك إقعاءُ مُرصد
رأى الموتَ في كفيه رأىَ ضرورةٍ ... فأوردَ منه نفسَه شرَّ مورد
واحرزتها ذكرا يخصُّك فخرُه ... تَناقلُه الأفواهُ في كل مشهدِ[٣٥]

---

(٣٣) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد ٢ ص ٢٥٨
(٣٤) المصدر نفسه مجلد ١ ص ٨٧ ، ٣٤٨ ، ٥٥٤ ، مجلد ٢ ص ٤٢٠
(٣٥) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٣٠٧ ــ ٣٠٨

وقد أستعان مهيار بصورة البحترى التي وصف فيها لقاء الفتح بن خاقان وتبعه في اسلوبه وتشبيهاته ، ونستطيع ان نلمس هذه الحقيقة اذا نظرنا في قول البحترى :

فلم ار ضرغامين اصدقَ منكما ... عِراكا اذا الهَيّابةُ النِكس كذّبا
هزبر مشى يبغي هزبراً وأغلبٌ ... من القوم يغشى باسل الوجه اغلبا
أُذِل بِشَغْبٍ ثم هالتهُ صولةٌ ... رآكَ لها افضى جنانا واشغبا
فأحجم لما لم يجد فيك مطمعاً ... وأَقدمَ لمّا لم يجد عنك مهربا
فلم يُغنه أنْ كر نحوك مقبلا ... ولم يُنجِهِ ان حاد عنك مُنكّبا
حملت عليه السيف لاعَزْمُكَ انثنى ... ولا يدك ارتدت ولا حدُّه نبا(٣٦)

وواضح ان التشابه بين الصورتين واسع ، كما يبدو في تشبيه اللقاء بلقاء اسدين احدهما يبغي الآخر ، واضطرار الاسد الى اتخاذ موقف لابد منه ليس وراءه الا الموت ، ولم يستطع مهيار ان يغير في الصورة الا في اداة القتل التي اصبحت نبالا عند مهيار بدلا من السيف ، وان كان السيف اكثر دلالة على شجاعة الممدوح واقدامه ، وقد وسع مهيار صورته واشار الى ان ممدوحه تعرض الى اكثر من أسد ، ثم وصف لقاءه لاحد هذه الاسود كما التفت مهيار بنجاح الى تصوير نهاية الاسد بعد اناصابته السهام ومهيار ليس ظاهرة فريدة في اقتباس صورة البحتري في وصف الاسد ، وقد سبقه الى ذلك ابو الطيب المتنبي الذي استطاع ان يغير كثيراً من ملامح الصورة البحترية ، وقدم لهذا اللقاء وصفا رائعا ضخما للاسد وموقف ممدوحه منه وضربه بالسوط ، وان كان اللقاء يبقى وثيق الارتباط بصورة البحترى(٣٧) .

اما الاوصاف البدوية الاخرى التي جاءت في شعر مهيار فتتمثل في وصف الناقة والصحراء وظواهرها الطبيعية ، وقد اهتم مهيار بوصف الناقة وافتن فيه ونقل اكثر من صورة معبرة حافلة بالحيوية والحركة ومن هذه الاوصاف قوله يصف الناقة :

---

(٣٦) ديوان البحتري ج ص ٨٤
(٣٧) ديوان المتنبي ص ١٣٤ ـ ١٣٦ تحقيق عزّام

كأنهـــا تحت الدجـــى جنيّـــةٌ راكبُها في ظهرهـا نجـمٌ هبطْ
لا تطـــأ الأرض وان تســـهّلتْ لوطـــأة الدائس الاّ ما تخـُــط
كأنمـــا اربعُهـــا مـن خفـــةٍ ! واحدةٌ في السـير حـين تختلطْ
تجرى فتُدمي أُذنَهـــا بيدهـــا كأنمـــا بِسُنْبكيها تشـترط(٣٨)

وقد استطاع مهيار ان يتابع حركة الناقة السريعة بأعضائها ، وان ينظر نظرة فاحصة دقيقة قائمة على الملاحظة والاستقراء ، ومن الطرافة ايضا في وصف مهيار للناقة التعبير عن حنينها للاماكن التي اعتادت ارتيادها ووضع الصورة المشخصة لها ، وقد أولع بهذه الصورة المعبرة عن حنين الناقة ومشاركتها لراكبها فقال :

دعاهـــا مُعقّلـــةً بالعـراق الى اهل نجـدٍ هـــوى مُطلَقُ
فبـــاتت تُمـاكس ثنـيَ الحبـــال فيهـــا الكراكـــرُ والأســـوق
فيأبى عليهـــا المـــريرُ الفتيـلُ ويُسمِـح ذو الرمُـــة المُخلِق
تحـن ويا عجبـــا ان تحـَّـــنُ لـو أنهـــا ســـائلٌ يُـــرزَقُ
ومـــا هـــي الا بـروقُ المنـــى خِلابـا وما السفحُ والأبرق(٣٩)

ولمهيار في مشاركة الناقة لصاحبها في هواه اوصاف كثيرة والصورة ليست جديدة الا ان الشاعر يطبعها بطابعه الخاص في متابعة اجـزاء الصورة السـمعية والبصرية فهو يقول في احدى مقدمات قصائده •

لمن طالعاتٌ في الســراب أفـــولُ يُقُّومهـا الحادون وهي تميـل
نواصلُ من (جو) خوائض مثلـــه صعودٌ على حـكم الزمـان نزول
هواها وراءٌ والسُرى من امامهـا فهن صحيحـاتُ النواظرِ حُـول
تَضاغىُ وفي فَرط التَضاغي صبابةٌ وترغو وفي طولِ الرُغاءِ غليـل
تُراد عـلى نجـد ويجـذب شوقها مَظَل عراقيٌ الثرى و مَقيـل(٤٠)

---

(٣٨) ديوان مهيار ط دار جـ٢ ص ١٥٨ السبنك : طرف الحافر
(٣٩) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٣٣ الكراكر : جمع كركره صدر البعيد
الجو : ما اتسع من الاودية واسم الناحية اليمامة
الرمة القطعة من الحبل البالي
(٤٠) ديوان مهيار ط دار جـ ٤ ص ١٩

اما اوصاف مهيار للصحراء والخيل فهي اوصاف تقليدية خالية من الجوانب الذاتية تقوم على الوصف الخارجي العام ، ومهيار لم يصف الخيل وصف فارس عربي احبها وأولع بها ، وانما اعتاد ان يصفها كهدية تقدم لوزير او لقائد مع الدواة المحلات بالذهب والثياب الفاخرة والمركب المذهب ، وجاء وصفه هذا كثير الاتساع اعاد فيه ما قاله الشعراء في صفات الفرس الاصيلة وقوتها وشرف نسبها وسرعتها كما وصف راكبها وصفا قريبا الى طابع الحضارة •

وتبدو لنا هذه الصورة في القصيدة التي كتبها لابي سعد بن عبدالرحيم عندما قدمت له الهدايا من خلع نفيسة وفرس سابق ودوات محلات وطلب منه الوزير وصفها فقال يصف الفرس •

وسائلُ الغُرةِ وافٍ ردِفُه	ادّب انْ يشفِقَ منه الحازم
احوى اذا قام اليه ماسح	قام الى وجه الوجيه لاطمُ
بَنيّةٌ لا يدرى صَفاتَها	يوم الرهان من لُغوب هادمُ
منطلقٌ بأربعٍ قوائمٍ	كأنهن خفةً قوادمُ
يمرح في مقوده ذئبُ الغضا	وتوعِدُ الوحشَ به القَشاعمُ
ويتقي ما تتقي بر ُسغه	وهي على بطونها الأراقمُ
أركبتَه بدرا وقد حُطّتْ لك	الجوزاء فهي العُذْر والشكائم
نظائمٌ من النضارِ عُقْنَه	بَهْرا بما اثقلهن الناظم(٤١)

وتبدو الصورة قريبة الى مظاهر الحضارة في وصف الشاعر لفرس يبدو في الاحتفالات الرسمية وقد اثقلته مظاهر الزينة واركب عليه القائد او الوزير اما الاوصاف العامة للفرس فهي تقليدية تقدم للخيول الاصيلة للدلالة على تفردها وأصالتها •

نستخلص من هذا العرض لاوصاف مهيار ان الشاعر لم يكن منصرفا

---

(٤١) الوجيه ـ فرس من المنجبات اصائل الجياد والتضاغي : تصويت الابل

للوصف مولعا به ، فهو يصف بقدر ما تطلبه قصيدة المديح وتحقيقا لرغبات الممدوحين ، وهو في وصفه للصحراء والناقة يصفها وصف غريب يدعي حبها ويصطنع الحنين اليها ، اما اوصافه الاخرى فهو لم يرتفع فيها الى مستوى الوصافين من الشعراء الذين اصبح الوصف ديدنهم في عصر بني بويه •

ومهيار لم يتقيد بالوصف الحضرى التزاما منه بالنهج التقليدى البدوى الذى سار عليه وطبع به شعره ، ولعلنا لا نجانب الحقيقة اذا قلنا اِن الشاعر لم يكن مقصرا في هذا الباب ، فلأوصافه ملامحها الخاصة في تتبع الصورة وملاحظة جزئياتها والجمع بين الصورة البصرية والسمعية بمقدرة ودقة ملاحظة واستقصاء•

الفصل الخامس

نسيب مهيار[1]

ليس لمهيار نسيب مستقل منفرد لذاته ، وانما هو مقدمة افتتاحية لقصيدة المديح اخضعها مهيار لعمل فني عقلي منظم لتكون ملائمة للمديح وغرضه ، وقد فصلت في دراستي لمديح هذه الظاهرة وكيف كانت هذه المقدمة النسيبية تحقق الانسجام مع غرض القصيدة ، فنسيب مهيار في قصائد المديح او ما جاء منه في قصائد التشيع مقدمة تقليدية ولم يعرف عن الشاعر انه محب عاشق لا للبدويات ولا للحضريات ، وليس له مقطوعات غزلية مستقلة تستحق الذكر .

ومهيار الشاعر المتحضر الغارق في نعيم بغداد وترفها لم يعرف اساليب الحب الحضرى ولكن بين انه هام بالبادية وعشق بنات البدو ، الا انه لم يستطع في هذه الروح البدوية ان يطبع قصيدته بطابع الصدق والاصالة ، وتعرضت هذه المقدمة النسيبية لفقدان عنصر الصدق الفني بعد فقدانها حدود الصدق الواقعي ، وسنجد هذا واضحا في مظاهر التشتت في الصورة والامثلة وأسماء الحبيبات ، ويبقى الرابط الوحيد في القصيدة الحنين الى الصحراء والروح البدوية العامة .

والاتجاه البدوى الذى مثله مهيار في نسيبة ليس جديدا على الشعر العربي المتحضر ، وهو جزء من تقاليد القصيدة الجاهلية في اطلالها وأماكنها ورسومها ، وقد بقيت هذه التقاليد متوارثة فنيا في الشعر العربي التقليدى وبخاصة في قصيدة المديح .

وقد عرف جرير في مقدمات قصائد المديح والهجاء كلفا بالبادية وأماكنها ، وبذكر اسماء حبيباته ، وقد اشار ابن رشيق الى ولع جرير بأسماء الحبيبات وكثرتهن في القصيدة الواحدة وقال : « وربما اتى الشعراء بالاسماء الكثيرة في القصيدة الواحدة اقامة للوزن وتحلية للنسيب » كما قال جرير :

اجدّ رواح القوم بل لات روّحوا   نعم كل من يُعنى بجمُل مبرّحُ

ثم قال بعد بيت واحد :

اذا سايرت أسماء يوما ظعائنا فأسماء من تلك الضعائن املح
ظللن حوالي خدر اسماء فانتحى بأسماء موار الملاطين اروح
صحا القلب عن اسما وقد برحت به وما كان يلقى من تماضر ابرح[1]

وقد اكثر جرير من ذكر الاماكن البدوية كما اكثر من ذكر اسماء الحبيبات ، ونجد في مقدماته اسماء كثيرة من لوى وواقصة وجواء وعاقل وكاظمة وتوضح وملحوب .. ونجد هذه الظاهرة في قصيدة جرير التي مدح فيها هشام بن عبدالملك . وقدم لها مقدمة نسيبية واسعة وأكثر من ذكر اماكن البادية[2] . وجرير رغم اتصاله بالخلافة الاموية ومعرفته حياة المدن لم تنقطع جذوره عن الصحراء بمزاجه وروحه وثقافته ، الا اننا لا نستطيع ان هذه الصورة واقعية في تنقل بمزاجه وروحه وثقافته ، الا اننا لا نستطيع ان نعتبر هذه الصورة واقعية في تنقل جرير بين الاماكن وفي ذكر اسماء الحبيبات رغم معرفته لطرق البادية في رحلاته الطويلة ، فهي ضرب من الفن الشعرى يزيد القصيدة روعة وجمالا .

وقد بقيت هذه التقاليد الفنية متوارثة في القصيدة العربية رغم ثورة ابي نؤاس في العصر العباسي ، وعودته الى هجر الاطلال ، وكانت دعوته اضعف من ان تنال من قصيدة المديح ذات التقاليد الفنية الثابتة ، وعاد الشاعر نفسه يلوذ بهذه التقاليد في مدحه للرشيد والامين .

وقد اعتبر الدكتور عبدالله المجذوب هذا الاتجاه الفني في القصيدة لكونه فطنة من الشعراء الذين جاءوا في العصر العباسي وقال : « وقد فطن الشعراء الذين جاءوا بعد جرير بدهر الى هذه الناحية الفنية السحرية في شعره وبحسبك ان تنظر في دواوين البحتري ومهيار والشريف الرضي فعندهم من ذكر عالج

---

(١) العمدة في الشعر ج ٢ ص ١٢٢ ، وديوان جرير ص ٨٣ ـ ٨٤ وفي الأبيات تقديم وتأخير واختلاف في المصدرين

(٢) ديوان جرير ط بيروت ص ٤٠٧ ـ ٤١٠

وذي سلم والعقيق واللوى والاجرع ما يوشك ان يوقع في خلدك انهم طوفوا آفاق الجزيرة وعرفوا ما عرفه جرير ، هذا وانت تعلم أن هؤلاء مولدون حضريون لم يعرفوا واحدا من هذه المواضع من غير طريق الكتب[٣] .

والحقيقة ان الفطنة لم تكن سببا اساسيا في هذا الاتجاه الفني عند أبي تمام والبحترى والمتنبي وغيرهم ، وانما هو اتجاه فني محافظ على تقاليد القصيدة العربية من الوجهة الفنية التي بقيت النموذج الحي للشعر العربي ولم تستطع عوامل الحضارة ان تقضي على هذه التأثيرات ، وهي ايضا تمثل صورة من صور خضوع القصيدة للمدوح في ثقافته العربية الاصيلة وذوقه وما يتمني ان يقال فيه ، وكان الخلفاء العباسيون في حضارة بغداد معجبين بالطابع البدوى طالبين له .

وفن المديح هو اكثر فنون الشعر العربي تقليدا ، وتكرار الشعراء للتقاليد الفنية فيه ليس امراً غريبا عليهم وهم الذين تثقفوا بالثقافة الشعرية العربية الاصيلة واعتبروا ثقافة البادية جزءً متمما لثقافتهم الشعرية ، فهذه الأسباب هي التي ابقت هذا الطابع الفتي قائما في القرن الرابع للهجرة يمثله المتنبي والشريف الرضي والشريف المرتضى وابن نباته ومهيار ، الا اننا لا ننكر تدخل عوامل جديدة في نمو هذا الطابع وازدهاره وقد كانت دعوة المتنبي الى رفض مظاهر الحضارة لونا من الوان هذا الاتجاه كما يبدو في قوله متغزلا :

ما أوجهُ الحَضرِ المستحسناتُ بـه ... كأوجـهِ البدويـات الرعابيبِ
حسن الحضـارة مجلوب بتطريـة ... وفي البداوة حسن غـير مجلوب[٤]

---

(٣) المرشد الى فهم اشعار العرب ـ الدكتور عبدالله المجذوب جـ ٢ ـ ص ٨٠ ـ ٨١

واتجاه المتنبي هذا فيه من الثقافة الشخصية العربية الأصلية وفيه ايضا شيء من العروبة الثائرة في عصر سادت فيه القيم الدخيلة وضاعت صورة القائد العربي الثائرة ، وقد تبنى هذا الاتجاه البدوي ايضا الشريف الرضي ليمثل هروبا من مشكلات الحضارة ومتنفسا شخصيا لطموحه وامآله وحنينا واقعيا في حجازياته •

والذي يثير التساؤل ان هذا التيار الفني في النسيب كان واضحا وقويا في عصر بني بويه وان مهيار الديلمي الشاعر الشعوبي المفتخر بأمجاده الفارسية من أكثر الشعراء التزاما به وحبا له • وكان منتظرا ان يجدد مهيار دعوة ابي نوأس الشعوبية كما جددها غيره من الشعراء في عصر بني بويه وهو الذي اكد ارتباط معاني قصيدته بالفرس وابقى الفاظها المعرب •

ويكاد يكون طابع البداوة مقبولا في تاريخه الطويل عبر جرير وابي تمام والبحتري والمتنبي والشريف الرضي وليس بينهم من كان غريبا عن البادية في ثقافته او رحلاته او مزاجه ، والشريف الرضي رغم اقامته ببغداد عرف البادية اميرا للحج قاطعا طرق الصحراء كل عام عارفا مواضعها وأثارها وطبيعتها •

اما مهيار فلم يعرف عنه انه ترك بغداد في سفرة طويلة او قطع مفازة او تطلع الى نجد والحجاز وعرف العقيق والمنحنى ورامه وسويقه ، او تابع ركب حبيبته الظاعن تحميه رماح بني عامر في سفرة طويلة شاقة عبر الفيافي والقفار ، وقد شعر مهيار بغربته على هذه الدنيا العربية الأصيلة وعبر عنها في قوله :

ولقد احنّ الى زرودَ وطينتي	من غير ما فُطِرَتْ عليه زرود
ويشوقني عَجَفُ الحجازِ وقد ضفا	رِيفَ العراق وظله الممدودُ
ويُطرِّبُ الشادّي فلا يهتزُّني	وينالُ مني السائُق الغرّيد

(٤) ديوان المتنبي ص ٤٤٧ تحقيق عزام

مـا ذاك ألاّ أنّ اقمـارَ الحمـى افلاكَهن اذا طلعن البيـد[5]

ومهيار يقول للذين يلومونه على هذا الحب والشغف والهيام :

لام في نجدٍ ومـا استنصحتُـه بـابـلـيٌّ لا أراه الله نجـدا
لو تصـدى رشـأ السفحِ لـه لم يلُمْ فيه ولـو جارَ وصدّا[6]

والشاعر يجد لفظة بغداد لا تتناسب في شعره مع اماكن الحجاز ويفضل لفظة بابل ليرمز بها عن بغداد اغراقا في الابتعاد عن جو الحضارة ، الا انـه رغم تطرفه في نسيبه البدوى يظل شاعرا بغربته في هذا الحب ، ويحاول ان يعتبر هذه المحبة للبدويات اوثق الوشائج التى تربط رجـلا فارسيا بأمرأة عربيـة اصيلة .

يا أختُ فِهرَ والمحبـةُ بيننـا نسب وان ناداك غيرُ نسيب[7]

وقد طور الشاعر الفارسي الاصل هذا الحب ولونه باللـوان العـذرى المتطرف ، فهو عاشق ملتهب الوجدان يهيم بالبرق ، ويرى حبيبته في غصـن البان ، ويشم رائحتها في صبا نجد ويبحث عن قلبه الضائع في البادية .

وقد فصلت في دراستي لقصيدة المديح اسباب هذا الاتجاه البدوى في شكل القصيدة ومحتواها وأشرت الى أثر الممدوح والثقافة العربية السائدة ، وأثر تلمذة مهيار للشريف الرضي ، وتأثير عوامل التقليد في قصيدته ، وما يصدق على المديح يصدق ايضا على نسيب مهيار لانه جزء من المديح ومقدمة لـه .

اما فارسية مهيار فليس مفروضا بها ان تأخذ طريقها الايجابـي في حياة الشاعر وفنه بعد ان مال مهيار الى التشيع ومثل نوعـا من الوجـد الصـوفي في عواطفه ومزاجه ، وليس هناك من تعارض بين الفارسي المتشيع المتأثر بصـوفية

---

(٥) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٣٢٧
زرود : موضع بطريق مكة فيه بركه وآبار
(٦) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٣٣٣
(٧) المصدر نفسه ج ص ٩٩

العصر وبين شعوبيته ، وقد عرف عن الفرس انهم عاشوا الآمهم القومية في ظل العرب تشيعا وتصوفا •

وينقل لنا الدكتور مصطفى كامل الشيبي رأى بعض المؤرخين الأيرانيين في هذا الامر ، ويشير الى رأى المؤرخ الايراني المحدث قاسم غني في قوله :

« انه يرى مع براون ان التشيع والتصوف كانا من الاسلحة التي حارب بها الفرس العرب للقضاء عليهم » ويضيف الى هذا قوله « يجب ان يوضح في هذا المقام ان رد الفعلين هذين التصوف والتشيع لم يأتيا عن اختيار عمد وأرادة او على خطة مرسومة يراد بها الانتقام بل كان اكثر ذلك متأتيا بحكم الانفعال النفسي وبتأثير العواطف والاحاسيس الخفية ••• »[٨] •

وقد ذهب بعض المستشرقين الى القول : ان دراسة الاسلام في فارس يمكن تحديدها تحت عناوين التشيع والتصوف ومذهب القضاء والقدر ، وان المبالغة في الشعر الفارسي كانت من تأثير هذه الاتجاهات[٩] ، وقد اشار نيكولسون ايضا الى هذه التأثيرات المتبادلة بين الشيعة والمتصوفة[١٠] •

واذا لم نستطيع قبول رأى اسماعيل مظهر في رد اسباب رنة الحزن في شعر مهيار وبخاصة نسبيه الى اشتغاله في طرق المتصوفين[١١] ، فأننا لا نستطيع انكار تأثير عوامل التشيع والتصوف في هذا الاتجاه بشكل عفوي غير متعمد وغير قائم على دراسة منظمة ، والتشيع والتصوف لم ينفصلا في تاريخهما الطويل بحكم الترابط الفكري القائم على فقه الولاية والطابع الالاهي للولي والايمان بالشفاعة ، وقد نقل للجنيد البغدادي قوله : « ان شيخنا في الاصول والفروع وتحمل البلاء على المرتضى »[١٢] •

---

(٨) الصلة بين التشيع والتصوف جـ ١ ص ٣٤٨ـ٣٤٩
(٩) تراث فارس ـ لمجموعة من المستشرقين ص ٢٠٤ ، ٢٠٩
(١٠) في التصوف الأسلامي وتاريخه ص ٨١
(١١) تاريخ الفكر العربي ـ اسماعيل مظهر ص ١٥٨
(١٢) الصلة بين التشيع والتصوف جـ ٢ ص ١٧

ومهيار بحكم فارسيته تلقى هذه التأثيرات روحا عاما ومثل لونا من الوان الهزيمة والحزن على المجد الفارسي المضاع ووجدت هذه التأثيرات استجابة في نفسية مهيار ورقة مزاجه ، وقد وجدت الصوفية في قصائد مهيار وبخاصة في نسيبه ما يلائمها روحا وفنا وأصبح من سماعهم قوله :

من ناظــرلي بين ســلع وقبــا كيف اضاء البـرق ام كيف خبــا

نبهنــي وميضــه ولــم تنــم عيني ولكن ردّ عقــلا عَزَبَــا

قرَتّ لــه بنــات قلبـي خافقــا واستبررته اضـلعي ملتهبـا[١٣]

واعجاب الصوفية بقصيدة مهيار وبخاصة نسيبه يشير الى اي مدى ترابطت الاتجاهات الشيعية والصوفية ، « والى ان التشيع والتصوف اصبحا منذ القرن الرابع للهجرة اصلين مهمين من اصول الشعر العربي فهما يتداخلان في المواد التي تكونه ، اما لان الشاعر من المتصوفة او المتشيعة او لانه يستعير من هاتين البيئتين في شعره »[١٤] .

وقد اشرت في دراستي لمديح مهيار الى تأكيد مهيار على حب الممدوح وهيامه به ايا كان هذا الممدوح ، واستعمال مهيار بعض المصطلحات المشتركة بين التصوف والتشيع في مديحه لكمال الملك ابن عبدالرحيم مما يجعلنا نطمئن الى ان الرافد الصوفي في شعر مهيار كان له تأثيره بحكم نفسيته وفارسيته ومزاجه وبعد ان شهد أواخر القرن الرابع للهجرة انتشار الصوفية تكاثرهم وازدهار افكارهم ونموها[١٥] ، الا أن هذه التأثيرات تبقى في الطابع العام اكثر من كونها ملامح ظاهرة محددة .

ولم تكن قصيدة مهيار التي اعجب بها الصوفيون نادرة المثال في نسيبه بما تحمل من طابع ديني ومن تكلف للوجد والهيام ، فقد أولع مهيار بهذه الصورة

---

(١٣) التصوف الأسلامي في الأدب والأخلاق ـ زكي مبارك جـ ٢ ص ٢٧٢
(١٤) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٢٧٢
(١٥) الحضارة الأسلامية جـ ٢ ص ٢٥

وهذا الاسلوب ، وحمل مقدماته كثيرا من الحنين الى نجد والحجاز ، وأظهر روح المحب الملتاع والمشوق الذي اضناه الشوق في حنينه ، ونجد هذه الروح في قوله :

ذكر العيشَ بالحِمى فبكى لهُ … ورأى العذل حظَّهُ فاستقالَهْ
وأخو الشوق من اطاعَ هواهُ … وفتى العهد من عصَى عُذّاله
من تناسى بالبان مغنَى هواه … فبنفسي غصونه الميالة
ونسيمٌ من تربه حمّلته … لفؤادي ريحُ الصَّبا الحمّالة
كلّما قرَّ وجد قلبي على بالٍ … هبّت فهيجت بَلبالَه[١٦]

الا اننا يجب ان لا نكون مبالغين في البحث عن الملامح الصوفية في نسيب مهيار ، فالطابع الصوفي والبحث عن الشفاعات والاتجاهات الاسطورية اصبحت جزءً من عصر مهيار الذي نمت فيه الأوهام بشكل واسع ومثير • ولا يغرب عن بالنا ان نسيب مهيار لم يوضع للمتصوفة او لغيرهم ، وانما كان مقدمة لقصيدة المديح منسجمة مع الغرض الاساس فيها من الطابع الديني والبدوي ما يبعث على التلذذ والحنين وهي تعبير عن روح العصر واتجاهاته الفكرية والعاطفية •

ويبقى مهيار في نسيبه جزء من ظاهرة فنية عامة انتهجت هذا الاتجاه الفني وهي في طابعها الحزين ممثلة لاحزان العصر الذي كان صداه في شعر مهيار واسعا •

الملامح الفنية لنسيب مهيار :

اكثر مهيار من ذكر اسماء حبيباته ، كما اكثر من ذكر الاماكن النجدية والحجازية ، وتداول اسماء هند وخنساء وفاطمة وزينب وظمياء وليلى وام عمرو وام مالك وأمامة ، وقد نثر هذه المجموعة من الاسماء في مقداته النسيبية ونثر معها مجموعة من اسماء الاماكن بدون تحديد او تمييز •

---

(١٦) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ١٦١

وقد ابتعد مهيار في نسيبه عن لقاء حار مع حبيبته ، وفضل ان يكون لقاؤه مع طيفها الزائر الضنين بزيارته ، او في تنسم الريح الهابة من ديار الحبيبة المحمية برجالها من ذوى المنعة والمجد ، وكان همه ان يؤكد بدوية هذا الحب في صوره وأساليبه ، وسنجد هذه الظواهر في دراستنا التفصيلية لنسيب مهيار مبتدئين بالمرأة كما يراها الشاعر •

المرأة في نسيب مهيار :

قلت فيما سبق ان محبوبة مهيار اصيلة ، وبحكم كثرة حبيبات الشاعر اصبح انتساب حبيباته الى قبيلة واحدة امرا مستحيلا ، فهي مرة من بني فهر وأخرى من بني تميم وثالثة من كعب ، وكلهن في جانب عز وحماية لن يستطيع المحب ان يصل اليهن ودونهن رماح القبيلة ، وقد وجد مهيار في نسبة حبيبته الى بني عامر جوا سحريا يوفق نسبته بالحب العذري فهو يقول فيها :

وكلُّ هلالٍ ذو الأراكِ حجابُه   يَسُرُّ البدورَ الطالعاتِ مغيبُه
تحول الرماحُ العامريَّةُ دونَه   فيقنطُ راجيه ويعيا طَلِيبُه
وأتعبُ من حاولت يا قلبُ وصلَه   حبيبٌ سِنان السَمهريّ رقيبه[١٧]

والصورة ليست جديدة او مبتكرة الا انها تعطينا ملامح غزل مهيار الشاعر البغدادي واتجاهاته ، ونجد صورتها الاخرى في حبيبته التميمية التي يقول فيها :

والشمس ادنى من تميمةٍ   طالعُها من رامةٍ غاربُ
لو سَبَقتْ بالغدرِ في قومها   لما وفى في قوسهِ حاجبُ[١٨]

ولن تختلف الصورة اذا كانت حبيبته في الركب او في دار قومها ، فالرماح

(١٧) ديوان مهيار طا دار جـ ١ ص ١٣٣
ذو الأراك : موضع قرب مكة

(١٨) ديوان مهيار ط دار جـ ١ ص ١٣٧
رامه : موضع بالعقيق ، حاجب بن زرارة : من رؤساء تميم وقد عرف الوفاء

العامرية تحمي الحبيبة في دارها وتحميها ايضا في سفرها كما يقول مهيار

وفي الركب سمراءُ من عامر بغير القنا السمر لم تُمنع
اغيلمةُ الحي من دونها تجرُّ الذوابل او تدعي
تطول عرانينهم غيْرةً اذا ما استعير اسمُها أودُعِي[19]

ومهيار يبدو اكثر بدوية وعروبة في حبيبته ونسبها وأصلها ، وقد ابقى لها هذه الحماية لانه لا يصف لقاء معها ، وأنما يبقي على طيفها وعلى النسيم الذى يمر بديارها ، اما الوصف الحسي لحبيته وجسمها ولونها ، فمهيار لم يعدُ النموذج الجاهلي المعروف فحبيبات مهيار كما يقول عنهن :

من كل هيفاء الا الردفَ تحسَبُه غصنا من البان معقودا بجلمود

وهن :

تجوم قبيلٍ اذا ما طلعنَ أَغرنَ النجومَ وان كن زُهرا
وكلُ ثقيلةِ حملِ الأزارِ خفيفةِ ما ضمّ عنقا وخصرا
ترى الغصن تحسبه في النسيم اخاها وان كُسيتْ يومَ يعرى[20]

فالمرأة النموذج عند مهيار هي المرأة العربية التي احبها الشعراء في امتلاء عجزها وضمور خصرها ، أما لونها ومشيتها فيقول عنهما مهيار في وصف المرأة الحجازية :

وصفراءَ من طيّبات الحِجا ز تمشي تُريك الخليعَ النزيفا
ترى الزعفران سقىَ خدّها مُجاجتَه والعبيرَ المدوفا[21]

ومهيار يتابع نموذج المرأة في الشعر الجاهلي ويصف لون وجهها بالصفرة ، وهو وصف قديم اعجب به الشاعر الجاهلي ، ونجد صورته في قول النابغة :

---

(١٩) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٤٣
(٢٠) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢
(٢١) ديوان مهيار ط دار جـ ٢ ص ٢٧٣
النزيف : السكران ، المجاج : الريق والعسل ايضا ، المدوف : المخلوط

صفراء كالسِيُراء أُكمِل خلقُها كالغصن فـي غُلوائـه المتـأود

وقول الاعشى :

بيضاءُ ضحوتَـها وصفراء العشيةَ كالعَـــرارة

«وقول الاعشى انها بيضاء في وقت الضحى وصفراء في العشي لان المـرأة الرقيقة يكون بياضها بالغداة يضرب الى الحمرة وبالعشي يضـرب الى الصفـرة ولعل سبب ذلك انها في وقت الضحى لاتتطيب وفي وقت العشاء تتطيب فيصفر لونها»[٢٢].

ومهيار في وصف مشية الحبيبة يعيد التقاليد الجاهلية في هـذا الوصف ، فهي رزينة متمهلة تقدر لكل خطوة موضعها، ونجد هذا الوصف في قول امرئ القيس:

واذ هـي تمشـي كمشي النزيف يصرعــــه بالـكثيب البهـــر

فأمرؤ القيس يشبهها بمشية من اضعفـه النزف في كثيب غير ممهد فينقطع مشيه ، ومهيار يشبهها بمشية السكران الذي اثقل مشيته السكر .

ويجمع مهيار صفات حبيته في قوله :

علقتهـــا مجـــدولـــةً تألـــم ضـــم الشَمْلَـــةْ
اخـــتَ القضيب هَيَفـــاً وتربَـــه وشـــكلَه
هوجـــاءَ لا مـــن ورهٍ صفـراءَ لا مـــن علّـــه
صحيحـــةً كأنهـــا من ســـقمٍ مبلّه[٢٣]

فالمرأة في نظر مهيار مفتولة الجسم الا انها لرقتها تألم من ضم الثوب على جسمها ، وهي القضيب في قوامها تبدو في مشيتها متسرعة ، ولكن هذا التسرع

---

(٢٢) الغزل في العصر الجاهلي ـ الدكتور احمد محمد الحوفي ـ ط نهضة مصر سنة ٩٦١ ص ٣٨

(٢٣) السيراء : ثوب من حرير فيـــه خطوط ، العرارة : بهار ناعم اصفر طيب الرائحة ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ١٤٨
في غلوائه : اول الشباب

ليس فيه خرق وحمق ، ولونها الاصفر لا يدل على علة فيها ، ومهيار في وصف مشية حبيبته لا يخرج عن قول الاعشى :

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مرّ السحابة لا ريث ولا عجل[٢٤]

وقد وصف مهيار ثغر حبيبته بالصورة العربية التقليدية وأتبع اسلوب النفي والتفضيل المعروف في قوله :

وما نُطفة حصنتها السماء ... بأرعن مرقاه مُستَصْعَب
مصفقة حلبت عفوَها ... بها المُزن اول ما تُحلَب
الى ان تبقّت لُباناتُها ... وكادت بما لطُفت تنضُب
تُراوِحها وتغادي الشَمالُ ... تُرقرِقُ فيها وتُستعذَبُ
ولي نحلة بات يعسوبُها ... على الحسن من حذَرٍ يلسبُ
يغار فيمنعها ان تُشارَ ... ما منع الشائر المشغبُ
تُجاذبُ فيها أكفُ الجناةِ ... غنيٌ مقلها مثلُه تكسب
ولا مسكة طافَ عطارُها ... بدارينَ ينخلُ ما يجلب
يُبقَّر عنها بطونَ الظباء ... من الألف واحدةٌ تنجب
فجاءت لضَوْعتها سَوْرة ... تكاد العياب بها تُثقب
بأطيبَ من فم ذات الوشاح ... سحوراً بلى فُمها اطيب[٢٥]

وقد جمع مهيار في هذه الصورة مجموعة صور قديمة نسقها في اسلوب قديم عرفه الشعر العربي في قول الاعشى :

ما روضة من رياض الحَزن معشبة ... خضراءُ جاد عليها مُسبِل هَطِل
يضاحك الشمس منها كوكب شَرِق ... مؤزر بنعيم النبت مكتهِلُ

---

(٢٤) شرح المعلقات العشر ـ الخطيب التبريزي ط مصر ص ٢٩٠

(٢٥) ديوان مهيار ط دار ج ١ ٩٤ ـ ٩٥

النطفة ـ الماء الصافي قلّ او كثر ، مصفقة : مصفاة العفو : اول ما يحلب ، اليعسوب : ذكر النحل ، دارين : قرية في البحرين يجلب اليها المسك من الهند

يوما بأطيبَ منها نشرَ رائحةٍ ... ولا بأحسنَ منها اذ دنا الأُصل[٢٦]

واعادها جرير في قوله :

وما ثَغَبٌ باتت تصفّقه الصَبا ... بصرّاءِ نِهيٍ أتأقَتْه الروايحُ

بأطيب من فيها ولا طعُم قرقفٍ ... برمانَ لم ينظُرْ بها الشرق صابح[٢٧]

وهذا الاسلوب العربي القديم اولع به الشعراء وكرروه ، وتكاد تكون صورة جرير قريبة من الصور التي نجدها في شعر عبدالله بن الدمينة وذى الرمة[٢٨] ، ونجد جذور هذه الصورة في قول امرىء القيس يصف فم المرأة :

كأن المدام وصوب الغمام ... وريح الخزامى وذوب العسل

يُعَلُّ به بَرْدُ انيابها ... اذا النجمُ وَسْطَ السماءِ استقل[٢٩]

ومهيار في تقليده للصورة العربية جمع نماذجها المختلفة ووضعها في اسلوب النفي والتفضيل ، الا ان اتساع التعبير واسهاب الصورة افقدها كثيرا من جمالها ولكنها تبقى مقبولة كمثال على التزام مهيار للنهج العربي التقليدى في نسيبه وفي بحثه عن الاسلوب القديم وتقليده .

وقد اكثر مهيار من تشبيه حبيبته بالظبية ، وهو وصف قديم اعتاده الشعراء العرب ، ومهيار ابعد في هذا الوصف ووضع لفظة الظبية مكان اسم حبيبته كما يبدو في قوله :

سألت ظبية ما هذا النحولُ ... اسقام باح ام هم دخيلُ

---

(٢٦) شرح المعلقات العشر ص ٢٩٣
الكوكب : من النبت ما طال ، اكتهل النبت : بلغ منتهاه ، الأصل : جمع اصيل

(٢٦) ديوان جرير ط بيروت ص ٧٩ ونفس الاسلوب نجده عند سميه بن حماس
الثغب: ما بقى من الماء في بطن الوادي ، صراء : من الصرء شدة البرد ، النهي : الغدير ، اتأقته ، قرقف : الخمر ، رمان : جبل في بلاد طي

(٢٨) ديوان عبدالله بن الدمينة ـ تحقيق راتب النفاخ ط مصر ـ المدني سنة ١٣٧٩ ص ٦٢ وديوان ذي الومة تحقيق كارليل مكارنتي ١٩١٩ ص ٤، ٥

(٢٩) الغزل في العصر الجاهلي ص ٤٧

وفي قولـه :

ســلا ظبية الوادي وما الظبي مثلها وان كان مصقولَ التـرائب أكحلا

ويبدو لنا من هذا العرض لوصف المرأة ان مهيار بحكم نسيبه البدوي حاول ان يبقي صورة حبيبته قريبة من النموذج المعروف في الشعر الجاهلي ، وكـانت ثروته الشعرية تمده بهذه الصور يقلدها ويعيدها في اسلوب سهل وألفاظ لينة يجد فيها القارىء لذة ومتعة وهو يقرأ صورة نسيبية قديمة في محتواها حضرية في الفاظها وطراوتها بعيدة عن الخشونة والتعقيد محلات بطابـع عفيف ورقــة يشوبها طابع الحزن والعذرية •

اما اساليب النسيب عند مهيار فهي الاساليب المعروفة في الوقوف على الاطلال او تتبع ركب الحبيبة او تشوق البرق ، وقد استطاع مهيار ان يضع مقدمات نسيبية لهذه الانواع ، وسنحاول تحديد انماطها مبتدئين بالصورة الطللية في نسيبة :

الصورة الطللية :

الوقوف على الاطلال تقليد فني قديم في الشعر العربي بقي قائما في القصيدة العربية حتى العصر الحديث ، ومهيار في اسلوبه الطللي يقف كما يقف الشعراء على الاطلال يبكي رسومها بالدموع الغزار ، الا انه لا ينهي مقدمته وينتقل الى غرضه بعد بكائه ، فهو يريد ان يحقق لها الانسجام الفني الداخلي ، ويجد فــي حديثه على الاطلال طريقا لاعادة ذكرياته عن حبيبته وصعوبة زيارتها ثم الحديث عن الشيب والدهر قبل ان يبدأ حديثه مع ممدوحه •

وقد حاول مهيار في مقدماته الطللية ان يعيد التقاليد الفنية القديمة ويحيي اساليبها في تحية الاطلال وسؤالها ، ونجد هذه الصورة في قوله مفتتحا قصيدته :

يا دار صفراءَ عـلى الأنعُـم عِـمـي صباحـا بعدنـا واســلمي[30]

---

(٣٠) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ٣١٣
الأنعُم : بضم العين جبل بالمدينة عليه بعض بيوتها

والاسلوب كما يبدو أول وهلة اسلوب جاهلي قديم ولولا سهولته وبساطته، ونجد امثلة أخرى في مقدماته الطللية التي تبدأ بالتساؤل عن الاطلال في قوله :

لمن الطلــــول كأنهـــن رقـــومُ	تَضحـــي لعينــك تارة وتغيـــم
يَعهـدْن بالأقـــواء عهـدا حادثا	وكأنـــه ممـــا بلـــين قـــديم
ما كنت اعـرف أنهـــنّ نشـيدتي	حتـى تحـدّث بينهـــن نسـيم
وكأنما عَبَقُ التـــرائب دلنـــي	او ضـلّ في عرصاتهـــن لطيـــم
أسـمعتِـني يا دار دون صحابتـــي	والوحي عند أخ الهوى مفهوم(٣١)

ومهيار لم يكن ينهي حديثه عن الاطلال بذكر الرسوم والوقوف عليهـــا والبكاء ، فهو بحكم تطويل المقدمة النسيبية لابد ان ينتقـل الى ذكريات الحب وتحلية المقدمة بأسماء الحبيبات ومواضع التنقل النجدية والحجازية التي تضيع معها الصورة وتبقى مجرد ذكريات وحنين ، ونجد هذه التجربة مشتقة بقـــدر ما تطول هذه المقدمة الطللية • وتتلاحق هذه الصورة التي لايربطها سوى رابط الحنين والجو السحرى بطبيعته البدوية ، وقد ضمت احدى مقدماته الطلليـــة مجموعـــة من هذه الصور في مقدمـــة طويلة ابياتها تبلغ سبعة وسبعين بيتـاً في النسيب بدأها بالتساؤل عن الاطلال في قوله :

لمن الطُلـــولُ تراقصَتْ	نجوى حَشاك قِفـــارُهـــا
قَفْرٌ نبـــا بـك ودُّهـــا	وتعلَّقتْــكَ ديارُهـــا

وبعد ان يصف الطلول وصفا مسهبا يبكي عليها في قوله :

عندى لهـــا ان اجـدبت	وكافـــــةٌ تمتارُهـــا
أنِـست بأسبالِ الدمـوعِ	كأنهـــا اشـفارُهـــا
ونعـــم بـكيتُ فهـــــــــل تبلـُك سـائلا اخبارُهـــا	
واهـاً لـــها مـــن حاجـــة	لو قُضّيت اوطارُهـــا

---

(٣١) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٨

الرقوم : الثياب المخططة ، الأقواء : خلو الدار

ويعود الى ذكريات الحبيبة في رملة فيقول :

حفظــا برملــةَ ان الطَّ بذمــةٍ غدارُهــا
لا ضــاعَ مــا بينــي وبينــكِ عهدُهــاً وذِمارُهــا[٣٢]

ويصف مهيار حبيبته وصفا واسعا قبل ان ينتقل الى الطيف الزائر فيقول فيه :

طـرقت زميلــةُ تجتــلي ظلمَ اللِّوى انوارُهــا
وعلى الرحال مُلمَلَمــــون وســادُهـم اكوارُهــا
في ليلــةٍ لـمْ ينْثُ غيــــرَ حديثِهــا سُمّارُهــا
عجبــا لهــا نُفِضتْ اليّ ســـحيقةً اقطارُهــا
« بالغوطتــين » جبالُهــا وببطــن وجــرة دارُهـا
بـاتت تعاطينــي بنحلــــةَ نحلــةٌ اشتارُهــا[٣٣]

ويبدو التشتت واضحا بين هذه الاماكن المتباعدة التي لايجمعها جامع من الصدق الفني او الواقعي ، ويعود الشاعر لسفر جديد فيقول :

ولقــد رفعت طلائحــا جُرْدُ البطــون قصارُها
ضاقت مباركُهــا وجــالت فوقَهــا استارُهــا
نجـداً تُغــرّب والهــوى بمحجّــر امّــارُهـا

وعندما يلتقي مهيار براعي البكرات يسائله من جديد عن نجد فيقول :

يا راعيَ البكــرات مــا نجــدٌ ومــا أخبارُهــا
اوقِـد بـذى السَمُرات لي فقـد استغمّ منارُهــا

(٣٢) رملة : كورة من فلسطين ، الط : انكر

(٣٣) مملمون : متقلبون فلم ينث : لم يذع
اللوى منقطع الرمل وهو واد من اودية بني سليم ، الغوطة : الكورة التي منها دمشق وقيل الغوطة في بلاد طي

نحلة : قرية على ثلاثة اميال من بعلبك ، وجرة : موضع بين مكة والبصرة ويبعد عن الاخيرة اربعين ميلا ، المحجر : موضع في الحجاز

ولو انها بضلوعي العوجاء تُذكى نارُها[٣٤]

وقارىء هذه المقدمة النسيبية يشعر بالملل عندما يفتقد وضوح التجربة وحدودها ، ويتيه في مجموعة من الاماكن يربطها خيال زائر او سفرة وهمية ، ويغلب عليها مظهر الافتعال ، ويضيع معها الخيط العاطفي الذي يوثق بين اجزائها .

ومقدمات مهيار الطللية الاخرى لا تختلف في اسلوبها عن المقدمة السابقة الا في تخلصها من الاسهاب الممل والتفصيل الواسع ، فمهيار اعتاد ان يضع مع مقدمته الطللية صورا نسيبية مختلفة من ذكريات وطيف ورحيل ، وقد ينقل فيها صورة لقاء حجازي اثناء عرضه للاماكن الحجازية ذات الصبغة الدينية ، وقد بدأ احدى قصائده بمقدمة طللية قال فيها :

سلمتِ وما الديارُ بسالماتٍ ... على عَنَت البِلى يا دارَ هندِ
ولا برحت مفوّفة الفوادي ... تُصيبُ رُباكِ من خطأ وعَمْدَ
بموقظةِ الثرى والتُرب هادٍ ... ومجدية الحيا والعامُ مُكدِي
على أني متى مطرتْكِ عيني ... ففضلٌ ما سقاكِ الغيثُ بعدي

ويصف ركب الحبيبة ليجد مجالا في التنقل بين اماكن البادية فيقول :

سل الأيام ما فعلت بأنسي ... وعيشٍ لي على البيضاء رغدِ
وفي الأحداج عن رشأ حبيب ... على لونيه من صلة وصد[٣٥]
يماطل ثم يُنجزُ كل دينٍ ... ولم يُنجزْ بذى العلمين وعدى
تبسم بالبَراقِ وصاب غيث ... فلو ملك الفؤاد لكنت أفدى
ثناياه وفاه ولا اغالي ... بماء المُزنِ من برق وبرْدِ
الا منْ عائدٌ ببياضِ يومٍ ... لعيني بين أحناءٍ وصمدِ

(٣٤) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٣٩٨ ـ ٤٠٠
ذو السمرات : من نواحي العقيق
(٣٥) الرشأ : الظبي اذا قوى ومشى مع امه ، البيضاء : موضع قرب الربذة

وعينٍ بالطويلع بـارزاتٍ   علـى قسماتهن حياءُ نجد
نظرن ـ فما غزالتـه ـ بلحظٍ   ومِسنَ ـ فما اراكتُه ـ بقدّ[٣٦]

وهذه الصورة لا تختلف عن سابقتها في ضياع ملامح التجربة وقد تحولت كثرة الاماكن والاسماء واغراق القصيدة بها الى حشو وألفاظ ميتة محنطة فاقدة لأيحائها وروعتها السحرية •

والصورة النسيبية الاخرى في شعر مهيار هي صورة الطيف الزائر وقد جاءت هذه الصورة في المقدمة الطللية مختلطة معها ، فمهيار كما قلت اعتاد ان يجمع بين هذه الصور كلما اطال في هذه المقدمة وزاد في عدد ابياتها •

ولم ينهج مهيار في الطيف الزائر نهج الشعراء الذين عرفوا بطرد الطيف معاتبة ، وانما نهج سبيل القبول والقناعة به ان حرّم على نفسه لقاء الحبيبة البعيدة المحمية بأهلها وعشيرتها • وقد اكثر الشريف المرتضى من ذكر النماذج الشعرية المحدثة في وصف زيارة الطيف في الليل ، وكان ديوانه وديوان اخيه مصدرين مهمين لهذه النماذج ، كما وصف هذه الظاهرة بقوله :ـ

« اما وصف خيال بأنه يبذل في النوم ما كان يضن به في اليقظة ويصل في هذه الحالة بعد صدوده في غيرها ، وان النعيم والمنفعة في الهجود مع الخيال كما ان الشقاء والمضرة في اليقظة مع هجر الحبيب وصدوده فهو جادة مسلوكه مأنوسه»[٣٧]•

ومهيار يضع للخيال الطارق صورة تفصيلية واسعة في رحلته الطويلة فخيال اسماء يجود رغم بخل صاحبته وهو يقطع عراص نجده ويشق الليل فردا

---

(٣٦) ديوان مهيار ط دار جـ ١ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠
ذو العلمين : العلمان جبل في بلاد همدان في اليمن ، أحناء : موضع في صحراء فلج ببلاد بني مازن ، صمد : ماء قرب المدينة ، الطويلع : ماء لبني يربوع ، وموضع بنجد وواد في طريق البصرة ، البراق : جمع برقة وهي تنسب الى اماكنها ، وبراق قرية من قرى حلب
(٣٧) طيف الخيال ـ الشريف المرتضى ص ٢٧

شجاعا عبر مواقد عامر وسروح طي قاطعا زرود في سفرة طويلة مظنية[٣٨] ، ويولع مهيار بسفرة الطيف ويعيدها كثيرا ، وفي مقدمة احدى قصائده تحدث عنه فقال :

أمنْهـا ـ على أنّ المزار بعيدُ ـ
خيالٌ سرى والساهرون هُجودُ ؟
طوى « بارقاً طيَّ الشُجاع » وبارقٌ
خطار يفلُّ القلبَ وهو حديدُ
يجوب الدجى الوحشيَّ والبيدَ وحْدَهُ
فكيف وكسرُ البيدِ عندك بيدُ
نعم تُحَملُ الأشواقُ والعيسُ ظُلّعٌ
ويمشي الهوى والناقلاتُ قعودُ
وتتسع البلوى فيمضي مصممّاً
جبانُ عن الظل الخفوقِ يَحيدُ[٣٩]

وترتبط زيارة الطيف عند مهيار بالسفر فيصفه في قوله :

جاءَ بها والخيرُ مجلوبُ ... طيفٌ على الوَحدةِ مصحوبُ
طوى الفلا يركبُ أشواقَهُ ... والشوقُ في الاخطارِ مركوبُ
ساعةَ لا مسَرىً على شقّة ... تعيا بها البُزل المصاعيبُ
يُرغبُ في الظلماءِ مستأنِسا ... وجانبُ الظلماءِ مكذوب
أحْسَنَ بي حتى تخيلتُه ... اصدقَ شيءٍ وهو مكذوبُ
أنىّ تسدّيتَ لنا باللوى ... وصارةٌ دارُكَ فاللّوب[٤٠]
وبيننا عمياءُ من ارضِكم ... وليلُها ابلهُ مسلوبُ

---

(٣٨) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٢٨٦
(٣٩) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٠٩
بارق : ماء بالعراق وهو الحد من القادسية الى البصرة
(٤٠) صارة : جبل فيديار بني اسد قرب فيد الواقعة في منتصف طريق مكة من الكوفة واللوب : موضع في نجد

لا يهتدى الذئبُ الى رزقه   فيها ولو شمّ بها الذيب
فزرتَ شُعثاً طاف ساقي الكرى   عليهم والطاسُ والكوبُ
فما تدلى النجم حتى التوى   مماكس" منهم وشريبُ
بتُ ورحلي بك ريحانة"   نَمَّ عليها الحسنُ والطيبُ
كأنما ذيلُ الصَبا فوقَها   بالقفر او ذيلُك مسحوب(٤١)

ويبدو مهيار في تصويره للطيف الزائر مطورا هذا الاسلوب في صورة تفصيلية واسعة اعتمد فيها التشخيص ، فالطيف ينشر عبقه والشاعر يحس به ويتنعم في في رحلته المضنية ، ونجد مهيار في صورة اخرى يجرى مع الطيف لقاء عاشقين ضما وتقبيلا ويصف هذه الليلة الحافلة بأشواق المحبين في قوله :

وطارقٍ زار يركبُ الشُقة الطولى وليلي بحاجرٍ فَحَمُ
يستكتم الليلَ وجهه وسُرى الاقمار مما لا تكتُم الظُلَمُ
فكان مني مكانَ يرتقبُ الخليعُ تحت الدجى ويَحْتَشِمُ
بتنا وأطواقُنا يدُ ويد"   ورُسْلُ اشواقِنا فمُ وفمُ
يلُفنّي الغصنُ او تضاجعني الدُميةُ أجني طورا والتزمُ
حتى اذا الفجر كان خيطين او كادت عقودُ الجوزاء تنفصمُ
غارت على اختها الغزالةُ فأستيقظت لابانة" ولا صنمُ(٤٢)

ومهيار بألتزامه اسلوب العفة والعذرية لم يحقق لقاءاً حقيقيا مع حبيبته ، فهو يريد ان يكون عفيفا يضفي على شعره هذا الطابع وينجو به من اللون الحضرى في الحب ليحقق انسجاما فنيا مع الطابع الحجازى الذى التزمه وأولع به.

وقد وجد مهيار في البرق ما وجد في الطيف صورة لحبيبته في وجهها وابتسامتها ، وأصبح البرق يثير في لمعانه ذكريات الشوق للحبيبة ، وهو يمثل ابتسامتها كمايثير الوجه والحنين الى البادية، ونجد في هذا البرق صورة هند وخنساء

---

(٤١) ديوان مهيار ط دار جـ ١ ص ١١٥ ـ ١١٦
(٤٢) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩
حاجر : موضع في ديار بني تميم

وظمياء وباقي حبيبات الشاعر البدويات ، فالبرق الساري من وجرة فيه ابتسامة خنساء ، وهو يدعو صاحبه الى النظر اليه كما يبدو في قوله :

سافر بطرفك وأشترفْ هل تعرفُ — أنّى سرى برقٌ بوجرةَ يخطِفُ
هبّ اختلاسا ثم غمّض موهناً — وعلى الرحال نواظر ما تطرِفُ
يشتاق صَحبي ان يُضَيء ودونه — من شَملْة الظلماء سترٌ مسْدَفُ
فكأنما ضحِكت لهم بوميضه — خنساء فهو بكل عينٍ يُرشَفُ(٤٣)

والابيات رغم طابعها البدوى حضرية في صورها التي يغلب عليها طابع المغالاة والتطرف ، ونجد مثالا آخر لهذه المبالغات التي تفتقد طابع الصدق في تتبع مهيار لبرق قادم من اليمن ملق افلاذه على ارض نجد :

آنس برقا «بالشُريفِ» لامعا — معتلياً طورا وطوراً خاضعا
يخرُق جَنْبَ الليل عن شمس الضحى — ثم يغور فيعود راقعا
كأن هنداً فيه او اترابَها — ترفع ثم تُسدِل البراقعا
يُزجي السحابَ ينتضي صوارما — على عروق مزنهِ قواطعا
بدا كهدّاب الرداء وسرى — فسدّ من جو الغضا المطالعا
فجاء نجدا ملقيا افلاذه — لا خامرا نصحا ولا مصانعا(٤٤)

فصاحب مهيار رأى البرق في موضع من مواضع اليمن ، ثم شبه هذا البرق بهند وأترابها وانتقل الى تفصيل له ، واختلطت الصور بشكل غريب ، فالشاعر يصف البرق بالصوارم ثم يصفه بالخيوط المتدلية من اطراف الرداء ٠

ومن الاساليب التي اعتادها مهيار في مقدمته اسلوب متابعة الركب الراحل والاستعانة بمواضع البادية التي يقطعها هذا الركب ، وقد أولع مهيار في هذه

---

(٤٣) ديوان مهيار ط ج ٢ ص ٢٦٨
(٤٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢١٥ ــ ٢١٦ ، الشريف : ماء لبني نمير وقيل واد بنجد وموضع في اليمن

المقدمة بالتساؤل الدائم عن الركب المسافر ، وتساؤل تساؤل العاشق الحيران ، ونجد هذه الظاهرة في كثير من مقدماته فهو يقول :

لمن الحمولُ بجو «ضاحي»   من باكر غَلَسْاً وضاحي(45)

ويقول ايضا :

لِمنْ الحمول سلكن فلجاً   يُطلِعْنهُ فجّاً ففجّا(46)

ويقول :

لمن صافيات في الجبال طلائح   [illegible](47)

وواضح أن مهيار في اغراق قصيدته بأماكن البادية يبقى بعيدا عن التحديد والقصد وقد يكون الاتيان بها أحيانا بسبب القافية او الضرورة الفنية التى تحقق جناسا فاشلا متعمدا ، وقد وصف مهيار هذا الركب وصفا واسعا تحدث فيه عن متاعب السفر وما يقطع الركب في سفرته ، كما وصف هوادج النساء وموضع حبيبته فيها وتحدث عن اشواقه ومتابعتها للراحلين .

ولا يخلو وصف مهيار من صور حقق فيها نجاحا فنيا في الاسلوب والصورة، ونجد هذه الصورة الحافلة بالحركة والحيوية في قوله يصف ركبا متوجها الى الحجاز :

لمن الظُعنُ تهتدى وتجورُ   سائق مُنجِدٌ وشوقٌ يغيرُ
تُتبعُ الخطور قاهراً بين ايديها   ومن خلفها هوىً مقهورُ
وهي في طاعة التلفت حيات وفي   طاعة الجبالِ سطورُ
ووراء الحدوج في البيد ارواح   المقيمين في الديار تسير(48)

ومهيار عندما يسلك طريق المبالغة في الصورة ويزيد في تفصيلها تأخذ

---

(45) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٨٨ ، ضاحي ق وادي الهذيل
(46) المصدر نفسه جـ ١ ص ص ١٨٠ ، فلج : مدينة بأرض اليمامة
(47) ديوان مهيار ط دار جـ ١ ص ٢٢١
(48) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٥٦

هذه الصورة طابع السذاجة والسطحية وتضيع روعتها في عاميتها وأبتذالها كما يبدو في وصفه للركب ، وكيف تبعه المحب وعاد بلا قلب :

نشدتُكِ يابانــــةَ الأجـــرعِ متى رفَـع الحيُّ مـــن لَعلـــعِ
وهـــل مـر قلبـي فـي التابعـين ام خـار ضَعْفـا فـلم يَتْبَـعِ
لقـد كـان يُطمعنـي في المُقـام ونيتُـــه نيـــةُ المُزمـــع
وسرنا جميعـا وراء الحمـــول ولكـــن رجعت ولم يرجِـع(٤٩)

وقد جنى مهيار على صورته النسيبية بأسلوبه التفصيلي كما جنى علـى مديحه ، وقاده هذا التفصيل والاسهاب الى نثرية مفرطة وهو يتناول المعـاني التقليدية في النسيب ، فذهاب القلب مع الركب ليس شيئا جديدا • الا ان مهيار انهى بقايا روعة الصورة ، وأصبحت اسلوبا حضريا لا تحمل من لون البادية الا اسم الركب ومواضع البادية •

وقد وجد مهيـار في حجازيات الشريف الرضي رافـدا يمـده بالصورة الحجازية المكررة التي تقوم على النظرة واللقاء في ايام الحج والفراق بأنتهـاء موسمه ، وقد الصق مهيار هذه الصورة مع الوان غزله الاخـرى في الركب والطيف والبرق وبكاء الاطلال وكثيرا ما جمع بين هـذه الصور في مقدمتـه النسـيبية •

وحجازيات مهيار تفتقد عنصر التجربة والتنويع وتمتاز بأتساعها وبطابعها الديني في معانيها وألفاظها ، ونجد هذا اللون في قول مهيار :

بطرفِك والمسحورُ يُقسِم بالسحرِ اعمداً رماني ام اصاب ولا يـدرى ؟
تعرّضَ بـي في القانصــين مســـدّدَ الاشارة مدلولَ السهام على النَحر
رمى اللحظـة الاولى فقلت مجرِّبٌ وكررهـا اخـرى فأحسست بالشـرِ
فهل ظن ما قدْ حـرّم الله مـن دمي مباحا لـه ام نـام قومٌ على الوتـرِ

وقد عرف مهيار بتفننه في مطالع قصائده ، ورغم جمال افتتاح القصيـدة

(٤٩) لعلع : جبل ومنزل بين البصرة والكوفة

فأن طابع النثرية والاسهاب أفسد الابيات التي جاءت بعد المقدمة ، وقد وصف مهيار في نسيبة هذا ايام الحج وصفا عابرا على أمل اللقاء جديد في موسم قابل فقال :

خليلي هل من وقفة والتفاتة ... الى القُبة السوداء من جانب الحِجْر
وهل من أرانا الحج بالخيْف عائدٌ ... الى مثلها اوعدّها حِجةَ العمر
فلله ما أوفى الثلاث على منىً ... لأهل الهوى اولم تَحِنْ ليلة النَفر
لقد كنت لا أوتىُ من الصبر قبلها ... فهل تعلمان اليوم اين مضىُ صبرى (٥٠)

ومعنى مهيار ليس جديدا ؛ فمن تقاليد الغزل الحجازى ان يكون هناك لقاء ثم فراق بانتهاء موسم الحج ، ومهيار يزيد على ذلك بالاكثار من الالفاظ الدينية بالحلال والحرام وما ينسجم والموقف الحجازى .

اما الصورة الحجازية الواسعة التي أولع بها مهيار فتقوم على اللقاء ورمي الجمار والسهام الموجهة من عيون الحبيبات الى قلوب العشاق ، وكيف يحل ذلك في موسم الحج والناس محرمون ، ونجد هذه الصورة بقول مهيار :

هل لقتيل على اللوى ثائر ... ام هل لليل المحب من آخرْ ؟
ام الفتى جائدٌ بمهجته ... على بخيل بقوله غادر
خاطرَ في حبِ ظالم لم تَجُزْ ... قطٌ له رحمةٌ على خاطر
يحسَب كلَّ الابدانِ يوم مِنىً ... بُدْنَ الهدايا تحلّ للعاقر
له من القتل باعث لا يقاويه ... من الحز والتقىُ زاجر
اذا كريم عفا لقدرته ... اغراه بالشر أنه قادر
يَحصِبُ وادى الجمار يستغفرُ اللهَ ... ومن للدماء بالغافر
كلُ حصاةٍ بتراء تُنَبذُ بالوادي ... حسامٌ من كفه باتر

---

(٥٠) ديوان مهيار ط دار ج ٢ ص ٧٥ ـ ٧٦
الحجر : حطيم الكعبة وهو المدار بالبيت ، الخيف : المنحدر من الجبل ، وخيف منى الموضع الذي ينسب اليه مسجد الخيف ،
النفر : الليلة التي ينفر فيها الحجاج من منى الى مكة ، منى : جبل معروف بمكة

برام بسبعٍ اذا رأى كبداً قَرْطَسَ من واحد الى العاشر

وبعد ابيات طويلة يقول مهيار مواسيا قلبه :

كم عثرة بين زمزم والمشعرَ لا يستقيلهُا العاثر
افسدتَ فيها فريضة الحج بالذل لغير المُهيمنِ القاهر
قلبكُ فيها على التنسك معقودٌ والمفتك فعلُك الظاهر
فأنت بين الأحرام والحب للأصنام لا مؤمنٌ ولا كافرٌ
تخضع منها لصورة فُطرت ويخضع المخبتون للفاطر(٥١)

لقد كان عمر بن ابي ربيعة في غزله الحجازى يعبر عن تجربة حية لها حدودها وأبعادها ، تمتاز بصدق الاحساس والحركة والحوار والصورة ، وجاء الشريف الرضي في حجازياته يغلب عليها عنصر العفة والدين ورغم كونها صورا معادة فهي لا تخلو من صدق العاطفة وحرارة الاحساس ولوعة الحنين ، أما مهيار فأنه وجد صورا جاهزة تمثل هذه اللقاءات الحجازية فنظمها بلغته السهلة اللينة وأفقدها طابع الصدق والاصالة ، وأبقى لها لونها الديني ، وسنجد في دراستنا لتلمذة مهيار للشريف ان اكثر صوره الحجازيه اقتبسها من استاذه وأعادها صورا عامة عن الطابع الذاتي وخصوصية التجربة •

ويبدو من هذا العرض لنسيب مهيار أنه امتاز بطابع ديني وعفة وتقى وعذرية مفتعلة ، الا اننا لا نستطيع ان ننكر موهبة مهيار في المحافظة على هذا الخط الفني التقليدي في نسيبة وهو الشاعر المتحضر الذي لم يفارق حضارة بغداد •

وقد بقيت روح الحضارة طابعا عاما في الفاظه وفي صوره البدوية التي جاءت في قالبها الحضرى ، وقد اضفت احزان مهيار على نسيبه لونا من الجمال يجد فيه القارىء ملامح عذرية من الحب مارسها شاعر متحضر ينقل اساليب العذريين ويصطنع اشواقهم ويدعي عواطفهم ويزيدها عفة وعذرية •

---

(٥١) ديوان مهيار ط دار جـ٢ ص ٩٤ ـ ٩٥
وادي الجمار : موضع الجمرات الثلاث بمنى ، المشمر : مسجد مزلفة
وهو على جبل صغير ينزل حوله ، زمزم : البئر المشهورة بالمسجد الحرام بمكة

لقد كان جميل بثينة يقتنع بالنظرة العجلى وبمرور حول كامل بدون لقاء مع الحبيبة ، وينظر مهيار في عواطف جميل وعذريته فيطورها ليكون اكثر عذرية كما يبدو في قوله :

قل لجيران الغضا آه على ... طيب عيش بالغضا لو كان داما
نصل العام ولا نلقاكم ... وقصارى الوجد أن نسلخَ عاما
حمّلوا ريحَ الصَبا نشَرَكُم ... قبل ان تحملَ شيحا وثُماما
وابعثوا اشباحكم لي في الكرى ... ان اذنتم لجفوني ان تناما(٥٢)

يقتبس مهيار معاني العذرين واساليبهم فيقول :

اراك بوجه الشمس والبعدُ بيننا ... فأقنع تشبيها بها وتَمَثَلا
وأذكر عذبا من رضابك مُسكرا ... فما اشرُب الصهباء الا تَعللا
هنيئاً لحب العامرية انه ... رخيص له ما عزً مني وماغلا
تعلقتها غراً وليداً وناشئاً ... وشبت وناش حبها ماتكهلا(٥٣)

والصورة واضحة الاقتباس من قول كثير عزة :

هنيئا مريئا غيرَ داءُ مخامرٍ ... لعزةَ من اعراضنا ما أستحلت

ومن قول جميل :

علِقتُ الهوى منها وليدا فلم يزل ... الى اليوم ينمِي حبُها ويزيدُ

ومهيار يصطنع هذا الاسلوب العذرى ويغالى في حبه وحنينه وعفته ليحقق الانسجام الفني لنسيبه وليطبعه بالروح البدوية ، وقد نجح مهيار في اصطناع هذا الاسلوب ، وبقيت مقدماته النسيبية مثار اعجاب وتقدير يقلدها الشعراء وينهجون نهجها رغم صورها التقليدية المقتبسة ، فهي تمثل طابعا عذريا بدويا بأسلوب حضرى بعيد عن الخشونة والجفاف ملون بالحزن والحرمان ، وتبقى اهمية هذه المقدمات النسيبية في كونها النموذج المقلد في فترات الجدب الشعرى التي استمرت حتى عصر النهضة الحديثة .

---

(٥٢) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ٣٢٨ رواية بغداد نلقاكم وما ننساكم
ثمام : نبات : ليس له رائحة حسنة
(٥٣) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ١٩٤

الفصل السادس

التشيع في شعر مهيار

التشيع والشعر تاريخيا :

نشأ التشيع اتجاها عربيا بعد الخلاف في قضية الخلافة والامامة التي كانت اخطر القضايا بعد وفاة الرسول (ص) ، ويقول الشهرستاني : « وكان اعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة اذ ما سل سيف الاسلام على قاعدة دينية مثل ماسل على الامامة »[1] ، وليس هناك خلاف في عروبة التربة التي نشأ عليها التشيع الذى قام على احقية الامام علي بالخلافة بعد وفاة الرسول[2] .

وقد عبر شعراء الشيعة عن اتجاهات التشيع وتطوره الفكرى ، وكان في طوره الاول يمثل العقلية العربية في صفاتها وفطرتها ، « فالخليفة عند الشيعة الاولين كشيخ القبيلة رجل أهلته خلاله وكريم محتِده ليكون رئيسا مضافا الى ذلك حسن البلاء وقرابته للرسول »[3] .

وقد مدح ابو الاسود الدؤلي الامام علياً وكان مدحه حبا وولاءً بعيدين عن التعقيد الفكرى والمذهبي فهو يقول :

احب محمدا حبا شديدا ... وعباسا وحمزة والوصيا

احبهم بحب الله حتى ... اجيء اذا بُعثِتُ على هَويا

وهو يحبهم لانهم :

بنو عم الرسول وأقربوه ... احب الناس في الدنيا اليا

وعندما قتل الامام علي رثاه الدؤلي رثاءاً عربيا اصيلا كما يبدو في قوله :

---

(١) الملل والنحل ـ الشهرستاني مطبعة الحلبي قاهرة ٩٦١ جـ ١ ص ٢٤

(٢) الخوارج والشيعة ـ فلهوزن ترجمة عبدالرحمن بدوي مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر قاهرة ٩٥٨ ص ٢٤٠

(٣) ادب الشيعة ـ عبدالحسيب حميده ط السعادة مصر ٩٥٦ ص ١٢

قتلتم خير من ركب المطايا وأكرمهم ومن ركب السفينا
الا ابلغ معاوية بن حرب فلا قرّت عيون الشامتينا[٤]

الا ان افكار الغلاة بدأت تتسلل الى التشيع في وقت مبكّر وظهر الغلو في حياة الامام علي (ع) في اقوال عبدالله بن سبأ ، وقد هم الامام بقتله ، ثم قرر نفيه الى المدائن ، الا ان عبدالله اصر على مغالاته ، وعندما بلغه وفاة الامام كذب وقال انه لم يمت[٥] .

وكان العصر الاموى فترة صالحة لانتشار افكار جديدة في التشيع من رجعة وتناسخ ونزعات اسطورية في تأليه الامة من آل البيت ، وقد دفعت هذه المظاهر بعض المستشرقين الى الاعتقاد بفارسية التشيع ، الا ان المنصفين منهم أكدوا عروبة التشيع ، ولم ينكروا تأثره بأفكار جديدة « كان لها تأثير كبير في نفوس الكثيرين من الشيعة ، ويظهر أن هذه الافكار التي جاءت في بدأ امرها من البيئات غير غير العربية انما كانت بقية من عبادة الملوك التي كانت مشهورة عند قدماء الفرس »[٦] ، وقد بدأ هذا التطور واضحا بعد دخول العناصر المضطهدة من الموالي تحت ظل التشيع ، وكان بدأ هذه الاتجاهات وتطورها في ايام المختارة وثورته[٧] .

وكان تأثير اتجاهات التأليف وأفكار التناسخ والحلول والرجعة وما تبع ذلك من اوهام واضحا في شعر التشيع الذى مثله السيد الحميرى وكثير عزة ويقول صاحب الأغاني فيهما « وكان كثير عزة يتشيع تشيعا قبيحا يزعم ان محمد ابن الحنفية لم يمت وكان ذلك رأى السيد وقد قال فيه السيد شعرا كثيرا منه :

---

(٤) من ادب الحركات الأسلامية ــ الدكتور بدير متولي مطبعة المعرفة مصر ص ٧٩ ــ ٨٠

(٥) فرق الشيعة ــ ابو محمد النوبختي استنبول ٩٣١ ص ١٩ ، ٢٠

(٦) السيادة العربية والشيعة والأسرائيليات ــ فان فلوتن ترجمة حسن ابراهيم حسن طبعة السنة المحمدية ٩٦٥ ص ٥٧

(٧) الخوارج والشيعة ص ٢٣٩

الا قـل للوحي فدتــك نفسـي ... أطَلتَ بذلـك الجبل المُقامــا
اضــر بمعشــر والـوك منــا ... وسمّوك الخليفــة والأمامــا
وعادوا فيـك اهـل الارض طُرّاً ... مُقامـك عنهمــو ســتين عامــا
وما ذاق ابنُ خولـة طعَم موتٍ ... ولا وارتْ لـه ارض عظامـا[8]

وفي هذا الاتجاه يقول كثير عزة في محمد بن الحنفية :

هــو المهــدى خبّرنـاه كـعب ... اخو الاحبار في الحِقب الخوالي[9]

ونستطيع ان نقدر صدى الاتجاهات للفرق الشيعية في الشعر اذا علمنا أن من افكار الكيسانية الايمان بالحلول والرجعة ، « وان محمد بن الحنفية لم يمت وانه في جبل رضوى بين اسد ونمر يحفظانه ... وانه يعـود بعـد الغيبــة ليملأ الارض عدلا »[10] .

وكان من اثر هذه المغالات والحب والاتجاهات المتطرفة في التشيع ان اتجه السيد الحميرى وراء الاخبار والمناقب التي تخرج عن حدود التعقل ، ووقف في الكوفة يتحدى من يأتيه بخبر عن مناقب الامام لم ينظمه شعرا ، وعندما رويت له حادثة عن الصل الذي دخل خف الامام علي ، والتقطه الغراب قال شعرا يصف الخبر ويؤكد وثوقه[11] .

ونجد صورة اخرى للشعر في تصويره لفرق الشيعة كما يبدو في شـعر الكميت الذى يمثل الاتجاه الزيدى في التشيع ، فهو يقول في موقفه من الشيخين ابي بكـر وعمر :

أهـوى علينـا أمير المؤمنين ولا ... الوم يومـا ابا بكـر ولا عمـرا
ولا اقــول وان لم يُعطيا فدكــا ... بنت النبــي ولا ميراثَـه كفـرا

---

(٨) الأغاني طبعة ساسيج ٨ ص ٣٠
(٩) المصدر نفسه جـ ٨ ص ٣٢
(١٠) الملل والنحل جـ ١ ص ١٥٠
(١١) الأغاني طبعة ساسي جـ ٧ ص ٤

الله يعلــم مــاذا يأتيــان بـــه يوم القيامة من عذر اذا اعتذرا[١٢]

والكميت لا يشتم الشيخين ، ولا يتعرض لهما ولا يشكك في صحة خلافتهما وهو بذلك يعبر عن اتجاه المذهب الزيدي الذي يقول : بجواز أمامه المفضول مع قيام الافضل » ، والذى يؤمن بأن عليا افضل الصحابة الا ان الخلافة فوّضت لابي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها ..[١٣]

وقد تميزت هاشميات الكميت بصدق العاطفة التي هي سمة غالبة لشـــعر الشيعة ، كما تميزت ببراعة الاحتجاج والاستدلال في بيان حق الهاشميين الشرعى في الخلافة ، فالكميت يعتبر « صدى قويا لما شاع في شعره من الجدال بين المتناظرين في مسائل العقيدة وهي كما قال بعض الباحثين ليست اشعارا في مديح زيــــد وأمامته وانما هي مقالة الزيدية بكل اصولها العقيدية »[١٤] .

وقد تمثلت هذه الروح في قصائد الكميت الشيعية التي عرفت بالهاشميات ونجد في قصيدته البائية كثيرا من مظاهر الجدل والنقاش والعاطفة وصدق الايمان وقد بدأهــا بقوله :

طربت وما شوقا الى البيض اطرَبُ ولا لَعِباً منــي وذو الشيب يلعب[١٥]

وفيها يقول في الخلافة وأثبات حق الهاشميين :

وقــالوا ورثناهــا ابانــا وأمنــا ومــا ورثتهـــم ذاك ام ولا اب
يرون لهم حقــا على الناس واجبا سَفاها وحــق الهاشـميين اوجب
ولكن مواريثُ ابن آمنـــة الذى لــه دان شرقيٌ لكم ومغــرِبُ

ويناقش الكميت قضية الخلافة بهدوء وتعقل فيقول :

فان هي لم تَصلُح لقــوم ســواهم فأن ذوى القربى أحــق وأقــرب

وقد وقف شعراء الشيعة في بداية العصر العباسي مفتخرين مزهوين بالنصر

---

(١٢) شرح الهاشميات ـ محمود الرافعي ط ١ القاهرة ٨٤
(١٣) الملل والنحل جـ ١ ص ١٥٤
(١٤) تاريخ الأدب العربي ـ الدكتور شوقي ضيف جـ ٢ ص ٣٢٦
(١٥) شرح الهاشميات ص ٣٦ ـ ٥٥

مطالبين بالثأر والانتقام ، وكان على رأس هذه الدعوى السيد الحميرى ، وعندما جلس المهدى للعطاء ارسل اليه السيد الحميرى رقعة كتب فيها :

قـل لابن عبـاس سـمي محمد — لا تُعطِينّ بني عَـدي دِرْهَـمـا
احرِمْ بني تَيْم ابـن مـرة إنهم — شُـر البرية آخـراً ومقدَّمـا
ان تُعطِهم لن يشكروا لك نعمةً — ويكافئوك بأن تُـذمَّ وتُشتَمـا
ولئـن منعتهـم لقـد بدأوكـم — بالمنـع أذ ملكـوا ، وكانوا أظلمـا
منعـوا تـراث محمـد اعمامَـه — وبنيـه وابنتـه عديلـةَ مريما[١٦]

لقد كتب السيد الحميرى هذه الابيات الى المهدى وهو ما زال ولى عهد ، وعندما تولى المهدى الخلافة العباسية التي نهضت بأسم آل البيت اعلن اتجاهـا جديدا في احقية العباسيين • وقطع الصلة التي توفقهم بمحمد بن الحنفية « وردّهم عن اثبات الامامة لمحمد بن الحنفية وأثبت امامة بعد النبي للعباس بن عبدالمطلب ودعاهم اليها ، وقال كان العباس عمه وورارثه وأولى الناس به وان ابا بكر وعمر وعثمان وعلي وكل من دخل الخلافة بعد النبي غاصبون متوثبون •

وكان على شعر الشيعة ان يتخذ موقفا جديدا من العباسيين بعد ان اغتصبوا حق آل البيت ، وأعلنوا شرعية خلافتهم ، ودعوا الشعراء الى الاشادة بهذا الحق وكان الشعر الشيعي في تلك الفترة شعرا سياسيا أكثر من كونه شعرا دينيـا في معالجته لقضية الخلافة ، وقد تميزت ظاهرة التقيه في عصر بني العباس بشكل واسع ، ووجد فيها شعراء الشيعة متنفسا للخلاص من الاذى ، فهم يمدحـون العباسيين بما يناسبهم ويدينون بالامامة سرا ، وكان منصور النمرى مـن الشعراء الذين يمدحون العباسيين ويدينون بالامامـة ويمدح آل الرسـول ويعـرض بالسلف[١٨] •

---

(١٦) الأغاني ط ساسي جـ ٧ ص ٨
(١٧) فرق الشيعة ص ٤٣ ، وسبق المنصور المهدي في رسالته للثائر العلوي محمد ابن عبدالله راجع تاريخ الطبري جـ ٦ ص ١٩٨ ـ ١٩٩
(١٨) طبقات الشعراء ـ ابن المعتز تحقيق عبدالستار فراج ص ٢٤٤

وكانت توجيهات الحكم العباسي واضحة في شعر المديح الذى قيل فيهم ، كما كان اثرها واضحا في شعر الشيعة ، وقد استطاع مروان بن ابي حفصة ان يعبر عن هذا الاتجاه في قوله مادحا العباسيين :

انى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الاعمام

وقد رد عليه شاعر العلويين جعفر بن عفان الطائي في قوله :

لم لا يكون وان ذاك بكائن لبني البنات وراثة الاعمام
للبنت نصف كامل من ماله والعم متروك بغير سهام[١٩]

والشاعر منصور النمرى الذى قيل عنه انه كان يدين بالامامة مدح الرشيد مؤكدا هذا الاتجاه في قوله :

ان الخلافة كانت ارثَ والدِكم من دون تَيْمٍ وعفو الله مُتّسعُ
وما لآل علي في امارتكم حق وما لهم في ارثِكم طمع
العم اولى من ابن العم فاستمعوا قول النصيح فان الحق يُستمع[٢٠]

ويبدو ان شعر الشيعة قد استمر على اسلوب المحاججة والجدل الذى لمسناه في شعر الكميت وان كانت الصورة قد تغيرت بحكم موقف العباسين الجديد من قضية الخلافة ، الاان الطابع الحزين بقي قائما بعد ان شهد العصر العباسي ثورات العلويين ومصارعهم وفواجعهم ، وكان دعبل الخزاعي أكثر شعراء الشيعة تصويرا لهذه الفواجع وقد ربط تاريخ اعدائهم بتاريخ بني امية كما يبدو في قوله :

أرى امية معذورين ان قتلوا ولا ارى لبني العباس من عُذُرِ
اربَع بطوس على قبر الزكي بها ان كنت تربَعُ من د ين على وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر[٢١]

(١٩) الأغاني ط ساسي جـ ٩ ص ٤٥ ـ ٤٦
(٢٠) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ـ مصطفى هداره دار المعارف ٩٦٣ ص ٨٤
(٢١) ديوان دعبل الخزاعي تحقيق محمد يوسف نجم بيروت ١٩٦٢ ص ٧٩ .

ولدعبل الخزاعي الى جانب هذا الهجاء المذهبي قصيدة اخــرى تصور المأساة العلوية وفيها يقول :

الم ترَ أني مذ ثلاثين حِجــةً ... اروح وأغـدو دائــم الحسرات
ارى فيئهم في غيرهــم متقســما ... وأيديهم مــن فيئهـم صَفِــرات
فآل رسول الله نُحفٌ جسومهم ... وآلُ زياد غُلّظُ القَصِرات[٢٢]

ويظهر لنا ان الشعر الشيعي في عصر بني العباس الى القرن الثالث للهجرة مثل اتجاها سياسيا أكثر من كونه تعبيرا عن اتجاه ديني وقد تناول قضية الخلافة بوضعها الجديد كما وقف حزينا امام مصارع آل البيت وفواجعهــم ، وتعـرض للخلافة العباسية بقوة وصلابة ، وهو اذ احيا وجدد اسلوب الكميت في الجـدل لم يلتفت الى أوهام الحميرى وأساطيره •

وكان القرن الرابع للهجرة وبداية الحكم البويهي ببغداد عصـر ازدهــار للتشيع في التعبير عن مذهبهم في مجالس العلماء ، وفى الاحتفالات الدينية بعـــد ان انحسر ظل الخليفة العباسي وأصبح الامير البويهي المتشيع صاحب الامــر ، وانتهى عهد الاضطهاد والمطاردة والتستر والتقية •

ورغم ما يقال عن زيدية البويهيين فان الاتجاه الامامي كان سائدا لدى العامة كما كان ملوك الاطراف كبني عقيل وبني مزيد يؤيدون الاتجاه الامامي ويأخذون بمذهب فقيه الشيخ المفيد الذي عرف بمنزلته الواسعة في هذه الامارات[٢٣] •

واذا كانت زيدية البويهيين قد جاءت بسبب انتشار المذهب الزيدى فـــي المناطق التي جاؤوا منها كما يقول المؤرخون ، فان سياستهم ببغداد تؤكد تشجيعهم للامامية تحقيقا لاغراضهم السياسية او ايمانا منهم بهذا المذهب • وتبدو هــذه الظاهرة واضحة في تشجيع معز الدولة للعامة في تطرفهم ، وقـد كُتب بأمـره لعن لبني امية والخلفاء الراشدين على جدران الدور ببغداد[٢٤] كما أمـر هــذا

---

(٢٢) ديوان دعبل ص ٤١ •
(٢٣) المنتظم جـ ٨ ص ١١ •
(٢٤) الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ٤ •

الأمير بعدم معاقبة الذين اعتقدوا بالحلول والتناسخ وقالوا ان ارواح الائمة حلت فيهم [٢٥] .

وعندما قوى مركز الخليفة العباسي واستعاد هيبته في عهد جلال الدولة استطاع ان يقف موقفا جديدا بوجه افكار الغلو واضفاء الربوبية على الامام علي التي انتشرت ببغداد متأثرة بروح التقديس الفارسية التي عرفت بأفكارها القديمة في تاليه الملوك . وقد وقف خطيب جامع براثا في سنة ٤٢٠ للهجرة ليقول عن الامام علي انه « مكلم الجمجمة ومحييها البشرى الالهي ومكلم فتية اهل الكهف » ، وقد منع الخطيب بأمر الخليفة ووضع آخر مكانه الا ان العامة من الشيعة رجمته ، فغضب الخليفة ، وذهب اكابر الشيعة يعتذرون اليه[٢٦] .

وهذه الاتجاهات الاسطورية وما تحمل من ملامح المغالاة تؤيد ما ذهب اليه الاستاذ متز في قوله : « ان اكبر ما تمتاز به الحركة الفكرية في القرن الرابع ظهور مذهب المتشيعة يحمل في ثناياه الكثير من الافكار الشرقية القديمة ويجعلها مكان الافكار الاسلامية »[٢٧] .

ونستطيع ان نضيف الى هذه الظاهرة ظواهر اخرى مميزة لهذا العصر تبدو في انتشار روح الجدل والمناظرة وما يتبع ذلك من تطرف كما ان الخلاف المذهبي بين الشيعة وغيرهم اصبح الاساس وانتهت قضايا الخلافة والامامة الى مناسبات تثير التناحر والصدام والاحزان .

ونتيجة لذلك اصبحت القصيدة الشيعية المعبرة عن هذا العصر قصيدة مناسبة تشارك في تجديد الذكريات والاحزان أكثر من كونها دعوة الى اعادة حق مغتصب ، او جهادا سياسيا دينيا ، وقد توفر لهذه القصيدة جو من حرية التعبير في الغلو والتطرف .

---

(٢٥) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٣٩ .
(٢٦) المنتظم جـ ٨ ص ٤٤ـ٤٥ والكامل في التاريخ جـ ٧ ص ٣٤٤ .
(٢٧) الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ١٠١ .

ويبدو ان الشعر الشيعي استطاع ان يعبر بصراحة عن عصر بني بويه في طابع الجدل والحجاج وفي الروح المناقبية الخاصة بكرامات الامام علي وأبنائه ، وفي غلوه وصراحته عند تعرضه للخلفاء الراشدين بأسلوب الشتم والسباب .

ولم يكن شعر المذاهب الاخرى قاصرا عن الاجابة على هذا الشعر الشيعي وقد اشرت سابقا الى الشاعر علي بن عيسى السكرى الذى عرف بمناقضاته ورده على شعراء الشيعة ومدحه ابا بكر وعمر وعثمان ، وقد كتب بديع الزمان الهمذاني قصيدة طويلة يمدح الصحابة ويهجو الخوارزمي ، ويجيبه عن قصيدة له في الطعن على الصحابة قال في مطلعها :

وكلني بالهم والكآبة طعّانة لعّانة سبابة[٢٨]

والهمذاني يقول عن الخوارزمي انه طعانة سبابة ولم يقصر الهمذاني في سب صاحبه والتعرض له بالالفاظ القبيحة والاوصاف البذيئة كما عرض في قصيدته اسلوبا في المناظرة والجدل لاثبات حق الخلفاء الراشدين وفضائلهم وعظمته منازلهم .

ويبدو لنا اسلوب المعارضة في ابيات كتبها اموى الى الصاحب بن عباد قال فيها :

ايا صاحب الدنيا ويا واحد الارض اتاك شريفٌ سامقٌ الطول والعَرض
له شرف في آل حرب مؤثل مرائرُهُ لا تستجيبُ الى النقض
فوفر له الاحسان واغمره باللهى لتقضي حق الدين والشرف المحض

وقد كتب الصاحب على ظهر ورقته يقول :

انا رجل يرميني الناس بالرفض فلا عاش حربي لدى علي خَفض
دعوني وآل المصطفى عترة الهدى فأن لهم حبي كما لكم بغضي
ولو ان بعضي مال عن آل احمد لشاهدت بعضي قد تبرأ من بعضي[٢٩]

---

(٢٨) الادب في ظل بني بويه ص ١٨٦ ، والقصيدة في معجم الادباء جـ ٢ ص ١٩٦ ـ ٢٠٠ .

(٢٩) ديوان الصاحب بن عباد تحقيق محمدحسين آل ياسين ط المعارف ١٩٦٥ ص ١٦٩ـ١٧٠ .

والصاحب بن عباد رغم منزلته وعلو قدره انحدر الى السباب والشتائم في تعرضه لاهل السنة ، واعتبر هذا الاتجاه جزءا من الشعر المذهبى فهو يقول معلنا عن حبه للامام علي :

حب علـي بـن ابـي طـالب ... هـو الذى يهـدى الى الجَنـه
والنـار تُصـلى لـذوى بغضـه ... فمـا لهـم مـن دونـه جُنـه
الحمـدلله عـلى انـنـي ... ممـن اوالـي ولـه المنـه
ان كـان تفضيلي لـه بدعـةً ... فلعنـةُ الله عـلى السـنه[30]

وتمثل هذه الابيات وغيرها التي تتعرض للصحابة كيف ان الخلافات المذهبية قد اخرجت الشعر المذهبي عن طابعه المتميز للنظرة السياسية الدينية وما تحمل من احزان الى نوع من المناظرة المذهبية بين طائفتين تقوم أحيانا على اللعن والسباب ، وهو في هذا الاتجاه يعبر بصراحة عن سمات العصر البويهي بصراعه المذهبي الحاد ، كما عبرت العامة عن هذا الاتجاه بتصادمها واقتتالها •

اما الطابع الآخر الذى يميز الشعر الشيعي في عصر بني بويه ، فهو طابع الغلو في عرض مناقب الائمة وما نسب اليهم من كرامات ومعجزات تصل الى درجة التأليه ، وهذا الاتجاه يمثل تجديدا لاسلوب السيد الحميرى في تتبعه للمناقب •

وقد ذكرت سابقا حادثة جامع براثا ، وما جاء في خطبة خطيب الجامع نجد صداه في شعر مهيار والصاحب بن عباد ، وفي شعر الامراء البويهيين الذين اظهروا التشيع وكتبوا الشعر في مناقب أهل البيت[31] •

وقد اعتبر شعراء الشيعة هذا الاتجاه المغالي في شعرهم طريقا لطلب الشفاعة والفوز بالجنان بموالاتهم لآل البيت وفي لعنهم لاهل السنة والصحابة ، وكان

---

(٣٠) ديوان الصاحب بن عباد ص ٩٧ •

(٣١) مناقب آل ابي طالب ــ ابن شهر آشوب المطبعة الحيدرية ٩٥٦ جـ ٢ ص ١٢٨
وديوان الصاحب بن عباد ص ٦٩ ، ٦٨ •

طلب الشفاعة في الواقع صورة لعصر الضعف والانحلال والخوف وتأثرا بأفكار المتصوفة وكرامة أوليائهم ، ولم يكن يقتصر هذا الامر على شعر الشيعة دون غيرهم .

وكان فقيه الامامية في عصر بني بويه يقول : « ويشفع امير المؤمنين » في عصاة شيعته فيشفعه الله عز وجل وتشفع الائمة في مثل ما ذكرناه فيشفعهم الله وعلى هذا القول اجماع الامامية » [٣٢] ، ويرد شعراء الشيعة ما يقوله المذهب ويعتبرون موالاتهم خلاصا من العقاب كما ذكرنا سابقا في شعر ابن الحجاج ، ونجد صورة لذلك في قول الصاحب بن عباد :

ارجو قسيم الجنان يقسمني منازلا بينهن موصوفة
يسقي بكأس النبي شيعته ومزنة الناصبين مكفوفه[٣٣]

ونجد صورة للشفاعة في شعر شاعر السنة السكرى الذى عرف بمناقضاته لشعراء الشيعة ، فهو يقول في الشفاعة مخاطبا نفسه .

واعلمي أنّ للمنية وقتا سوف يأتي عجلان غير هيوب
أن حب الصديق في موقف الحشر امانٌ للخائف المطلوب[٣٤]

ولم تكن الخلافة العباسية بمأمن من التعرض والاشارة الى مظالمهم في حق آل البيت ، واصبح العرض التأريخي لمأساة الحسين تبدأ بالخلافة الراشدة وتنتهي بأبنائه الذين ذاقوا القتل والاضطهاد في عهد بني العباس ، واذا كان الشريف الرضي والشريف المرتضى بعيدين عن الاستفزاز لمركز الخلافة العباسية بحكم علاقتهما الوطيدة ، فليس معنى ذلك ان شعر الرضي خال من الاشارة الى العباسين وظلمهم بأسلوب عفيف منزه من الشتم والسباب فهو يقول في ظلم بني العباس :

---

(٣٢) أوائل المقالات ــ محمد بن محمد النعمان مطبعة تبريز ٣٧١ ص ٥٣ .
(٣٣) ديوان الصاحب بن عباد ص ٩٠ .
(٣٤) البداية والنهاية ج ١١ ص ١٥ .

الا ليس فعل الاولين وان علا | على قبح فعل الآخرين بزائد
يريدون ان نرضى وقد منعوا الرضا | لسير بني اعمامنا غير قاصد
كذبتك ان نازعتني الحق ظالماً | اذا قلت يوما إنني غير واجد(٣٥)

والشريف الرضي يرى ان قضية الافضل والمفضول ما زالت قائمة ، فهو يهدد ويتوعد في قوله :

يا بني أحمد الى كم سناني | غائب عن طعانه ممطول
كم الى كم تعلو الطغاة وكم يحكم في كل فاضل مفضول(٣٦)

والوزير البويهي الصاحب بن عباد حين يعرض مأساة آل البيت تاريخيا في شعره في بني العباس بعد الانتهاء من مظالم امية :

هاتا امية راجعت ثاراتها | فيها بشمل ضلالها الموضون
فقنول لم تسلم ولم تؤمن ولم | تعصم بحبل في اليقين متين
فاذا بنو العباس تحذو حذوها | فاسأل عن المنصور أو هارون
واسأل ولا يغررك ما قد لبسوا | او دلسوا من قصة المأمون
وهلم جرا فالجرائر جمة | فوضى وكم من زفرة وانين
آل الهدى ما بين مقتول ومأسور ومسموم الى مسجون(٣٧)

لقد توفرت الحرية الواسعة للشعر الشيعي في هذه الفترة في التعبير عن تطرفه ومغالاته ، الا اننا لا نسمع دعوة صريحة الى الغاء الخلافة العباسية وتجديد الدعوة للعلويين ، وهو في هذا الاتجاه يساير طبيعة السياسية البويهية في ابقاء الخلافة العباسية رمزا وذلك لتحقيق سيطرتهم السياسية •

ويبدو لنا من هذا العرض لشعر الشيعة في عصر بني بويه ان القصيدة الشيعية طبعت العصر ، وفقدت كثيرا من الحيوية الفكرية والسياسية التي امتاز بها

(٣٥) ديوان الشريف الرضي طبعة بيروت ج ١ ص ٣٣٦ •
(٣٦) ديوان الشريف الرضي طبعة بيروت مجلد ٢ ص ١٨٩ •
(٣٧) ديوان الصاحب بن عباد ص ١٣٣ـ١٣٤ •

شعر الشيعة في العصور السابقة ، وأصبحت قصيدة مناسبة تقال في ايـام تجديد الاحزان كما يظهر من قصائد الشريف الرضي التي قيـل أكثرهـا في ذكـرى عاشـوراء[٣٨] .

وقد جمعت قصيدة التشيع في عصر بني بويه بين المـدح والرثاء والتزمت بطابع الجدل والمناقشة مستعينة بأفكار العامة في عرض المناقب والكرامات ومايتبع ذلك من غلو وتطرف ، وعبرت عن طابع التناحر المذهبي بكونه شكلا من اشكال النقائض في ردود بعض الشعراء على أهل السنة ، وقد انحدرت عند بعضهم الى لون من الوان الشتم والسباب[٣٩] .

وقد افتقدت هذه القصيدة كثيرا من احزانها وعواطفها الملتهبة بأتجاهها الى الجدل والمناقب واللعن والمناحرة ، ولا يقلل من سلامة هذا الرأى ما تجده فـي قصائد الرضي من اشجان ولوعة ، فهو شاعر يرثى اهل بيتـه ويصور مأسـاتهم بصدق وأخلاص ، ولم يلتفت الى شعراء العصر من الشيعة ، ولم ينهج نهجهـم في مغالاتهم وتطرفهم .

مهيار والتشيع في شعره

وضع مهيار في باب شعراء آل البيت المجاهـرين مـع السـيد الحميرى والصاحب ابن عباد وابن الحجاج[٤٠] ، ويبدو ان المجاهـرة تميزت بالتعـرض الصريح للصحابة وقد وضع المؤرخ الشيعي ابن شـهر آشـوب الشعراء دعبلاً والكميت وابن الرومي في باب الشعراء المقتصدين[٤١] .

ويظهر ان هناك اتفاقا على ان مهيار كان اماميا فـي تشـيعه وان اختلف في منزلته وتقدير غلوه وتطرفه ، وقد وصف بأنه كان رافضيا جلدا سلك سبيل

---

(٣٨) ديوان الشريف الرضي مجلد ١ ص ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٤٨٧ ، مجلد ٢ ص ١٨٧ ط بيروت .
(٣٩) ديوان الصاحب بن عباد ص ٩٣ ، ٩٧ ، ١١١ .
(٤٠) معالم العلماء ص ١٤٦ ، ١٤٩ .
(٤١) المصدر نفسه ص ١٥١ .

الرافضة ونظم الشعر الفحل القوى في مذاهبهم[٤٢] ، وقد وصفته بعض كتب الشيعة بكونه من كبار الامامية كأستاذه الشريف الرضي[٤٣] .

وتأكيد رافضية مهيار دليل على تشيعه الامامي ، « وقد قيل لهم رافضة في نظر السنة لانهم رفضو ابا بكر وعمر ولم يرفضهما غيرهم »[٤٤] ، وليس هناك شك في امامية مهيار ، فشعره حافل بألفاظهم ومصطلحاتهم المذهبية كالتقية وتأكيد الامامة بالنص وعدم شرعية الخلفاء الذين قبله ، واعتبار التبرى من اعداء الامام أصل المولاة .

وتشيع مهيار في شعره وغير شعره يحتاج الى نظر وتدقيق ، وقد قلت فيما سبق ان تشيعه كتشيع اسياده البويهيين لا يخلو من اغراض ومطامع ، واذا كان البويهيون قد حققوا اغراضهم السياسية في تشيعهم فان مهيار استطاع ان يبني مجدا شخصيا في ظل التشيع .

ومهيار لن يجد في غير التشيع بروزا وحسن حال وملائمة لنفسيته الفارسية وتعبيرا عن احقاده الشخصية والعنصرية ، وقد وجد في ادعاء الحب لآل البيت متنفسا للتعبير عن شعوبيته في شتم الخلفاء العرب والتعرض لقريش بأسم الدين، ودليلنا على ذلك قصيدته الشعوبية الشهيرة التي كتبها قبل أسلامه والمؤرخة في سنة **٣٨٧** للهجرة والتي شتم فيها قبيلة قريش وأشار الى العرب قبل اسلامهم وبعد اسلامهم ، واعتبر يزيد امام العرب في قتله للحسين ، اما الفرس فهم نظره :

والفرس لما علقوا بدينه ... لم تنل العُروة كفُّ قاصم
فمن اذاً اجدر ان يملِكَها ... موقوفةً على النعيم الدائم ؟
لابد يوما ان تُقال عثرةٌ ... من سابق او هفوةٌ من حازم[٤٥]

---

(٤٢) العبر في خبر من غبر ج ٣ ص ١٦٧ والبداية والنهاية ج ١٢ ص ٤٦ .
(٤٣) نسمة السحر للصنعاني مخطوطة السماوي ص ٤٩٠ .
(٤٤) العقد الفريد ــ ابن عبد ربه ط لجنة التاليف والترجمة سنة ٩٤٠ ج ٢ ص ٤٠٤ .
(٤٥) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ٣٣٦ .

ومهيار اراد ان يفخر بالفرس وان يشتم العرب وهو لم يُسلم بعد ، ولكنه لم يستطع ان ينشر احقاده الشعوبية الا من خلال الدين وادعاء التشيع والبكاء على مصارع آل البيت ليقرر بعد ذلك أن قومه احق بان يحكموا لان العرب خانوا العهود .

ولمهيار قصيدة ثانية مدح فيها آل البيت وهو ما زال مجوسيا ، وقد جاء في مقدمتها : « وقال يرثي امير المؤمنين عليا وولده الحسين ويذكر مناقبهما وكان ذلك من نذائر ما من الله تعالى به من نعمة الاسلام سنة ١٩٢ للهجرة » وقد اكد مهيار على صحة المقدمة كما يبدو في قوله :

ايا عاطشاً في مصرَعٍ لو شهدته سقيتُك فيه من دموعي الذوارفِ
ستى غُلتي بحرٌ بقبرك إنني على غير المامٍ به غيرُ آسفَ
وأهدى اليك الزائرون تحيتي لأشرفَ إنْ عيني له لم تُشارف

فمهيار لم يزر قبر الحسين لانه ما زال مجوسيا ولكنه قال :

وما نسبٌ ما بين جنبي تالدٌ بغالبِ ودٍ بين جنبيَّ طارفِ
وكم حاسد لي ودّ لو لم يعش ولم أُنابِلْهُ تأبينكم وأسايفُ
تصرفت في مدِحيكم فتركتُه يَعضُ عليّ الكفّ عضَّ الصوارف
هواكم هو الدنيا وأعلم أنه يبيّضُ يومَ الحشرِ سودَ الصحائف(٤٦)

ومهيار يدعي أن وده لآل البيت غالب لعرقه الفارسي ، ويشير الى حاسديه في هذا المدح ، ويقول انه في هواه سيجد الثواب وهو ما زال مجوسيا لم يعلن اسلامه بعد ، وعندما اعلن اسلامه اصبح الافتخار بفارسيته قائما واعتبرها ندا لاسلامه وقد صور علاقته بآل البيت مع طيب عنصره في قوله :

آباى من فارس والدين دينكم حقاً لقد طاب لي أسٌ ومُرتَبعُ
مازلت مذ يفعت سني الوذ بكم ـحتى مجا حقكم شكي ـ وانتجع(٤٧)

---

(٤٦) ديوان مهيار ط دار القصيدة ج ٢ ص ٢٥٩ـ٢٦٢ .
(٤٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٨٤ .

وهو في حبه لآل البيت يمثل حب الشريف للشريف كما يبدو في قوله:

احبكم ما سعى طائف   وحنت مطوقة في الهتوف
وان كنت من فارس فالشريف   معلق وده بالشريف[٤٨]

ويؤكد مهيار هذه العلاقة بعد اسلامه كما يبدو في قوله واصفا مودته :

هذا لهم والقوم لا قومي هم   جنسا وعَقرُ ديارهم لا داريا
الا المحبةَ فالكريمُ بطبعه   يجد الكرام الابعدين ادانيا

فمهيار بقي غريبا في اسلامه وتشيعه يؤكد غربته ويعيدها ، ويعتز بها رغم ما يعلن من ود وما يصطنع من عواطف الحب والولاء ، ولم يشر في اسلامه وتشيعه الى مبادىء الاسلام وسماحته ، ولا الى صلاح التشيع وحدوده .

واعتزاز مهيار بعنصره وشعوبيته ليس دليلا وحيدا على عدم جدية تشيّعه ، وقد ذكرت فيما سبق عند الحديث عن حياته الوضع الشخصي لمهيار قبل اسلامه وما كان يلاقي من عنت وضيق ، وكيف وجد في التشيع خلاصا ومتنفسا[٤٩] . والشكوك في جدية هذا التشيع قديمة بدأت في حياة مهيار ، واعلنها ابو القاسم ابن برهان وهو يقول لمهيار وينذره بأن مصيره النار بعد ان انتقل اليها من زاويةالمجوس فيشتمه للصحابةوتعرضه لاسلامهم وجهادهم[٥٠] ، وحاول مهيار ان يرد على هذه الشكوك وجاء في مقدمة احدى قصائده : « وقال يرثي اهل البيت وبلغه ان بعض حاسديه ينكر مدحه اياهم ويدعي عليه انه بما يظهر من المخالفة في الاصول لا يجوز ان يخلص في مدحهم .. » وقد رد مهيار على اهل الشكوك في قوله :

هل يبلغنّك يا أبا الحسن الذى   جُوزِيتُ فيك وكان ضدّ جزائيا
من معشَر لما مدحتُك غِظتَهم   فتناوشوا عِرضي وشانوا شانيا

(٤٨) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٦٤ .
(٤٩) البحث ص ٤٥ وما بعدها .
(٥٠) ديوان مهيار ط دار جـ ٤ ص ٢٠٢ .

اسمعْ ليُنصفَني انتقامُك إنهم بالجَوْر راضوني فجئتُك شاكيا
لما رأوا ما غاظ مني شنّعوا حاشاك أني قلتُ فيك مُداجيا
لا كان الا ميتاً ميثاقُه من سرّه أنْ كان بعدك باقيا
والله ينصبُ لعنه وعذابَه من قال فيك ومن يقول مرائيا[٥١]

ومهيار يشكو ما يلاقي من اهل بغداد الذين تناوشوه بالتجريح والملوم ، واتهموه بالكذب والمداجاة في مدائحه لآل البيت ، وحاول تبرئة ساحته ، وحلف بأغلظ الايمان على صدق اعتقاده الا ان هذا الحلف لا ينفي التهمة عن مهيار ، فقصائده تبقى دليل اتهام وادانة •

واستغلاله للتشيع واضح جلي ؛ فقصيدته التي كتبها سابقا والمؤرخة بأيام مجوسيته تميزت بعدم التصريح بأسماء الصحابة في والشتم ، بينما كان اعلان اسلامه بداية سب وشتم بالاسماء وبالعرض التاريخي للخلفاء الراشدين، كما ان قصيدته الشعوبية التي دعا فيها الى اعطاء الحكم للفرس تبقى دليلا على استغلاله الدين والتشيع للتعبير عن شعوبيته في ايام مجوسيته •

اما المظهر الآخر على عدم جدية مهيار في تشيعه ، فهو واضع في محتوى قصيدته الشيعية المتميزة بعدم تعرضه للخلافة العباسية من قريب او بعيد ، كما هو شأن شعراء الشيعه في تتبع مأساة آل البيت في عصر بني امية وعصر بني العباس والاشارة الى اغتصاب هاتين العائلتين لحق الخلافة من أهلها الشرعيين• وقد أشرت الى ان الشريف الرضي رغم علاقته بخلفاء بني العباس لم يستطع ان يخفي عواطفه ، وأكد على استمرار الظلم في عهد العباسيين ، وكون المفضول ما زال يحكم الفاضل ، كما رأينا لهذا الشعر في قصائد الوزير البويهي الصاحب بن عباد ، وهو يشير الى تاريخ مأساة العلويين في عصر العباسيين صراحة ووضوح •

ومهيار رغم ما يصطنع من مظاهر التطرف في تشيعه ، وما يعلن من ود

---

(٥١) وفي مخطوطة الديوان : فتناوشوني لائما أو لاحيا بدل رواية المطبوع •

ومحبة ، بقيت مأساة آل البيت في نظره قائمة الى نهاية عصر الامويين ، ولم يذكر رغم ولعه بسرد الاحداث التاريخية ثورات العلويين في عهد بني العباس وما لاقوا من عنت وقسوة ، وأكتفى بمأساة كربلاء محاولا ربطها تاريخيا بيوم « السقيفة » ليجد في هذا التزوير التاريخي متنفسا لشتم قريش والخلفاء الراشدين .

ولم يكن مهيار صديقا للخليفة العباسي او مادحا له ، ولكنه كان مداحا لوزير الخلفاء العباسيين ابي طالب بن ايوب ، وأصبح من تقاليد مدحه ان يقول لهذا الوزير أن الخليفة العباسي امام هدى ورشاد ، وهو اعلان صريح بشرعية خلافته لا ينسجم وما عرف عن مهيار من تطرف ومغالاة في حب آل البيت وتأكيد حقهم في الخلافة (٥٢) .

وليس هناك مايدعو الى قبول التقية في موقف مهيار ، فان حرية التعبير عن اتجاهات التشيع كانت واسعة في عصر بني بويه ، وان التعرض للخلافةالعباسية لن يؤدى بمهيار الى السجن ، ولكن مهيار كما قلت كان متشيعا غير جاد في تشيعه ، ولعله كان يتمنى ان يمدح الخليفة في يوم من الايام عن طريق وزيره ابن ايوب .

ويبدو لي ان مهيار بقي شعوبيا اكثر من كونه متشيعا ، وقد استطاع ان يسب العرب في ظل التشيع قبل ان يعلن اسلامه ، واستطاع في ظل الاسلام والتشيع ان يكون صريحا متطرفا في شتمه ولعنه ، اما ما يصطنع مهيار من العواطف والاشجان فهي لا ترتفع الى اشجانه على المجد الفارسي المضاع ، ولم تأخذ الماساة العلوية مكانها في شعر الشاعر المتشيع .

قصيدة مهيار الشيعية :

كتب مهيار قصيدته الشيعية مشاركة للشيعة في مناسباتهم الحزينة ايام عاشوراء مع ما كان يجرى ببغداد من تجديد الاحزان في ظل الصراع المذهبي

(٥٢) البحث ـ فصل المديح .

القائم ، وكتب مهيار قسما آخر من قصائده بناء على طلب من أبناء الطائفة ، كأن تكون القصيدة معارضة لقصيدة اخرى لا تليق بأهل البيت ، او اجابة على سؤال مقترحا عليه الوزن والروى •

وقد جاء في مقدمة احدى قصائده الشيعية انه « انشد قصيدة من مراثي آل البيت من مرذول الشعر على هذا الروى الذى يجيء وسئل ان يعمل ابياتا في وزنها وعلى قافيتها فقال هذه في الوقت ... »(٥٣) ، وفي قصيدة اخرى اقترح عليه الوزن والروى ، وأجاب الشاعر ارتجالا على جهة الاملاء ومقتضى اجابة السائل ، وجاءت القصيدة بمقدمة نسيبية يبلغ عدد ابياتها ثمانية وعشرين بيتا وابقي لرثاء آل البيت تسعة ابيات فقط(٥٤) •

ويبدو ان قصيدة مهيار الشيعية اكثر التصاقا بالمناسبة من اية قصيدة شيعية اخرى ، فهي كأغراض شعره الاخرى في التزام المناسبة وعدم كونها تعبيرا عن دعوة لآل البيت تمتاز بمحتواها الديني والسياسي •

وقد اعتمدت هذه القصيدة طريقة التعبير عن النزاع المذهبي الحاد ومهاجمة الطائفة الاخرى من خلال تعرض الشاعر لقضية الخلافة ، وأصبح تصوير المأساة غرضا ثانويا في محتوى القصيدة ، فالقصة ليست شعر مأساة وأحزان وبكاء ولا شعر دعوة فيها المحتوى الفكرى او المحتوى الديني السياسي في اعادة الحق الى آل البيت وأنما هي قصيدة مناقب وفضائل ومحاججة تاريخية مكررة ولعن وسباب •

وأول ما يلاحظ على شكل هذه القصيدة المقدمة النسبية الطويلة ، وهي ظاهرة عامة لم يخرج عنها في اية قصيدة ، وهو بذلك يضع قصيدته الشيعية في باب المديح شكلا ومحتوى ومقدمة ، وان تناثرت فيها ابيات رثاء قليلة تصف مأساة الحسين وصفا عارضا ، الا ان اغلب محتوى القصيدة يبقى مدحا وعرضا

---

(٥٣) ديوان مهيار ط دار جـ ٢ ص ٢٦٢ •

(٥٤) المصدر نفسه ــ القصيدة جـ ٢ ص٣٦٧ــ٣٧٠ •

للفضائل والتزاما بالمحاججة ٠

ومهيار لم يكن الشاعر الوحيد في التزام هذا المنهج الفني لقصيدة الرثاء الشيعي ، فأستاذه الشريف الرضي وضع لقصيدته الشيعية مقدمات عن الطيف ومنازل الاحبة ، كما ابتدأ قصيدة اخرى بمقدمة عن الاطلال وحديث عن رسوم الاحباب(٥٥) ، وللصاحب بن عبادة قصائد في مدح آل البيت ورثائهم تميزت بمقدمات نسيبية تحدث فيها الشاعر عن الطيف والحبيب والديار(٥٦) ٠

ولم يوفق مهيار الى مقدمات نسيبية ملائمة لرثاء آل البيت ، فجاءت اكثر مقدماته شكلا فنيا يصلح لاية مقدمة مديح تقدم لوزير او رئيس ، وقد جاء في توضيح احدى قصائده وظروفها ٠٠ « وقال يرثي آهل البيت عليهم السلام ويذكر بيان البركة بولائهم فيما صار اليه » ثم يقول :

في الظباء الغادين امسِ غزالُ   قال عنه ما لا يقول الخيالُ
طارقٌ يزعم الفراقَ عتابا   ويُرينا ان المَلالَ دلالُ
لم يَزَلْ يَخْدَعُ البصيرَةَ حتى   سرّنا ما يقولُ وهو مُحالُ(٥٧)

وجاء في مقدمة قصيدة اخرى اقترح عليه الوزن والروى فيها :

يا ابنْةَ القوم تُراكِ   بالغٌ قتلي رضاكِ
ام دمي وهو عزيز   هان في دين هواكَ(٥٨)

وواضح ان قراءة هاتين المقدمتين لا توحي بغرض القصيدة المخصصة للرثاء الشيعي ، فطبيعة المقدمات النسيبية لا تنسجم مع الرثاء سواء كان شخصيا او مذهبيا ، وليس « من عادة الشعراء ان يقدموا قبل الرثاء نسيبا كما يصنعون في المدح والهجاء »(٥٧) ، وكان الوزن الطروب الراقص من اسباب الفشل في هذه القصيدة ، مما يدل على ان قصيدة مهيار الشيعية شعر مناسبة عامة يحمل كل

---

(٥٥) ديوان الشريف ط بيروت مجلد ١ ص ٣٦٤ ، ٣٦٧ ٠
(٥٦) ديوان الصاحب بن عباد ص ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٨ ٠
(٥٧) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ١٥ ٠

هل بعد مفتَرق الاظعان مجتمعٍ ... ام هل زمان بهم قد فات يُرتجعُ
تحملوا تَسعُ البيداءُ ركبهم ... ويحمل القلبُ فيهم فوقَ ما يَسعُ
مغربين همو والشمسُ قد ألفوا ... الاّ تغيبَ مغيبا حيثُما طلعوا
شاكين للبين اجفاناً وأفئدةً ... مُفجَّعين به امثالَ مافجعوا(٦٠)

ومقدمة مهيار هذه لا تعتبر دليلا على نجاحه في تحقيق الطابع الحزين لشعر التشيع ، فهي قصيدة واحدة من مجموعة قصائد شيعية كثيرة التزم فيها مهيار اسلوبه في المديح ، ولم يرتفع بها الى مستوى رثائه الشخصي او السياسي ٠

اما محتوى قصيدة مهيار الشيعية فهو قائم على اسس ثابتة وتقاليد مكررة في اغلب قصائده وهذه التقاليد هي :

١ ـ التزام اسلوب المحاججة والجدل في الامامة والخلافة ، ويقوم هذا الاسلوب على سرد الاحداث التاريخية من وجهة النظر الشيعية ويعتمد على اخبار معينة تناقلها كتب التاريخ ٠

٢ ـ عرض مناقب الامام علي بشكل واسع يعتمد على ما تردده العامة في العصر البويهي من صور المبالغات والتأديه ، وهو يمثل اتجاهات واضحا للاسطورة والاوهام ٠

٣ ـ يؤكد مهيار فارسيته ويشيد بها ويعتبر وده لآل البيت ود شريف لشريف ، وعلاقته علاقة كريم بأكرمين ، مع التزام شعوبي واضح يظهر في تعرضه للعرب وانتقاصه من قدرهم ومنزلتهم ٠

٤ ـ تأييد ولائه ووده لآل البيت قبل اسلامه ، وأعتبار هذا الولاء طريقا لاسلامه ، فهم هداته الذين اخذوا بيده الى الرشيد والهداية بعد ضلال وغوابة ٠

---

(٥٨) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٦٧ ٠
(٥٩) العمدة في الشعر ج ٢ ص ١٥١ ٠
(٦٠) ديوان مهيار ج ٢ ص ١٨١ ٠

٥ - تفتقد قصيدة مهيار أهم مميزات الشعر الشيعي وهي عواطف الحزن والغضب والاسى وما يتبع ذلك من تصوير لفاجعة تاريخية تهز الضمير وتملأ النفس غما وألما ، وتبقى صورة المأساة التي رددها شعر الشيعة دائما صورة نادرة في قصيدة مهيار •

٦ - مثلّت قصيدة مهيار الشيعية اتجاها متطرفا في مدح آل البيت وفي العرض لاعدائهم في نظر الشاعر ، والصورة هذه وان كانت تمثل العصر البويهي في غلوه وتطرفه فهي لا تخلو من تطرف شخصي عبر فيه الشاعر الفارسي الاصل المتعصب عن اتجاهاته الشخصية والشعوبية •

٧ - من الصعوبة ان نميز بين القصائد الشيعية التي قالها الشاعر قبل اسلامه وبعد اسلامه ، لولا اشارة الشاعر الى هذه الناحية في اغلب الاحيان ، وتكاد الصفة المميزة الوحيدة تبدو في السباب والتعرض بالاسماء الصريحة لصحابة الرسول ، اما افكار الشيعة ومصطلحات المذهب الامامي في التبرى من الاعداء والموالاة والنص على الامامة فهي قائمة في اغلب قصائد مهيار التي قالها قبل اسلامه وبعده ، مما يدل على ان الشاعر تزود بمعرفة مذهبية واسعة واطلع على اموره وحدوده في وقت مبكر •

ومهيار في عرضه لمناقب الامام علي لا يقدم جديدا في اسلوبه ، فهو يقلد اسلوبا عرف في شعر الشيعة ومثله السيد الحميرى بوضوح ، ونجد هذا النموذج في عرض المناقب في قول مهيار •

ان يحسدوكَ فَلِفرطِ عَجْزِهم في المُشكلاتِ ولما فيكَ كَمُلْ
الصنُو انت والوصيُّ دونَهم ووارثُ العِلم وصاحبُ الرسل
وآكلُ الطائرِ والطاردُ للصِلِ ومن كلمَّه قبلَك صِلْ
وخاصفُ النعل وذو الخاتَم والمنهلُ في يوم القَليب والمُعِل
وفاصل القضية العسراء في يومِ الحنين وهو حُكمٌ ما فَصَل

ورجعةُ الشمس عليك نبأٌ تَشعّبُ الألبابُ فيه وتَضِل[٦١]

والشاعر كما يبدو يعتمد على الروايات التاريخية التي تناقلها الشيعة في مناقب الامام علي وتؤكدها بالاحاديث المسندة ، فوراثة العلم تسند الى ما جاء عن الرسول قوله : « خازن سرى علي » وقوله « أنا مدينة العلم وعلي بابها » ، وأكل الطائر اشارة الى حادثة تروى عن أنس انه او غيره منع الامام عليا من دخول بيت الرسول ، وان الرسول قال : « اللهم آتني بأحب خلقك اليك يأكل معي هذا الطير »[٦٢] وتروى رواية الصل ان الامام عليا اخبر بوجود افعى في ثقب فكلمه وأخرجه ، ويقول ابن شهر آشوب عن امر الخاتم : ان الامة اجتمعت على ان قوله : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » جاء في تصدق الامام علي بخاتمه وهو راكع[٦٣] .

ويشير مهيار الى يوم القليب عندما اصاب المسلمين عطش شديد في يوم الحديبية ، واستطاع الامام ان يقاتل الجن ، ويأتي بالماء بعد رعب شديد ، كما اشار الشاعر الى ثبات الامام في حرب المسلمين مع هوازن ، والى قول الرسول

ويشير مهيار الى يوم القليب عندما اصاب المسلمين عطش شديد في يوم الحديبية ، واستطاع الامام ان يقاتل الجن ، ويأتي بالماء بعد رعب شديد ، كما اشار اشاعر الى ثبات الامام في حرب المسلمين مع هوازن ، والى قول الرسول
وهو يشير الى الامام علي الذى كان يخصف نعله : ان هذا سيقاتل على تأويل القرآن . اما رجعة الشمس فهي رواية يسندها ابن شهر آشوب عن الكليني وهي تقول : ان الشمس ردت مرتين للامام مرة في حياة الرسول وأخرى بعد موته[٦٤] .

---

(٦١) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ١١٥ .
(٦٢) مناقب آل ابي طالب ج ١ ص ٣١١ ، ج ٢ ص ١١٥ .
(٦٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٤ ، ٢٠٩ ، سورة المائدة (٥٤) .
(٦٤) مناقب آل ابي طالب ج ٢ ص ١١٤ ، ٢٤٤ .

وقد اعتبر مهيار هذا العرض التاريخي لمناقب الامام جزءاً من المحاججة في افضلية الامام علي وحقه في الخلافة ، ونجد صورة لها في قصيدة ثانية لمهيار يرثي فيها الحسين ويقول :

وانت وان دافعوك الأمامُ وكان ابوك برغم الانوف
لمن آيةُ البابِ يومَ اليهودِ ومن صاحبُ الجن يوم الخَسيف
ومن جمع الدين في يوم بدر واحدٍ بتفريق تلك الصفوف
وهدّمَ في الله اصنامهم بمرآ عيون عليها اعتقاد عكوف[٦٥]

اما العرض التاريخي لقضية الخلافة فيقوم على اساس اعتقاد الامامية القائل : « ان الرسول استخلف أمير المؤمنين في حياته ، ونص عليه بالامة بعد وفاته وان من دفع ذلك فقد دفع فرضا من الدين »[٦٦] ، ومهيار لم يكتف بالاشارة الى هذه القضايا ، وانما اعتبر نفسه رجل تاريخ يفسر حوادثه من خلال تعصبه وهواه .

وقد كرر مهيار ما تناقلته الشيعة حول بيعة الغدير ، وكيف ان الذين حضروا البيعة انكروها ، وامتدت اصابع اتهامه ليشمل قريشا واصحاب الرسول فهو يقول :

الا سلْ قريشاً ولُمْ منهمُ من استوْجبَ اللومَ او فنّدِ
وقل لهما بعد طُول الضلال لم تشكروا نعمةَ السيدِ
اتاكم على كَثْرةٍ فاستقامَ بكم جائرين عن المَقصدِ
فولى حميداً الى ربِه ومن سنّ ما سنّهُ يُحمدِ
وقد جعل الأمرَ من بعده لحيدرَ بالخبرِ لم المُسندِ
وسماه مولىً بأقرارِ مَنْ لو اتّبعَ الحقَ لم يَجْحَدِ
فملتُم به حسدَ الفضل عنه ومن ويكُ خير الورى يحسدِ

(٦٥) ديوان مهيار ط دار ج ٢ ص ٢٦٤ .
(٦٦) أوائل المقالات ص ١٠ .

وقلت بذاك قضى الاجتماعُ الا انما الحقُّ للمفردِ
يعزّ على هاشم والنبي تلاعُبُ تيمٍ بها او عدي[٦٧]

ومهيار يعتبر قضية الخلافة وحرمان الامام علي من توليها بعد الرسول سبباً في مقتل الحسين ، ويضع مسؤولية الفاجعة على كاهل الخلفاء الراشدين فهو يقول :

وما آل حرب جَنَوْا إنما اعادوا الظلالَ على من بُدي
سيعلمُ من فاطمٌ خصمُه بأى نِكالٍ غداً يرتدى

ومهيار في عرضه التاريخي يتجه الى التعرض للخلفاء الراشدين أكثر من تعرضه لآل امية ، ويتعصب تعصبا شديدا في اتهامه لصحابة الرسول ، وتبقى الصورة مكررة في اغلب القصائد ، ونجد مثالا لهذا التعصب وذلك الاغراض في قوله :

أللّه يا قومُ يقضي النبى مطاعا فيُعصى ُ وما غُسّسلا
ويوصي فنخرُص ُ دعوى عليه في تركه دينه مهملا
ويجتمعون على زعمهم وينبيك سعدا بما اشكلا
فيعُقبُ اجماعُهم ان يبيت مفضولهمُ يقدُمُ الأفضلا

ويقول في القصيدة نفسها :

اميةُ لابسةٌ عارَها وان خَفي الثأر او حُصّلا
فيوم السقيفةِ يا أبنَ النبي طرّقَ يومَك في كربلا
وغصبُ ابيك على حقه وأمك حسّن ان تُقتَلا[٦٨]

ومهيار ينفث احقاده على المجد العربي الاسلامي من خلال التشيع ، وتبقى هذه الفكرة شغله الشاغل ، ويعيدها في القصيدة نفسها فيقول مخاطبا الرسول :

---

(٦٧) ديوان مهيار ط دار جـ ١ ص ٢٩٩ ٠
نخرص : الكذب والافتراء ٠
(٦٨) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ٥٠ ، ما ذفتك : شابت ودها ٠

قضيت فأرمَضنا مــــا قضيتَ وشَرعُـك قــد تمّ واستكملا
فرامَ ابنُ عمــك فيمــا سننــــتَ ان يَتَقبّـلَ او يَمثُـــلا
فخانــك فيــه من الغادريـــــن مـن غيّـر الحــقَ او بـــدّلا
الى ان تحلت بهـــا « تيمُهـــا » وأضحت بنـو هاشـم عُطّـلا
ولمـا سـرى امـر تيمِ اطـــال بيتُ عَـدىّ لهـــا الأحبُــلا
ومدت « اميــةُ » اعناقَهـــا وقدهوّن الخطبُ واستُسهلا[٦٩]

وهذه النظرة التاريخية التي يمثلها مهيار في تطرفه تغيير عما يدور في مجالس العامة والخاصة من جدل وتعصب مذهبي ،، ووجد في مهيار معبرا صريحا مستغلا هذه القضايا استغلالا شنيعا في تعرضه للعرب ، مما يجعل فصل شعوبيته عن تشيعه امرا على جانب من الصعوبة •

ومهيار في الابيات السابقة يتعرض للغابرين على حد قوله ، ويشمل اتهامه الخلفاء الراشدين الثلاثة ، وفي قصائد اخرى يضع مهيار قريشا كلها موضع الاتهام ليقول مخاطبا الامام عليـا :

ما لقريش مـا ذقتَـكَ عهدَهـــا ودامجتْكَ ودَهـــا عـلى دَخـل
وطالبتـك عــن قــديم غِلّهـــا بعــد اخيك بالترات والذَحـل

مهيار يؤكد علاقته بآل البيت والشيعه بشكل قاطع وضيق اسلامه في قولــه :

تضمني مـن طرفي فـي حيلكـم مودةٌ شـاخت ودين تعتبـلْ
وكيف ضمّوا امرَهـم واجتمعوا فاستوزروا الرأى وانت مُنعَزِلْ
وليس فيهـم قـادحٌ بريبــة فيـك ولا قاضٍ عليـك بِوَهـل
ولا تُعَـدُّ بينهــم منقبـــةٌ الا لك التفصيلُ منهـا والجُمَل
ومـا لقــوم نافقــوا محمــداً عمر الحيـاة وبغـوا فيـه الغيل
وتابعـوه بقلـوب نــزل الفرقــا ن فيهـا ناطقــا بما نَـزَلْ[٧٠]

---

(٦٩) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٥١ •
(٧٠) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ١١٢ •

والشاعر يضع قريشا بعد اسلامها موضع الجاهلية ، ويعتبر موقفها من الامام علي موقفا جاهليا فيه ردة وخروج على الاسلام ، وهو في اسلوب المحاججة يبقى ملتزما بتطرفه وغلوه عندما يتعرض للخلفاء الراشدين ، ويتهمهم بالنفاق وضعف الايمان والردة[٧١] • ومهيار يعتبر هذا التعرض بالشتم دليلا على صحة اسلامه وتشيعه ، فهو يقول مناقشا ومجادلا :

وقائلٍ لي عليٌّ كان وارثَهُ ... بالنص منه فهل اعطَوْهُ ام منعوا ؟
فقلت كانت هناتٍ لست ذكرها ... يَجزي بها الله اقواماً بما صنعوا
ابلغ رجالا اذا سميتهم عرفوا ... لهم وجوهٌ من الشحناء تُمتَقَعُ
توافقوا وقناةُ الدين مائلةٌ ... فحين قامت تلاحَوْا فيه واقترعوا
اطاع اولهُم في الغدر ثانيَهم ... وجاء ثالثُهم يقفو ويتبّعُ
قفوا على نظر في الحق نفرضه ... والعقلُ يَفصلُ والمحجُوج ينقطع
بأي حكم بنوهُ يتبعونكُمُ ... وفخرُكم أنكم صَحْبٌ له تبع
وكيف ضاقتْ على الأهلين تُربَتُه ... وللأجانب من جنبيه مُضطَجعُ
وفيم سيّرتمُ الأجماع حُجتكم ... والناس ما أتفقوا طوعا ولا اجتمعوا
امرُ عليٍّ بعيدٌ عن مشورته ... مُستكرَهٌ فيه والعباسُ يمتَنِعُ
وتدعيه قريشٌ بالقرابة والأنصار لا ... رُفُعٌ فيه ولا وُضُعُ
فأى خَلَفٍ كخلفٍ كان بينكم ... لولا تُلَفِّقُ اخبارٌ وتُصطنَعُ
واسألهمُ يوم «خمٍ» بعدما عقدوا ... له الولاية لِمْ خانوا ولِمْ خلعوا[٧٢]

ومهيار في اسلوب عرض المناقب والمجادلة يجمع بين اسلوبين من اساليب الشعر الشيعي مثل اولهما السيد الحميرى ، ومثل الثاني الكميت في هاشماته ، الا ان مهيار لن يوفق في اسلوب المجادلة ، ولم يحفظ لها المستوى الفكرى العالي للذى نجده في شعر الكميت ، كما تطرف في عرض المناقب مغالاة وغلواً ومثل

---

(٧١) المصدر نفسه ـ القصيدة ج ٣ ص ١١٢ وما بعدها •
(٧٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٨٣ ، في مخطوطة الديوان يفرضه بدل نفرضه ، بعيد عنه شورته بدل بعيد عن مشورته ، وممتنع بدل يمتنع •

في الجدل انحدارا فكريا في الفاظه واتهاماته وتطرفه ٠

وتطرف مهيار هذا فيه شعوبية الفارسي الحاقد رغم ما يدعي مهيار من تطرف شيعي مصطنع ، فمهيار الشيعى المتطرف كما قلت لم يستطع ان يلتفت الى مأساة العلويين في عهد العباسيين رغم كثرة الفواجع ، وانما انصرف الى الحكم العربي الاسلامي الذى قوض امجاد الفرس طاعنا ومتهما ، وليقول بعد ذلك في احدى قصائده الشعوبية ان الفرس احق بالعرب بالحكم والسلطان ٠

اما التقاليد الاخرى التي ثبتها مهيار في قصيدة التشيع فهي تتمثل في تأكيد الود لآل البيت واعتبار حبه لهم السبب الاساس في اسلامه وتشيعه فهو يقول :

يا هُداةَ الدين والنجوةَ في يوم الهلاك
بكم استدللتُ في حَيْرةِ امرى وارتباكي
اظلم الشك وكنتم لي مصابيح المشاكي(٧٣)

ويقول في قصيدة اخرى :

ركبت لكم لُقمي فاستننت وكنت اخابطُه مَجهَلا
وفُكَّ من الشرك اسرى وكان غُلاًّ على منكبي مُقْفَلا
اواليكم ما جرت مزنة وما اصطخب الرعد او جلجلا
وابرأ ممن يعاديكمُ فان البراءةَ اصلُ الولا
ومولاكم لا يخاف العقاب فكونوا له في غد موئلا(٧٤)

ومهيار في هذه الابيات يؤكد على ان تشيعه كان طريقا الى اسلامه وهو يصطنع الالفاظ الشيعية الامامية في الولاء والتبري تأكيدا لتشيعه كما يرى في السب واللعن طريق نجاة يجد فيه الشفاعة ، لذلك فهو لا يلتفت الى اعدائه الذين ينكرون عليه هذا الموقف المتطرف ٠

(٧٣) ديوان مهيار ط دار ج ٢ ص ٣٧٠ ٠
(٧٤) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ٥٢ ٠

ويبدو لنا من هذا العرض لشعر مهيار الشيعي ان الباحث يستطيع ان يؤكد على عدم جدية تشيع مهيار وغلبة شعوبيته على تشيعه ، كما ان القصيدة الشيعية عند مهيار لا تمثل في محتواها فتحا جديدا في شعر التشيع ، فهي تكرار واضح وجمع لاسلوبي القصيدة الشيعية في المناقب والمحاججة وهي فنيا لم تحقق نجاحا شبيها بنجاح مهيار في بعض قصائد الرثاء •

وهذه القصيدة تفتقد عنصر العاطفة الصادقة وملامح الحزن والاسى والغضب ، الا انها تبقى صورة نادرة المثال لشاعر فارسي متشيع ، وهي في الوقت نفسه مثال صريح لقصيدة التشيع المخصصة للمناسبات والبعيدة في محتواها عن الشعر في ملامحه السياسية التي عرف بها في عصر بني العباس •

الفصل السابع

الشعوبية في شعر مهيار

مقدمة في الشعوبية وشعرائها :

تَطَوَّرَ مفهوم الشعوبية سعة وشمولا عبر تاريخيا الطويل ، وقد اطلقت لفظة شعوب على العجم والقبائل على العرب ، « وقال ابن الكلبي : الشعب اكبر من القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ••• وقال غيره الشعوب العجم والقبائل العرب »[1] ، وقد غلبت لفظة الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر أمر العرب شعوبي وأصبح الشعوبي الذى يصغر أمر العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم[2] •

ويبدو ان وضع بداية لنشأة الشعوبية أمر على غاية من الصعوبة ، وقد حاول بعض الباحثين اعتبار مقتل الخليفة عمر على يد ابي لؤلؤ المجوسي اول عمل يقوم به الفرس معبرين عن نقمتهم كشعب غلب على امره على يد الاسلام ، ومثل هذا العمل انتقاما من العرب في شخصية عمر الخليفة العربي الذى قوض دولة الاكاسرة[3] •

الا ان عمل ابي لؤلؤ يغلب عليه الطابع الفردى أكثر من كونه عملا موجها يمثل تيارا شعوبيا ، وقد بدأت الشعوبية واضحة في الفترة الاموية الاخيرة واندفعت بقوة في العصر العباسي « وقد ظهرت الحركة في العصر الاموى في اطار الاسلام حين دعت الى مساواة الشعوب الاخرى بالعرب في الادارة والمجتمع ثم انكشفت اهدافها الحقيقية في العصر العباسي »[4] •

وقد استطاع المختار ان يجمع كثيرا من الموالي في ثورته التي قامت في عصر بني امية تحت راية التشيع وطلب ثأر الحسين ، وكان سخط الموالي مظهرا واضحا فيها ، ويقول احد المؤرخين المستشرقين في هذا الامر : ومما

---

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٣٥ •
(٢) لسان العرب طبعة بيروت انظر مادة شعب •
(٣) الصراع بين الموالي والعرب ــ بديع شريف ط دار الكتاب العربي مصر ٩٥٤ ص ٣٠ـ٣١ مويدا رأي المستشرق فلهاوزن •
(٤) الجذور التاريخية للشعوبية ــ الدكتور عبدالعزيز الدورى ط دار الطليعة ــ بيروت ٩٦٢ ص ٩ •

ندهش له نقص العرب الذين اشتركوا في تلك الثورة نقصا مطردا بقدر ما كان يزيد عدد الموالي الذين استمالهم اليه زعيم الثورة[٥] ، وكان الموالي ينشدون في الظاهر العودة الى المساواة بين الشعوب في ظل الاسلام ، ويعبرون في الوقت نفسه عن كراهيتهم للحكومة والسيطرة العربية •

ويظهر ان حركة الموالي وعلى رأسهم الفرس لم يكن اساسها العامل الاقتصادي فحسب ، فقد تحققت لهم في العصر العباسي كثير من المساواة والاشتراك في الادارة والوزارة الا ان ذلك قوى حركتهم ووسعها وأصبحت اكثر جرأة وقوة[٦] ، وظهرت الحركة الشعوبية حركة ترمي الى تقويض مجد العرب واعادة امجاد الاكاسرة من جديد •

وكان الشعر من الوسائل التي اعتمدها الشعراء الشعوبيين في التعبير عن نزعاتهم ، وتجد بوادر هذه الظاهرة في شعر اسماعيل بن يسار النسائي الذى قيل عنه : « انه كان شعوبيا شديد التعصب على العرب وله شعر كثير يفخر فيه بالاعاجم »[٧] ، وقد انشد في حضرة الخليفة الاموى هشام بن عبدالملك قصيدته التي يقول فيها :

اصلي كريم ومجدى لا يقاس بـه ... ولي لسان كحد السيف مسمومُ
احمي به مجد اقوام ذوى حسب ... من كل قرمٍ بتاج الملك معمومِ
من مثلُ كسرى وسابور الملوك معا ... «والهرمزان» لفخر او لتعظيم
اسدُ الكتائب يوم الرَوْع ان زَحفوا ... وهم اذلّوا ملوكَ الترك والرومِ

وقد غضب هشام لذلك وقال غطوه في الماء فغطوه حتى كادت نفسه تخرج ثم امر بأخراجه ، واخرج عن الرصافة منفيا الى الحجاز[٨]

ويبدو لنا من هذه الحادثة ان الاصوات الشعوبية كانت تختنق قبل ان

---

(٥) السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ص ٤٠ •
(٦) الجذور التاريخية للشعوبية ص ١٩ •
(٧) الاغاني طبعة ساسي جـ ٤ ص ١٢٠ •
(٨) المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٢٤ •

ترتفع عاليا في ظل الحكم العربي الاموى الذى احتفظ بأصوله العربية متعصبا شديدا على الكائدين .

الا ان هذا الحكم لم يكتب له طول البقاء ، « وقامت الدولة العباسية على اثر دعاية سرية واسعة اتخذت من حق بني هاشم في الخلافة صيحتها ومن الوعد بتحسين اوضاع الموالي اجتماعيا وسياسيا ومساواتهم بالعرب برنامجها الاجتماعي »[٩] وكان صدى الدعوى واسعا لدى الفرس المتذمرين الساقطين على حكم بني امية الطامحين الى اعادة مجدهم المضاع والقضاء على الحكم العربي .

وقد حقق الفرس في ظل بني العباس كثيرا من طموحهم ، وتقدموا الى مراكز الخلافة والوزارة والادارة وقيادة الجيش ، وقامت خلافة بني العباس تحمل في مظاهرها تقاليد الفرس في نظام الحكم واصوله ، واصبح من خصائص هذا العصر قوة النفوذ الفارسي وضعف النفوذ العربي ، وكان انتصار المأمون على الامين يمثل في حقيقته نجاحا واسعا للعناصر الفارسية في تحقيق طموحهما[١٠] .

وقد اوضح احد رجالات العرب طبيعة الاتجاهات الفارسية في ظل المأمون في رده على الوزير الفضل بن سهل الفارسي في حضرة المأمون عندما حسن هذا الوزير الفارسي للخليفة نقل الخلافة للعلويين وقال له : « انك تريد ان تزيل الملك عن بني العباس الى ولد علي ثم تحتال عليهم ثم تصير كسروياً »[١١] .

وقد وضحت الحركة الشعوبية بين رجال الحكم من الفرس في صراعهم مع الوزراء العرب ، كما كان طموح الوزراء البرامكة واسعة حين جهدوا ليوسعوا طبقة الكتاب وليؤكدوا اهميتها ، كما اعتبروا انفسهم حملة التراث الحضارى الايراني ورسل الثقافة الفارسية[١٢] .

---

(٩) دراسات في العصور العباسية المتأخرة ـ الدكتور عبدالعزيز الدورى ص ١٠.
(١٠) تاريخ الاسلام السياسي ط ٢ ـ ج ٢ ص ٩٠ .
(١١) ضحى الاسلام ج ١ ص ٤٦ ، وانظر الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٣١٣.
(١٢) الجذور التاريخية للشعوبية ص ٤٨ .

وقد عمل الوزراء البرامكة على تنشيط حركة الترجمة عن الفهلوية الى العربية في الادب والتاريخ ، وتبنوا العناصر الفارسية المتطرفة كسهل بن هارون الذى كان من اعلام الشعوبية ومن المندفعين في كره العرب .

ويؤكد الاستاذ احمد امين سلامة هذا الرأى في قوله « ان الشعوبية لم تكن في السفلة وحدهم ، وهؤلاء السفلة لم يكونوا الآخذين برقابها وانما كان معهم كثير من الطبقة المتعلمة الراقية ، وان لم يرق نسبها الى الملوك والاشراف ، وهؤلاء هم الذين لهم الاثر الشعوبي فى الادب والعلم ، ومن وراء هؤلاء طبقة بلغت اعلى المناصب في الدولة»(١٣) .

ويبدو لنا ان الحرية الواسعة هيأت الجو المناسب لنشاط شعوبي ظاهر بالشعر والادب والعلم والسياسة ، وقد افتتح بشار بن برد باب الشعر الشعوبي على مصراعيه ليساهم في النشاط الشعوبي في ظل الزندقة وتزوير الثقافة والفكر والاستتار في ظل المذاهب الاسلامية ليتطاول على العرب .

وشعوبية بشار تؤكد صدق النظرة القائلة : ان دعاة الشعوبية بدؤا دعوتهم مستندين على تعاليم الاسلام في المساواة ، وتدرجوا بعد ذلك الى تحقير العرب كما اتخذوا من الزندقة والالحاد اسلوبا من اساليب الهدم(١٤) ، وقد عرف عن بشار انه كان شعوبيا يدين بالرجعة ويكفر الامة ويصوب رأى ابليس في تقديم النار على الطين(١٥) .

وتبدو شعوبية بشار في دعوة الفرس الى نبذ الولاء للعرب كما في قوله :

اصبحت مولى ذى الجلالِ وبعُضهم   مولى العُريبِ فَخذْ بفضلك فأفخرِ
مولاكَ اكرم من تميمٍ كلها   اهل الفعال ومن قريش المُشعر
فارجِع الى مولاك غيرَ مدافع   سبحانَ مولاك الأجلِ الأكبر(١٦)

---

(١٣) ضحى الاسلام ج ١ ص ٦٤ .
(١٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٥٩ .
(١٥) اغاني طبعة ساسي ج ٣ ص ٢٤ .
(١٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢ .

وبشار يفتخر على العرب ويقلل من شأنهم في قوله :

سأخبر فاخر الأعراب عني وعنه حين تأذَنُ بالفُخارِ
انا ابن الأكرمين ابا وأما تنازعني المرازبُ من طَخارِ

ويقول فيها :

احين كسيتَ بعد العُري خَزاً ونادمت الكرامِ على العُقارِ
تفاخر يا ابنَ راعيةٍ وراعٍ بني الاحرار حسبُكَ من خَسارِ (١٧)

واذا كان بشار قد عبر عن الشعوبية في دعوته الى نبذ الولاء ، والافتخار على العرب والحط من قدرهم فان ابا نؤاس اعتبر الهجوم على التقاليد الفنية للقصيدة العربية تعبيرا عن شعوبيته ، فهو « يذم القديم لا لانه » قديم بل لانه قديم وعربي ويمدح الحديث لا لانه حديث بل لانه حديث وفارسي ، فهو اذن يذهب مذهب تفضيل الفرس على العرب مذهب الشعوبية المشهور »(١٨) . وابو نؤاس في كلفه بالحضارة لا ينسى الامجاد الكسروية بعد شتم العرب والسخرية منهم فهو يقول :

فهذا العيش لا خيم البوادى وهذا العيش لا اللبن الحليبُ
فاين البدو من ايوان كسرى واين من الميادين الزروب(١٩)

وتبدو النزعة الشعوبية في الشعر واضحة في القرن الثالث للهجرة ، رغم ان الخلفاء العباسيين تعصبوا للاسلام ، وحاربوا الزندقة ، الا انهم لم يقفوا موقفا شديدا من هذا الاتجاه الشعوبي في الشعر وغير الشعر ، وقد استطاع الشاعر ابو يعقوب اسحاق الغريمي ان يفتخر على العرب باسم الاسلام قائلا :

وان ابي ساسان كسرى بن هُرمُزٍ وخاقان لي لو تعلمين نسيبُ

---

(١٧) الاغاني طبعة ساسي ج ٣ ص ٤ .
(١٨) حديث الاربعاء ـ الدكتور طه حسين دار المعارف ٩٥١ ج ٢ ص ٩٠ .
(١٩) مظاهر الشعوبية في الادب العربي ـ دكتور محمد نبيه حجاب نهضة مصر ١٩٦١ ص ٢٩٨ .

ملكنا رقاب الناس في الشرق كلهم — لنا تابع طوع القياد جنيب
نسومكمو خسفا ونقضي عليكم — بما شاء منا مخطيء ومصيب
فلما اتى الاسلام وانشرحت له — صدور به نحو الانام تنيب
تبعنا رسول الله حتى كأنما — سماء علينا بالرجال تصوب[20]

وفي شعر نديم المتوكل وكاتبه ابراهيم بن اسحاق المتوكلي فخر صريح بأمجاد الفرس وطلب الثار ، وتعرض للهاشميين طالبا منهم العودة الى الحجاز وترك سرير الملك فهو يقول :

انا ابن الاكارم من نسل جَمّ — وحائزُ ارثِ ملوكِ العجمْ
ومحي الذى باد من عزهم — وعفىّ عليه طِوالُ القدم
وطالبُ اوتارِهم جَهْرةً — فمن نام عن حقهم لم أنم

يقول فيها لبني هاشم :

ملكناهم عَنْوةً بالرماح طعناً وضرباً بسيف خَذِم
وأولاكم الملكَ آباؤنا — فما ان وفيتم بشكر النعم
فعودوا الى ارضكم بالحجاز — لأكل الضبابِ ورعي الغنم
فاني سأعلو سرير الملوك بحد الحسام وحرف القلم[21]

وقد تميز القرن الرابع للهجرة بأنتصار النفوذ الفارسي على مستوى الحكم والسلطان والمجتمع ، واصبح الامير البويهي الحاكم الفعلي ببغداد وفي غيرها من بلدان الخلافة العباسية ، وانتشرت الامارات الفارسية في ايران وهي تعمل على احياء امجاد الفرس وتقاليدهم وآدابهم .

وكان نمو الادب الفارسي واسعا في هذا العصر ، بعد ان اصبح احياء الثقافة الايرانية تعبيرا عن طموح الفرس القومي ، ورغم ضعف الشعر الفارسي في ظل

---

(٢٠) مظاهر الشعوبية ص ٣٠٦ ، وقد اشار المؤلف الى فارسية الشاعر وفي طبقات الشعراء ــ ابن المعتز ص ٢٩٣ قيل عن الشاعر انه من نسل الاتراك .
(٢١) معجم الادباء جـ ٢ ص ١٦ ــ ١٨ .

بني بويه الذين حافظوا على علاقاتهم بالخليفة العربي وبالثقافة العربية ، فان بلاط الصاحب بن عباد شهد شعراء من الفرس ينشدون مديحهم باللغة الفارسية ، وقد عرف عن الشاعر منصور بن علي الرازى الملقب بالمنطقة انه كان مقربا من الصاحب وقد قال في مدحه القصائد الفارسية ، كما مدح ابو بكر محمد بن علي السرخسي الملقب بالخسروى الحاكم الفارسي قابوس بن وشمكير[٢٢] .

وكانت الدولة السامانية الارض الصالحة للنهضة الفارسية ، واليها يرجع الفضل في احياء اللغة الفارسية والنهوض بآدابها بجانب الادب العربي ، وقد جمعت سياسة السامانيين بين النزعة الايرانية والاحتفاظ بالاسلام ونتجت عن ذلك ثقافة خاصة يسميها الباحثون الفرس بالثقافة الاسلامية الايرانية[٢٣] .

وفي ظل هذا النشاط القومي الفارسي على مستوى الثقافة والحكم وجد الشعر الشعوبي تربة صالحة للازدهار وللتعبير عن المطامح والاحقاد ، وشهد عصر بني بويه نشاطا لشعراء الشعوبية .

لقد كان الشاعر الشعوبي فيما سبق يشكو امجاده الضائعة وعروشه المحطمة، وقدر للشاعر العربي في القرن الرابع للهجرة ان يضج بالالم والشكوى والحسرة على ضياع المجد العربي والعزة العربية فيقول ابو الطيب المتنبي :

وانما الناس بالملوك وما	تُصلَحُ عربٌ ملوكُها عَجَمُ
لا أدبٌ عندهم ولا حَسَبٌ	ولا عهودٌ لهم ولا ذِمَمُ
في كل ارض وطِئتُها امَمٌ	تُرعى بعبدٍ كأنها غنمُ[٢٤]

وابو الطيب عندما يستشرف انصار العروبة وبلدان الخلافة العباسية لا يجد الا اميرا فارسيا او وزيرا او قائدا يفخر بعرقه الفارسي ونسبه الكسرى الاصيل.

(٢٢) تاريخ الادب في ايران ص ١٠٩ ، وفي معجم الادباء جـ ٦ ص ٢٦٣ اشارة الى عدد القصائد التي مدح بها الصاحب .

(٢٣) محاضرات عن الشعر الفارسي والحضارة الاسلامية ـ الدكتور علي أكبر نياط ص ١٥ .

(٢٤) ديوان المتنبي تحقيق عزام ص ٨٤ .

وقد اضطر هذا الشاعر ان يخضع لقيم العصر وتقاليده ، وان يمدح امراء الفرس ووزراءهم ويشيد بأعيادهم وألقابهم[٢٥] •

ولم يكن المتنبي الشاعر العربي الوحيد الذى اشاد بالفرس وأمجادهم فقد اصبحت التهاني بأعياد الفرس رسوما تقليدية يشارك فيها الشعراء العرب لتقديم التهاني لامراء بني بويه وغيرهم ، وكان الشريف الرضي يقدم التهاني للخليفة العباسي والامير البويهي في اعياد النيروز والمهرجان ، كما يقدمها في الاعياد الاسلامية[٢٦] •

وليلة السذق التي تعتبر تجديدا للرسوم الفارسية القديمة اعتاد العرب المسلمون ان يساهموا بمهرجاناتها • ويقول الاستاذ آدم متز في هذه المشاركة: « وكان المسلمون يحتفلون ايضا بليلة الوقود التي تعرف بالسذق ، وجرت العادة في القرن الرابع للهجرة بالتبخير ليلة الوقود لدفع المضرة ، وصار في رسوم الملك ايقاد النيران وتأجيجها »[٢٧] ، وكان صداها شعرا وتهاني ووصفا لهذه المناسبة في شعر الشعراء امثال ابن نباته السعدى والسلامي وغيرهما[٢٨] •

وكانت الاتجاهات الشعوبية الشعرية حرة في التعبير عن اغراضها ، وقد توفرت لها الحرية واصبح الدين الرادع الوحيد في الوقوف في وجه التطرف الذى ساد هذه النزعة وبقي شعراء الشعوبية يتسترون بأسمه في هجومهم على العرب والدعوة الى امجادهم ، ونجد هذا الافتخار بالنسب الفارسي بشكل واضح في قول الشاعر محمد بن الحسن ابي سعيد الرستمي من شعراء الصاحب بن عباد فهو يقول مفتخرا :

اذا نسبوني كنت من آل رستم   ولكن شعرى في لؤى بن غالب[٢٩]

(٢٥) المصدر نفسه ص ٥٤٢ ، ٥٥٢ •
(٢٦) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد ١ ص ٤٩ ، ٥٧ ومجلد ٢ ص ١٣٥ ـ ١٤٥ •
(٢٧) الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٨١ـ٢٨٢ •
(٢٨) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٣٩١ ، ٤١٥ ، ٤١٦ •
(٢٩) يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٠٠ •

وقوله في مدح الصاحب بن عباد :

انا من قـد عرفت سـرا وجهـرا   عجمـي نمـا بـه التعـريب
ليت شـعرى اذا دعيت شـعارى   نسـبي واضـح وعـودى صليب
أنا للصاحـب الخليـل ابي القاسـم مـولـى وخـادم وربيـب[٣٠]

ونجد في عصر بني بويه صورة فيها تجديد لاساليب ابي نؤاس الشعوبية في الدعوة الى نبذ حياة البداوة والافتخار بالمجد الفارسي ، كما يبدو في قـول ابي القاسم الزعفراني يمدح الامير البويهي فخر الدولة .

لا أتبع الاعراب ان هـم قوضـوا   من مَجْهَل حتى احطّ بمجهـل
وصرير ُ ارجـاء السـرير بمسمعي   احلى بقلبـي من صرير ِ المحمـل
فالكرخ ِ دار اللهو اعذب مَشْرَعا   من مَشرَع يختص دارة جلجـل
لا دَرّ دَرُّ العيش ِ في مُتَربَـع ِ   بمخيـم بيـن الدخـول فحومـل
والعيش عندى ما حييت ُ بُبِـرّه   في ظل مغشي الجنـاب مؤمـل
قـد القت الدنيـا ازمتهـا الى   ملك الملوك علي بن ابي علي[٣١]

وماذا يريد الشاعر الفارسي الشعوبي من أهل الصحراء ، والجالس عـلى سرير الملك فارسي الاصل يضرب بنسبة الى كسرى ، والامجاد الكسروية تملأ الآفاق والدنيا خاضعة مطواعة لملك الملوك الامير البويهي العظيم .

ولعل اظهر صورة للشعوبية المنظمة التي تمثل عصر بنـي بويـه صـورة الشعوبية في شعر مهيار الديلمي ، فهو اكثر شعرائها اندفاعا والتزاما ، وتكـاد تكون شغله الشاغل في فنون شعره ، يعيشها في مديحه ورثائه كما يعيشها فـي تشيعه وفخره ، ولا عجب اذا جاء شعره معبرا عنها في مختلف فنونه واغراضه .

(٣٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٠٦ .
(٣١) يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٤٥ .

شعوبية مهيار في شعره :

شعوبية مهيار في شعره ليست تهمة باطلة ، ولانـزوة شاعر يثار ويطعـن في نسبه فينتفض ثائرا مفتخرا بأمجاد الكسرويـة مفتريا عـلى العرب والاسـلام افتقد مهيار من يدافع عنه وينفي شعوبيته المتطرفة •

وقد حاول احد الكتاب مدفوعا بعاطفة التشيع ان يدفع تهمة الشعوبية عـن مهيار ويعتبرها رحلة تنتهي بأسلامه ، وقد تقبل مفاخر مهيار بكسرويته وقـال : ولا « لدي من الشعوبية ايضا ذم الفارسي طائفة من العـرب ان يفخـر فلمـاذا لا يسوغ لشريف الفرس[٣٢] •

وسيكون ردنا على الباحث في عرضنا لشعر مهيار الشعوبي ، الا اننا نستطيع ان نؤكد ان شعراء الشعوبية في تاريخهم الطويل لم يفتخروا بعنصرهم الفارسي لمجرد الافتخار ، وانما افتخروا لتأكيد تعاليهم عـلى العرب ، كمـا ان التعرض للعرب قد توسع عند مهيار بشكل واسع ليمثل دعوة صريحة لاسـتعادة المجـد الفارسي وهذا ما سنراه واضحا في دراستنا التفصيلية •

والذين كتبوا عن شعوبية مهيار اعتبروا تهانيه بالمهرجان والنيروز مـن مظاهر الشعوبية ودلائلها[٣٣] ، وقال المرحوم الاستاذ احمد امين مثل هذا الرأى واكـد شعوبية مهيار في قوله : « وقد تعصب بعض شعراء الفرس في ذلك العهد لفارسيتهم ومن اشهر هؤلاء مهيار الديلمي فنرى ديوانه قد مليء بالتهنئة بيـوم النيروز ويوم المهرجان وبمراسلة بعض البويهيين للقدوم الى بغـداد والاسـتيلاء عليهـا »[٣٤] •

وقد قلت فيما سبق ان تهاني النيروز والمهرجان ليست مظهرا شعوبيا فـي عصر بني بويه ، بل هي مظهر فارسي ساهم فيه الشعراء العرب والفرس بحـكم

---

(٣٢) على هامش الشعوبية في القرن الثاني والثالث للهجرة ـ مقـال للشـيخ عبدالحسين الحلي ـ مجلة الاعتدال العدد ١٠ سنة ١٩٣٦ •
(٣٣) الادب في ظل بني بويه ص ١٥٧ •
(٣٤) ظهر الاسلام ج ١ ص ٥٥ •

تأثير التقاليد الفارسية ، اما دعوة مهيار ومراسلته للبويهيين للاستيلاء على بغداد فهذا غير واقع في ديوانه ، ويبدوا ان الاستاذ احمد امين تصور مراسلة مهيار للوزراء وتمنياته لهم بالعودة الى الوزارة دعوة للاستيلاء على بغداد .

وشعوبية مهيار لم تنته بأسلامه كما توهم بعض المدافعين عن مهيار ولكنها تطورت واخذت شكلا جديد املائها لوضع الشاعر الجديد ، وقد قلت سابقا ان التشيع والشعوبية اختلطا في شعر مهيار الى حد بعيد . وقد وجد الشاعر في تشيعه مجالا واسعا للتعبير عن احقاده الشعوبية ، وهذا ما سنجده واضحا في دراستنا مهيار من خلال الدين والتشيع .

شعوبية مهيار من خلال الدين والتشيع :

كان استغلال الدين ودعوته الى المساواة من اوائل الشعارات التي رفعتها الشعوبية في مطالبتها بحقوقه ، « فدعاة الشعوبية بدأوا دعوتهم مستندين على تعاليم الاسلام نفسه »[٣٥] ، وقد عرفت الشعوبية كيف تستغل هذه الناحية ، فهي تبدأ من التهجم على العرب الى مهاجمة العربية وتنتهي بالهجوم على الاسلام ، فكأنها عملية هدم للاسلام من داخله[٣٦] .

وكان مهيار فطنا في استغلال هذه الناحية في عصر التشيع والتعصب الطائفي ووضع قصيدته على هذا الاسلوب مستغلا نواحي الدين شعارا يحتمي به ويخفي حقيقة احقاده ، وقد وضع مهيار تاريخا لاحدى قصائده الشعوبية يشير الى انه نظمها قبل اسلامها وهذا التاريخ حجة لنا على تطور شعوبية مهيار .

وتقول مقدمة هذه القصيدة : « قال يفخر بالفرس ويذكر سبقهم بالملك والسياسية وتفردهم بالعدل والعمارة ويصف بعض العرب بخمول الفكر وقشف المعيشة قبل مبعث انبي »[٣٧] وقد بدأ مهيار قصيدته بالبكاء على بني ساسان وأمجادهم مؤكدا عدلهم وحسن سيرتهم كما يظهر في قوله :

---

(٣٥) ضحى الاسلام جـ ١ ص ٥٩ .
(٣٦) الجذور التاريخية للشعوبية ص ٧٥ .
(٣٧) ديوان مهيار طـ دار جـ ٣ ص ٣٣٣ .

من فَرَسَ الباطلَ بالحقِ ومن … أرْغمَ المظلومِ انف الظالم
الا بنو ساسانَ او جدودُهم … طِرْ بخوافيهم وبالقوادم
ايهُمُ ابكي دماً فكلهُم … يَحِلُ عن دموعي السواجم
كمجَذَبَتْ ذكراهم منجَلَدِي … جَذْبَ الفريقِ من فؤاد الهائم
لا غرو والدنيا بهم طابت اذا … لم تَحْلُ يوماً بعدهم لطاعم(٣٨)

فبنو ساسان هم اقل المجد ، وبهم يستطيع مهيار ان يسمو ويتيه فخرا ، وهو بعد ذهابهم لن تستطيع دموعه ان تطفيء ما في اعماقه من حنين للمجد الفارسي العريق ، فالدنيا لن تحلو بعدهم • ومهيار يقول هذا القول في ظل بني بويه الفرس ، ولا يجد سلوة بهم ولا يتوسم فيهم ما يتوسم بأبناء كسرى من اعادة للمجد الساساني المضاع •

ويعترف مهيار بالاسلام وارتفاع كلمة العرب بالرسول العظيم فيقول :

ما برحتْ مظلمةٌ دنياكم … حتى اضاء كوكبٌ من هاشم
بنتم بْهِ وكنتم من قبلِه … سرا يموت في ضلوعِ كاتم

ثم يقول ان العرب غير جديرين بصاحب الرسالة لانهم نقضوا عهوده :

نقضتم عهودَه في اهله … وحُلْتُمْ عن سُننِ المراسم
وقد شَهِدتُم مقتلَ ابنِ عمهِ … خيرَ مُصلٍ بعدَه وصائم
وما استحلّ باغيا امامكُم … يزيدُ بالطفِ من ابن فاطم
وها الى اليوم الظبا خاضبةٌ … من دمه مناسرَ القشاعم
والفرس لما اعتلقوا بدينه … لم تنل العُروَةَ كفُ قاصم
فمن اذن اجدر ان يملكها … موقوفةٌ على النعيم الدائم
لابدَ يوما ان تُقالَ عثرةٌ … من سابقٍ او هَفوةٌ من حازم(٣٩)

كان مهيار غريبا عن الاسلام بعيداً عن اهله وتاريخه ، ولكنه وجد ان

---

(٣٨) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٣٤ •
(٣٩) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ٣٣٥ـ٣٣٦ •

التعرض للعرب في ديارهم لن يكون مشروعا اذا لم يتستر بستار التشيع وسولت له نفسه ان يطالب بالمجد الفارسي ، وان تعاد الكسروية بأسم الاسلام وهو مازال على دين آبائه المجوس •

وعندما اسلم مهيار بقي غريبا عن الاسلام ، وأشار الى ان وده بهذا الدين ولاهله ود شريف لشريف وكريم أحب اكرمين وبقي النسب الفارسي نـــدا لاســـلامه :

آباى مـــن فارس والدين دينـــكم حقا لقد طاب لي أسٌ ومُرتَبعُ

اما تعرضه لقريش فقد بقي قائما بعد استسلامه متهما رجالها بالجاهليـة وهم المسلمون الاوائل وصحابة الرسول ، وقد ركز الاتهام على الخلفاء الراشدين وتناول الشيخين ابا بكر وعمر ووصفهما بالغدر ، وهو في هذا التطرف يمثـــل استمراراً لشعوبيته التي سبقت اسلامه ، وظهرت في قصيدته التي ذكرناهـا[٤٠] وسنجد مهيار بعد ذلك ملتزما بالشعوبية في اشكالها الاخـرى كثير الحنين الى امجاد الفرس شاعرا بالغربة في بغداد •

الفخر بالمجد الفارسي :

يقوم فخر مهيار المجد الفارسي على اساس انتسابـه الى ملـوك العجـم وقد مـد الشاعر نسبة الى آل ساسان ، وهو في الواقع مظهر شعوبي عام التزمـه شعراء الشعوبية امثال بشار وابي نؤاس والخريمي ، وقد ذهب بعض الكتـاب مدى بعيدا في الغلو واعتبروا مهيار كسرويا اصيلا لمجرد ادعائـه هـذا النسب الفارسي العريق[٤١] •

ومهيار بكونه ديلميا ينفي عن نفسه الانتساب الى ملوك ساسان ، فالمؤرخون الذين نسبوا بني بويه الى بني ساسان أكدوا عدم علاقة البويهيين بالديلم لتثبيت نسبهم الكسرى ، وأشاروا الى انهم نسبوا للديلم حيث طال مقامهـم ببلدهـم

---

(٤٠) راجع البحث ــ فصل التشيع في شعر مهيار •
(٤١) الغدير جـ ٣ ص ٣٣٩ •

وجاوروهم[٤٢] ، ومهيار بنسبه الديلمي بعيد عن النسب الفارسي العريق ، ويبدوا ان ادعاء النسب الكسروي جزء من شعوبية الشاعر فهو يقول مفتخرا :

لا تخالي نسبا يخفضني انا من يرضيك عند النسب
قومي استولوا على الدهر فتى ومشوا فوق رؤس الحقب
عمموا بالشمس هاماتهم وبنوا ابياتهم بالشهب
وأبى كسرى على ايوانه اين في الناس اب مثل ابي[٤٣]

وعندما يتألم مهيار على اصدقائه الذين يفتقدهم يؤكد أن هؤلاء اصحاب نسب كسروى عريق ، فهم يشاركونه « في ارستقراطيته » الفارسية كما يبدو في قوله :

اخوتي من بني الوفاء ورهطي يوم اغزو الملوك من آل كسرى
غادروني فردا ومرّوا مع الأيام والحظ بعدهم أن أمرا
اتشكى القذى بمقلة حيران عليم الى ضلوع حرّى
ليت شعري بمن أعوض عنكم يوم آبى ضيما وأدفع عسْرا[٤٤]

وقد اعتبر مهيار الامجاد الفارسية اعظم الامجاد ، كما اعتبر النسب الفارسي خير نسب ، والتربة التي احتضنته ازكى تربة ، وعبر مهيار عن هذه العواطف بصراحة في قصيدته التي مدح فيها الرئيس كامل بن مهدي الفارسي الاصل وقال :

اقْحَطتْ أوجهُ البلادِ وَمن حَوْلِك للخصْبِ روضة وغديرُ
فالى بابِكَ الحوائجُ تحَدو ولك العِيرُ في الفلا والنفيرُ
عادةٌ من ورائها شافعُ النفس وأصلٌ بفرعه منصورَ
واكتسابٌ اعانه شَرَفُ الميراثِ والمجدُ اولٌ وأخيرٌ

---

(٤٢) الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٢٣٠ والبداية والنهاية جـ ١١ ص ١٧٣ ·
(٤٣) ديوان مهيار ط دار جـ ١ ص ٦٤ ·
(٤٤)ديوان مهيار ط دار جـ١ ص ٤٠٩ ·

ويميناً لَمَن تَمدُّ بأعراقك في الفحرِ أن يسودَ جدير
دوحةٌ من ثمارها انتَ والمَغْرِسُ منها بُهرام او أردشير
خيرُ ما تربةٍ على الأرض لم يُشعَّب على اللؤم طينُها المفطور
طاب صلصالُ عِيصها وبرّياها ثرىً ماجدٌ وماءٌ طهور
قومُك الغالبونَ عزاً وهم قومي على الأرض وهي ماءٌ يمور(٤٥)

ومهيار لن يقبل تسوية بين الفرس والعرب ، فتربة فارس خير تربة ، وبنو ساسان اشراف البشرية رغم مجوسيتهم ، وهم قومه وأهله والغالبون مدى الدهر ومهيار عندما يعقد المقارنة بين العرب والفرس يقول :

ايُّ مجدٍ يَضُمُّنا وفَخارٌ يَوم انسابُنا اليه تَصير
ان يَفُتنا الخطيبُ والمِنبُر المنصوُب فالتاجُ حظُّنا والسريرُ
حَسْبُنا ان تَعلّمَ الناسُ منا والسياساتُ فيه والتدبير
وكفيناهُ امرَ رستمَ بالحربِ اذا عُدِّد الرجال الذكور
والذى قد سقى من الدم ذو الأكتاف حتى روى الثرى سابور(٤٦)

والشاعر غير آسف على ذهاب المنبر والخطيب ، فالتيجان ما وضعت الا على رؤس الاكاسرة وهم رجال عدل وسياسة وحرب ، وان لم يكونوا خطباء محافة واصحاب منابر ، وقد سبق لمهيار في ايام مجوسيته ان عقد مقارنة بين التيجان الفارسية والعمائم العربية فقال :

شتانَ رأسٌ يفخَرُ التاجُ به وأرؤسُ تفخرُ بالعمائم(٤٧)

ومهيار لا يكتفي بهذه المقارنة فهو يتعرض للعرب في ابياته السابقة بما يشفي احقاده فيذكر سابور الذى عرف عنه انه نزع اكتاف العرب عند ثورتهم عليه .

---

(٤٥) ديوان مهيار ط دار ج ٢ ص ٦٠ـ٦١ .
(٤٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ٦١ .
(٤٧) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ٣٣٥ .

ومهيار لم تساوره نفسه في يوم من الايام ان ينتسب الى العرب او يدين لهم بالولاء ، فهو ارفع مجدا وأعلى نسبا كما يقول في قصيدته :

انا مـن علمتَ قديمَـه وحديثَـه ... علمَ اليقيـنِ وان جهلت فسائلِ
قومي الملوك وخِيمُ نفسي خِيمُها ... أفلحْ بمثلْ اواخري وأوائلي
ماضـرّ عِيصي في أُرومة فارسٍ ... الاّ يكـونَ بخندفٍ او وائـلٍ
نحن الولاةُ العادلـون ولـم تزلْ ... اثـارُنا حَلْيَ الزمـان العاطـل
ذُدنا فمذ عَدِم الزمـان رعـاءَنا ... عدت الذئابُ على السَوام الهامل(٤٨)

ويبدو لنا مهيار مقتنعا تماما بان العدل ذهب بذهاب ملـوك الفرس ، وان الفوضى ملأت الدنيا بعد امن ونظام وسياسة عادلة سادت ايام ملوك الاكاسرة • وهو تعرض واضح بالعرب المسلمين الذين سادوا البلدان وحمكوا تحت رايـة الاسلام •

وعندما يتعرض ممدوحو مهيار الفرس لحسد العرب او غيرهم من رجال بني بويه يتعجب الشاعر من هؤلاء الذين يعملون الدسائس ضد ممدوحيه الفرس ويتطاولون على ذوى الانساب الكسروية فيقول في مدح ابي سعد بن عبدالرحيم:

فدأوك مـن يشـقى بسـعدك جَدُه ... ويحُيكَ طيبُ الذكرِ و هو دفين
اذا مارآك اعتـاضَ لونـا بلونـه ... ودِيرَ بـه حتى يقـالَ جنـون
يساميك لا كسـرى ابـوه ولالـه ... المدائن دار والجبـال حصـون(٤٩)

وقد ظل افتخار مهيار بطيبة التربة الفارسية قائما في كثير مـن قصائده ، وأصبح جزء من شعوبية الشاعر ، فهو لا يفتخر بها فحسب وانما يعمد الى الغض من شأن العرب والاشارة الى خضوعهم لسلطات الفرس سابقا ، وقد مدح مهيار الصاحب بن عبدالرحيم وقال :

املسُ أُنبوب الفَخار لم تَشِنْ ... قناتـهَ معـرّةٌ ولم تَصِـمْ

(٤٨) المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٨٤ •
(٤٩) ديوان مهيار ط دار جـ ٤ ص ٣٩ •

من طينةٍ بيضَاء صفّى مجدَهـا تنخّلُ الدهـرِ وتصفيقُ القِدَم
مشـى بنوهـا فـوق هامات العـلا وسبقوا بالفضل اسـلافَ الأمم
بيتٌ عـلى الثروة لولا عـزُّهُ ما دانت العُربُ قديمـاً للعجـم
اعلام هذى الارض فيهـم وبهـم جِرية هذا المـاء والنار لهم(٥٠)

ومهيار واضح العبارة صريح في اعتبار طينه الفرس خير طينة ، وهو يؤكد على سبق الفرس للامم والاخرى ويعرض بالعرب ويشير الى خضوعهم للفـرس قبل الاسـلام ٠

الحنين الى أمجاد الفرس ودولتهم :

مهيار لم يحقق طموحه القومي في ظل اسـياده البويهيين ، فهـم ما زالوا تابعين للخليفة العربي المسلم في بغداد يأتمرون بأمره ، ويقبلون الارض فـي مقابلتهم له ، وينظرون امره في شرعية حكمهم ٠ وبقي مهيار يشكو غربته ببغداد، ويبكي المجد الفارسي المضاع ممثلا تطرفا شعوبيا حادا فهو يقول شاكيا :

ان تسـأليني بعـد قـومي كيف اوجدنـي الزمـانُ
وبقيـت مـن بعـد الجمـاح ومقـودى سَلِس لَيـانُ
فـردا يزعزعنـي الأذى ويَشـُلُّ جانبي الهـوانُ
كالراحـة البتـراء خُولِس من اشـاجعهـا البَنـان
بخلائـقٍ بالدهـر تنصـر بالمقـادر او تُعـانُ
طاحت بأسـنمة العلـى ونجـا الذنـابى والعِجـانُ
عصفت فـلم تنجُ الحصـوُن ولا بفارسـهِ الحصـانُ
خـلّت بفـارس بركَهـا وعـلى الجبـال لهاجِـران
وهفـا ببيضـاء المدائـن يـوم بـؤس ارونـان(٥١)

ومهيار يبكي مجد اجداده فيقول :

---

(٥٠) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٥١ ٠

(٥١) الارونان : الصعب من الايام ، العجان ٠

ابكيهم اثرا ومالي ان ابرّهم عيان
لله منهم جدى الوضاح او ابي الهجان
وبنفس الغررُ الوضاء بليـن والسنن الحسان
وجبين كل متوج هو لا البخيل ولا الجبان
هم خلّفوني كالرذيَة لا ادين كما اد ان
ان تنكرى قومي فعندك من بقيتهم بيان
وسلي النجابة كيف كنت لتعلمي بي كيف كانوا(٥٢)

وتبدو القصيدة نفثة ملتهبة من قلب جريح ينبض بالحب لكل ما هو فارسي عريق ، وتعبيرا صادقا عن اعماق النفس الشعوبية المتطرفة في شكواها وحنينها وآلامها ، ومهيار في ذلك الوقت اني يلتفت يجد وزيرا ينسب الى كسرى او اميرا يتعلق بأمجاد ساسان ، ولكن تطرف مهيار في قوميته وشعوبيته يدفعه الى بكاء مجد المدائن الغابر وعرش الاكاسرة المحطم والتمني بعودته من جديد •

الشعوبية الفنية :

ظهرت الشعوبية الفنية في شعر ابي نؤاس دعوة صريحة تنكر على الشعراء التزامهم تقاليد القصيدة العربية القديمة في حبها للصحراء ، والتزامها بطابع البداوة ، وبقيت هذه الدعوة قائمة في شعر بني بويه كما وجدناها في شعر ابي القاسم الزعفراني وغيره • ومهيار لم يجدد دعوة ابي نؤاس الفاشلة وهو الشاعر الذى التزم النهج البدوى في قصيدته ، الا انه انكران تكون معاني قصيدته عربية ، وان جاءت بلفظ عربي مبين ، وقد عبر مهيار عن هذا الادعاء في كثير من قصائده ، واعتبره لازمة مكملة لقصيدته سواء كان الممدوح عربيا او فارسيا فهو يقول عن قصيدته :

حـَلى من المعدِن الصـريحِ اذا غَشَّ تِجارُ الأنصارِ ما جلبوا

---

(٥٢) ديوان مهيار ط دار جـ ٤ ص٤١ـ٤٢ ، الوضاح : المضيء ، الهجان : الرجل الحسيب العريق •

تَشكرُها الفرسُ المعنى وترضى لسانَها العرب[٥٣]

ويقول لاحد الوزراء العرب عن قصيدته :

ابوها فارس وكأن قومي لها عدنان او داري البطاح[٥٤]

وقصيدة مهيار تمتد بعرقها الى فارس رغم عروبة الفاظها •

مدّت الى ساسان ناشرَ عرقها وقضت لها عدنان بالعربية

يصغي الحسود لها فيشكر أُذنَه طربا ورد لغيظة لو صَمّتِ[٥٥]

ومهيار اذا نسب قصيدته الى نزار اكد نسبه الفارسي الضارب الى سابور وقال :

يغدو بها الشادن الشادى بمدحكم كأن ابياتها كأس وطنبور

ما ضرّها وابوها من فصاحتها نِزار ان ابي في البيت سابور[٥٦]

ولا شك في ان نسبة معاني مهيار الى الفرس ادعاء كاذب التزمه الشاعر كجزء من شعوبيته ، وقصيدة مهيار لا تتميز بمعان فارسية محددة ، وانما هي تقليد للاساليب العربية القديمة يفتقد ملامح الابداع •

الشعوبية في أغراضه الشعرية :

النزعة الشعوبية سمة ظاهرة تشمل اغراض الشعر عند مهيار ، وتكاد تكون طابعا عاما مميزا فهي تختلط بتشيعه عندما يجد مهيار في التشيع ستارا يستطيع من ورائه ان ينفث سمومه ، ونجدها ايضا في مديحه ورثائه ونسيبه ، فمهيار عندما يمدح فارسيا تتدفق عواطفه وتمتليء نفسه بهجة وسروا ، ويبدو عنصر الصدق اكثر توفرا في قصائده التي مدح فيها الفرس ، ويؤكد مهيار صحة هذه النظرة في احدى مدائحه لبنى عبدالرحيم العائلة الفارسية حيث يقول :

---

(٥٣) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٩ـ٣٠ •
(٥٤) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٠٩ •
(٥٥) ديوان مهيار ط دار جـ ١ ص ١٥٨ •
(٥٦) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١١٠ •

بني عبدالرحيم بكم تعالت يدى ووری على الظلماء زندی
وان اودى بنو سابور قومي فجدكم من الاملاك جدى
واصدق ما محضت القوم مدحي اذا ما كان مجدُ القوم مجدى(٥٧)

ومهيار ليس كاذبا في دعواه فهو يقول لممدوحه الفارسي كامل بن مهدى :

واذا وصفتك فهو وصف محاسني واذا مدحتك فهو مدح قبائلي
واحق من صغت الثناء لجيده من لستُ ان لبس الحُلي بعاطل
والشعر عندك من اقل درائعي فيما أروم ومن ادق وسائلي(٥٨)

ر فمجد الممدوح الفارسي مجد مهيار ، والشاعر يمدح فارسيته ويشيد بمفاخره وامجاده في مدحه لهؤلاء الفرس الذين يرى فيهم بقايا مجد غابر وفتية ابرارا ينتظر على يدهم ان ترتفع راية فارس من جديد •

وليس المديح الغرض الوحيد الذى عبر فيه مهيار عن شعوبيته ، فهو يبحث عن العظماء الفرس مادحا وراثيا • وعندما توفي عميد الجيوش القائد الفارسي ارتفع صوت مهيار يرثيه رثاء قريب لقريب وهو الذى لم يتعرف عليه ولم يفز بجوائزه ، وقد اكد مهيار هذه الحقيقة واشار الى صدق رثائه لانه يجتمع والمرثي في شرف النسب والارحام(٥٩) ، كما رثى مهيار الصاحب بن عبدالرحيم واعتبر فجيعة مصابا عظيما اصاب امجاد الفرس ، وافقدهم قائدا عظيما استطاعت العرب بعد فقده ان تتطاول فخرا من جديد(٦٠) •

اما نسيب مهيار فقد فصلت فيه افتخار مهيار بفارسيته واشارته الى عروبة حبيباته بعد ان اصبح هذا المظهر تقليدا في نسيبه ، وقد رد مهيار على ام سعد السائلة عن نسبه بشموخ فارسي واباء تمتد جذوره الى بني ساسان وقال :

---

(٥٧) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٦٢ •
(٥٨) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ١٨٦ •
(٥٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٥٢ ويراجع فصل الرثاء من هذا البحث •
(٦٠) المصدر نفسه ج ١ ص ٤١٩ •

اعجبت بي بين نادى قومها ... ام سعد فمضت تسأل بي

سرّها ما علمت من خُلقي ... فارادت علمها ما حسبي

لا تخالي نسبا يخفضُني ... انا من يُرضيك عند النسب(٦١)

ومهيار يستغيث في حبه بأخوته الفرس اذا ما ضيم في حلل العرب كما يبدو في قوله :

راحوا لقلبي وغادروا جسدا ... اعدى بِلاه' ربَع الهوى فبَلِي

وقفتُ فيه ولا ترى عجبا ... كطلل واقف على طلل

سل اخوتي في قصور فارس عن ... اخ عزيز يُضام في الحِلَل(٦٢)

اما اهتمام مهيار بالاعياد الفارسية من نيروز ومهرجان وسذق ، فقد قلت عنها سابقا انها تمثل تقاليد فارسية عامة شارك فيها العرب والفرس ، الا اننا نستطيع ان نجد في عدد من هذه القصائد شعوبية متطرفة واشارات مجوسية ، وتبدو هذه الظاهرة في قصيدته التي مدح بها الوزير فخر الملك واشاد به لانه لانه اعاد رسوم اعياد الفرس فقال :

رسم من النحل كان الملك عطّله ... انشرتَ فيه بني كسرى وما رسموا

نعمى على العجم خصتهم كرامتُها ... لا بل تَساهَمُ فيه العربُ والعجمُ

قوم يرون القِرى بالنار يكسبُهم ... فخراً وقومٌ يرونَ النارَ ربهَم(٦٣)

ومهيار يرى في اعادة رسوم ليلة السذق تجديدا للتقاليد المجوسية الكسروية ، ويشيد بالوزير الذي جددها واعادها ويشير الى مشاركة العرب للفرس في هذه الاعياد ، والى اهتمام العرب بالنار لانها تكسبهم فخرا في ضيافتهم والى اهتمام الفرس لانهم يعبدونها ويقدسونها .

---

(٦١) المصدر نفسه جـ ١ ص ٦٤ .

(٦٢) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ٨٧ـ٨٨ .

(٦٣) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٦٣ .

وقد وجد مهيار في المهرجان الذي اقيم في عهد جلال الدولة ما يرضي المطامح الفارسية والامجاد الكسروية بعد ان اعيدت على يد ابناء كسرى واقيمت التقاليد والرسوم وجلس الملوك الكسرى شامخا في بغداد العربية فهو يقول :

وعاد المِهرجانُ بِخَفضِ عيشٍ ... يرِّف على ظَلائِلِه الصِفاقِ
هو اليومُ ابتناه ابوك كسرى ... وشيد من قواعده الوثاق
وشقّ له من اسمِ الشمس وصفا ... يصول به صحيحَ الأشتقاق
ويقسم لو رآك جلست فيه ... لجاءك قائما لك فوق ساق
وأسلاه عن الأيوان بُقيا ... مقام العز في هذا الرواق[٦٤]

لقد كان مهيار متشيعا وشعوبيا ، وكانت شعوبيته اكثر تأثيرا وظهورا في شعره وأغراضه ، وهو في شعوبيته لا يعبر عن نزوة طارئة كما قلت ، وانما يعطي صورة لمختلف مظاهر الشعوبية وأشكالها .

(٦٤) ديوان مهيار ط دار ج ٢ ص ٣٥٢ وفي مخطوطة الديوان لقيا بدل بقيا .

الفصل الثامن

الشريف الرضي ومهيار

التلمذة الشعرية في التاريخ :

التلمذة الشعرية ظاهرة قديمة في الشعر العربي تمتد جذورها الى الشعر الجاهلي حيث نجد مدرسة شعرية قائمة رأسها أوس بن حجر لها تقاليدها الفنية ، وطريقتها في نظم الشعر وتنقيحه •

ويذهب الدكتور طه حسين الى ان تلامذة اوس « لم يكتفوا بتقليده واقتفاء اثره ، بل استعاروا طائفة من المعاني والالفاظ استعارة ظاهرة لا تحتمل شكا ، حتى لكأن هذه المعاني والالفاظ كانت قد اصبحت خطا شائعا للمدرسة كلها »(١) •

وكان زهير بن ابي سلمى تلميذ اوس شاعرا يروى الشعر ويعلمه ايضا وقد وضع ابنه وتلميذه كعبا امام امتحان عسير ليختبر شاعريته وتمكنه فيها ، وفي هذا الامر قصص تروى عن هذه الشاعرية وتقدير الاب الشاعر لتلمذة الابن ونجاحه(٢) •

وقد اشار ابو الفرج الاصبهاني الى هذه المدرسة الشعرية التي امتدت اصولها الى العصر الاموى في حديثه عن جميل بثينة حيث قال : « وجميل شاعر فصيح مقدم جامع للشعر كان راوية هدبة ابن خشرم ، وكان هدبة شاعرا راوية للحطيئة ، وكان الحطيئة شاعرا راوية لزهير وابنه »(٣) •

وجاء كثير عزة تلميذ لجميل يؤكد هذه التلمذة رغم اختلافها في صدق الصبابة والعشق والمذهب والاتجاه السياسي ، وقد عرف عن كثير انه اذا أنشد شعرا بدأ بجميل ، وأنشد له ثم انشد لنفسه ، « وكان يفضله ويتخذه اماما »(٤)•

وقد اشار الدكتور طه حسين الى انقطاع سلسلة التلمذة في هذه المدرسة

---

(١) في الادب الجاهلي ـ طه حسين ط دار المعارف مصر الطبعة الثانية سنة ٩٥٢ ص ٣٥٤ •

(٢) الاغاني طبعة ساسي جـ ١٥ ص ١٤١ •

(٣) المصدر نفسه جـ ٧ ص ٧٣ •

(٤) المصدر نفسه جـ ٧ ص ٧٥ •

الشعرية عن طريق القرابة والنسب واتصالها عن طريق الرواية والتلميذة موصولة بالحطيئة وجميل وكثير وممتدة الى العصر العباسي[٥] •

وتبدو هذه التلمذة الشعرية اكثر وضوحا في العصر العباسي • وقد تداولت كتب التراجم والادب أخبار هذه التلمذة وانواعها رغم اختلاف مسلك التلميذ والاستاذ ، وقد عرف سلم الخاسر شاعرا من المطبوعين المجيدين، وكان تلميذ لبشار بن برد ولكنه يقدم ابا العتاهية عليه ، ويميل الى البساطة والتخفف من الفن عند بشار[٦] ، كما تلمذ ابو نؤاس لوالبه ابن الحباب الذي عرف بالمجون والخلاعة ، واصبح ابو نؤاس صاحب مذهب في الشعر والحياة[٧] •

وكانت تلمذة البحترى لابي تمام من اكثر الظواهر الفنية التي نالت اهتماما ومناقشة وموازنة ، واختلف النقاد في تقدير التلمذة وتفوق التلميذ على الاستاذ ، واعيدت قضايا التلمذة الشعرية القديمة لتكون حكما في المفاضلة بين الشاعرين •

حتج د حب البحترى على صاحب ابي تمام بتفوق كثير في شاعريته على جميل رغم انه اخذ من جميل وتلمذ له[٨] ، كما اعيدت اقول البحتري في اعترافه بفضل استاذه ابي تمام وقوله بأنه « تابع له لائذ به اخذ منه »[٩] وقال ابو بكر الصولي معقبا على رأى البحترى : « وهذا من فضل البحترى ان يعرف الحق ويقر به ، ويذعن له ، واني لاراه يتبع ابا تمام ومعانيه حتى يستعير مع ذلك بعض لفظه فلا يقع الا دونه »[١٠] ، الا ان الصولي التفت الى السرقات الشعرية واقتباس البحترى من ابي تمام في المعاني •

---

(٥) في الادب الجاهلي ص ٣٦٨ـ٣٦٩ •
(٦) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٠٠ والشعر ببغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ الدكتور احمد عبدالستار الجوارى ص ٢٩٧ •
(٧) طبقات الشعراء ابن المعتز ص ٨٧ •
(٨) الموازنة ـ ابو القاسم الحسن الامدى ط ٢ السعادة ٩٥٤ ص ١٤ •
(٩) اخبار البحتري ـ أبو بكر الصولي ط المجمع العلمي دمشق ١٩٥٨ ص ٦٠ •
(١٠) المصدر نفسه ص ٦١ •

وينقل لنا الصولي خبرا طريفا عن هذه التلمذة ، وعـــن اعتراف البحترى بأقتفائه اسوب ابي تمام فيقول : « وحدثنا ابو الحسن علي بن محمد الانبارى قال : سمعت البحترى يقول : انشدني ابو تمام يوما لنفسه (ويذكر وصفا لفـرس) قـال فيهـــا :

فلو تراه مشيحا والحصى رمض — بين السنابك من مثنى ووُحدان
ايقنت ان لم تَثبّتْ ـ أنْ حافره — من صخرٍ تَدمرَ او من وجه عثمان

ثم قال لي ما هذا الشعر ؟ قلت لا أدرى ، قال هذا المستطرد ، او الاستطراد ، قلت وما معنى ذلك ؟ قال يرى انه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان . قال الصولي فاحتذى البحتري هذا القول في قوله :

ما أن يُعافُ قـذى وان اوردتـه — يوما خلائقَ حَمدويهِ الأحـولِ

... وقيل للبحترى احتذيت في شعرك هذا ما احتذاه ابو تمام وقد عيب هذا عليك فقال : الام على تبعي لابي تمام ! ما عملت بيتا قط حتى اخطـر ببالـي ببالي شعره وانا اسقط البيت من قصيدتي »[11] .

ويبدو لنا ان البحترى نهج استاذه ، وسار على اسلوبه ولم يكـرر معانيـــه والفاظه رغم تأكيده على هذه التلمذة ، الا ان البحترى يؤكد ايضا افتراقه عـــن اسلوب ابي تمام في صنعته ويقول : « هو اغوص على المعاني وانـا أقـوم بعمـود الشـعر »[12] . وهو كما يظهر اختلاف فني واضح بين شاعر اعرابي الشـــعر مطبوع على مذهب الاوائل ما فارق عمود الشعر ، وبين آخر شديد التكلف صاحب صنعـــة[13] .

ويظهر ان التلمذة الشعرية في تاريخها الطويل لم تكن تقليدا اعمى واحتذاء دائما لاساليب الاستاذ وطرقه الفنية ، فأكثر نماذج التلمذة الشعرية لا تنفي ذاتية

---

(١١) اخبار البحتري ص ٥٨ـ٦٠ .
(١٢) الموازنة ص ١٥ .
(١٣) المصدر نفسه ص ١١ .

الشاعر وطابعه الشخصي ، وتختفي حدود التلمذة في اختلاف النهج والاسلوب وتأثير العامل الذاتي •

وهذه التلمذة الفنية كما وصفناها تفتقد الى حد بعيد في تلمذة مهيار للشريف الرضي حيث تصبح تقليدا متعمدا واقتباسا ومعارضة للقصائد والتزاما للمنهج الفني في الاسلوب رغم محاولة مهيار للمحافظة على اسلوبه الشخصي الذى طور تقاليد القصيدة واسلوبها •

تلمذة مهيار للشريف تاريخيا وفنيا :

ليس هناك اختلاف تاريخي في تلمذة مهيار للشريف الرضي ، وتتفق المصادر في هذه التلمذة وتؤكدها • وأقدم مصدر تاريخي للشيعة يؤكد هذه التلمذة هو ابن شهر آشوب في قوله : « ابو الحسين مهيار بن مرزويه الديلمي البغدادى من غلمان الشريف الرضي »[١٤] ولاشك في ان ما يقصده بن شهر آشوب لا يتعدى تأكيد التلمذة ووثوق العلاقة •

اما المصدر الثاني الذى يقترب من ابن شهر اشوب تاريخيا فهو ابن خلكان الذى قال عنه : « ويقال ان اسلامه كان على يد الشريف الرضي وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر ، وقد وازن كثيرا من قصائده »[١٥] •

وقد تناقلت كتب التاريخ والتراجم اقوال ابن شهر آشوب حيث نجدها في كتب التراجم الشيعية الحديثة التي زادت عليها قول بعض العلماء : « خيار مهيار خير من خيار الشريف وليس للشريف رديء اصلا » ، كما اعتمدت هذه المصادر على ابن خلكان وغيره في نقل اخبار هذه التلمذة[١٦] •

ونجد هذا الرأى النقدي الذي ثبته ابن خلطان في كتب التاريخ والتراجم التي

---

(١٤) معالم العلماء ص ١٤٨ •

(١٥) وفيات الاعيان جـ ٤ ص ٤٤١ •

(١٦) نسمة السحر ص ٤٨٥ ، ومنهج المقال ص ٥١١ وسفينة البحار جـ ٢ ص٥٦٣ ــ ٥٦٤ وامل الآمل جـ ٢ ص ٣٢٩ •

حددت هذه التلمذة في الشعر المذهب والتشيع[١٧] •

ولم تلتفت كتب التراجم والتاريخ الى مظاهر هذه التلمذة ، واكتفت بالاشارة العابرة في تحديد العلاقة بين التلميذ والاستاذ ، ومتابعة مهيار لبعض معاني استاذه واقتباسها[١٨] ، اما المصادر التي اهتمت بالنواحي الفنية فقد اشارت الى هذه التلمذة وحددتها في حسن التخلص والانسجام ، واقتفاء مهيار لآثار استاذه في الاكثار وطول النفس[١٩] •

اما مهيار فلم يشر الى هذه التلمذة الا في قصيدته التي رثى بها الشريف الرضي وقال :

قد كنت ترضاني اذا سومتها تبَعَا وارضى ان تسير امامَها
واذا سمعتَ حمدت صفوى وحده وذممت غِشَّ القائلين وذامها
فتركتني تركَ اليمين شمالَها فرداً اعالجُ قاتلا ابرامها[٢٠]

ويبدو ان مهيار مع اعترافه بالتلمذة يذكر لنا ان الشريف الرضي كان يسمع شعره ويعجب به وهو راض به تلميذا ومقلدا ، كما ان مهيار راض بهذه التلمذة مفتخر بألتزام نهج استاذه الفني •

وتبدو هذه التلمذة اول ما تبدو في طابع عام مشترك يشارك فيه مهيار استاذه فيه ، وقد قلت سابقا ان النهج البدوى في القصيدة العربية اصبح تيارا فنيا واضحا في عصر بني بويه سار عليه كثير من الشعراء ، وقد تمثل هذا النهج في قصيدة المديح بشكل واضح •

وتلمذة مهيار للشريف الرضي تبدو في مشاركته لاستاذه في تجاوزه

(١٧) عيون التواريخ جـ ١٣ ورقة ١٦٧ ، العبر في خبر من غبر جـ ٣ ص ١٦٧ ، الوافي بالوفيات جـ ٢٦ ورقة ١٢١ وغيرها •
(١٨) نسمة السحر نسخة السماوى ص ٤٨٩ ونسخ كاشف الغطاء ص ٤٢٥ •
(١٩) انوار الربيع في علم البديع ـ علي خان الشيرازي ص ٥ ، ٨٦ ، ١٠٣ ، ٤٠٧ •
(٢٠) ديوان مهيار ط دار جـ ٣ ص ٣٧٠ •

لحياة المدن وحنينه للبادية ، والتزامه بالتقاليد العربية العريقة في قصيدة المديح ، وتبدو هذه التلمذة ايضا في نسيب مهيار عندما يتابع الشاعر حبيباته البدويات في ركبهن عبر الصحراء او يتحدث عن الحبيبة في موسم الحج بعفة ونزاهة وعذرية دون الالتفات الى وصف محاسن المرأة الجسدية •

ومهيار يسير في خط الشريف الرضي في مقدماته النسيبية مقتفيا البرق ، معتزا عاشقا لنفحة طيبة من ديار الحبيبة وهو مع الركب المضنى ، وهـــو مـع استاذه ونهجه ايضا عندما يتحدث عن رحلاته الطويلة من اجل المجد والمال ، وقد حاول مهيار ان يأخذ نهج الرضي في تخلصه من الروح الحضرية البغدادية فــي الفاظها واسلوبها ومعانيها ليكون ملتصقا بالبادية ، الا ان مهيار بقي مرتبطا الى حد بعيد بالقيم الحضرية شكلا ومحتوى •

وقد التقى مهيار بأستاذه الشريف الرضي في طابع الحزن الذى تلـون بـه شعرهما ، وتمثلت فيه رنة الاسى والالم والشكوى ، فهما يمثلان نزعة تشاؤميـة واضحة في نظرتهما الى المجتمع والصداقة والصديق •

لقد كان الشريف الرضي حزينا لانه ابن عصره عصر الحزن والاضطرابات والفجائع ، وهو حزين ايضا لانه صاحب طموح وغايات عليا تصطدم بواقع اليـم يقف بوجه همته ، ويعاكس رغباته وآماله • وهو بعد ذلك من سـلالة آل البيت بتاريخهم الحزين ومآسيهم الدامية التي يعيشها الشاعر بروحه وقلبه •

اما مهيار فكان حزينا ايضا لانه ابن عصره عاش في جو التشيع وآلامـه التاريخية كما تحمل آلام العزلة وهو المجوسي المنبوذ حتى اذا وجد مكانه في ظل الاسلام والتشيع توسعت دائرة مطامحه وحبه للمال ، وظل يشكو ويستجدي ويعاقب الدهر ويطلب العون على حساده واعدائه ، وهو ايضا تلميذ الرضي تأدب بأدبه وتمثل عواطفه وأحاسيسه ، والتقت النزعات والمشارب رغم اختلاف الجنس والاتجاه والمطامح •

كان الشريف الرضي في نظرته للاصدقاء متشائما حزينا لضيـاع الوفـاء

وانتشار الرياء فهو يقول عن اصحابه الذين يظهرون الخير ويبطنون اللؤوم •

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه ... ابى بعد طول الغمز ان يتقوما
تقبلت منه ظاهرا متبلجا ... وادمج دوني باطنا متجهما[٢١]

والاصدقاء في نظر الشريف الرضي اصدقاء يسر وغنى فاذا ذهب المال والعز تفرقوا فهو يقول عنهم :

ان كان فَقْرٌ فالقريبُ مُباعِدٌ ... او كان مالٌ فالبعيدُ مقاربُ
وارى الغنيَّ مطاعِناً بثرائه ... اعداءه والمال قِرنٌ غالب
يشكو تبذلي الصحابُ وعاذرٌ ... ان يَنبُذَ الماءَ المرنقَ شارب
من اجل هذا الناس ابعدتُ الهوى ... ورضيت ان ابقى ومالي صاحب[٢٢]

ومهيار يشارك الشريف الرضي في نظرته ويتألم ويشكو فيقول :

كيف اعترافي بالصديق وكيف لي ... بالفرق بين محبتي من بغضتي
وقلوب اعدائي الذين اخافهم ... مغلولةٌ لي في قلوب احبتي[٢٣]

وصديق مهيار ينافق كثير الرياء فهو :

يضحك في وجهي ملء فمه ... وان اغب وذُكِر اسمي قطبا
يطير لي حمامةً فان رأى ... خُصاصةً دب ورائي عقربا[٢٤]

ومهيار يجدد دعوة الشريف الرضي في العيش منفردا مبتعدا عن الاصدقاء كما يبدو في قوله :

وعش إما قرينَ اخ وفي ... امينَ الغيب او عيشَ الوحاد
فاني بعد تجريبي لأمر ... أنستُ ولا اغشُّك بأنفرادي[٢٥]

---

(٢١) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد ٢ ص ٣٢٩ •
(٢٢) المصدر نفسه مجلد ١ ص ٨٥ •
(٢٣) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ١٥٥ •
(٢٤) المصدر نفسه ج ١ ص ١٢٢ •
(٢٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٥٦ •

ويظهر ان مهيار في هذه النظرة المشتركة للصداقة والصديق والمجتمع لا يجارى استاذه الرضي في الموقف فحسب ، وانما يكرر معانيه وطريقته ، فهو اذا وجد صديقا مخلصا استعان بمعاني الشريف الرضي قائلا :

ورب اخٍ قصيٍ العِرْقِ فيه ... سلوٌ عن اخيك من الوِلاد[٢٦]

وهو تكرار واضح لقول الرضي :

رب اخ لي لم تلده امي ... ينفي الآذى عني ويجلو همي

اما مظاهر التقليد المشتركة الاخرى فنجدها في اعجاب الشاعرين بالمتنبي واقتباسهما لاسلوبه ومعانيه ، ولابد من القول ان الشريف الرضي لم يكن شاعرا مبدعا متخلصا من مظاهر التقليد ، وقد نشأ فنيا ينظر الى فن المتنبي الشعرى ، ويعارض قصائده ، الا انه استطاع ان يطبع قصيدته بطابعه الذاتي ومشاعره الشخصية •

وقد حاول الرضي ان يحور مطالع قصائد المتنبي التي اعجبته ، والتزم نهجها ، وقد التفت الى قول المتنبي •

الرأى قبل شَجاعةِ الشجعان ... هو اولٌ وهي المحلْ الثاني

فقال الرضي مقتبسا ومحورا :

هذى الرماح عصي الضال والسلم ... لولا مطاعنة الآراء والهمم

وقد عارض الرضي قصيدة اخرى من قصائد المتبني وهي التي يقول فيها ابو الطيب :

فراقٌ ومن فارقتُ غيرَ مذمَّمِ ... وأَمٌّ ومن اممت خيرَ ميمَّم[٢٧]

وقال الشريف معارضا ابعادا :

بعاداً لِمَنْ صاحبتُ غيرَ المُقوَّمِ ... وبعدا لكل الرِي الا من الدم[٢٨]

---

(٢٦) ديوان مهيار ط دار جـ ١ ص ٢٥٦ •
(٢٧) ديوان المتنبي تحقيق عزام ص ٤٥٦ •

وقد ترتب على هذه المعارضة ان كرر الرضي كثيرا من معاني المتنبي وخواطره وحكمه وبقيت المرحلة الاولى من حياته الشعرية مرتبطة بأبي الطيب • ويقـــول الدكتور احسان عباس عن هذه العلاقة وتطورها • « وحين تقدم الزمن بالشريف اخذ يقلل من هذه الاتباعية ويظهر الاستقلال عن استاذه ويكف الا قليـلا عـن معارضته »[٢٩] •

وقد شارك مهيار الشريف الرضي في هذاالاعجاب وفي الالتفات الى وثبات المتنبي وتقليدها وتكرار اساليبها ومعانيها ، ونجد هذه الصورة في قول المتنبي يمدح سيف الدولـة :

فيـوم بخيـل تطرد الروم عنهـم ويوما بجود تطرد الفقرو الجدبا[٣٠]

وقد تناوله الشريف الرضي فقال :

فيومـــاه يـــوم بالمواهب غـــائم علينا ويوم بالقواضب شامس[٣١]

وقال مهيار فيه يمدح جلال الدولة :

قَسَمتَ بكفيــك المنيـــة والغنـى للهفـان يستجدي وغضبان يستشـري
فانت اذا شـِمت الظُبى قاتلُ العدى وانت اذا شمت الندى قاتل الفقر[٣٢]

وفي هذه المقارنة صورة واضحة للشاعر العربي في ايجازه ومتانة لفظــه وصورة اخرى للشاعر الاجنبي عن اللغة وهو يصطنعها ، وما يتبع ذلك من اتساع في التعبيـر •

ونجد صورة اخرى للاقتباس في قول مهيار :

كم أُسـمع الصُمَّ البلاغــة مفهِما وأري عجائبَ فضلـي العميانـا[٣٣]

---

(٢٨) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد ٢ ص ٣٩٩ •
(٢٩) الشريف الرضي ــ دراسة الدكتور احسان عباس ص ١٨٧ •
(٣٠) ديوان المتنبي تحقيق عزام ص ٣١٩ •
(٣١) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد ١ ص ٥٥٢ •
(٣٢) ديوان مهيار ط دار جـ ٢ ص ٧٨ •
(٣٣) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٥٦ •

والبيت نسخ واضح لقول المتنبي المشهور :

انا الذى نظـر الأعمى الى ادبـــي   واسمعت كلماتي من بـه صمـــم

ولم يقف اقتباس مهيار لمعاني المتنبي عند مرحلة تاريخية من حياته الشعرية، وقد بقي هذا الاعجاب قائما ، وظل الشاعر يتطلع الى شعر ابي الطيب . ونجد في قصيدة واحدة من قصائده نماذج المعاني المقتبسة في قـول مهيار مادحا :

تيمنـوا باســمه حتى لقــد وثقـِوا   لو ســار في غير جيش أنهم نُصِروا

ويقول في القصيدة نفسها :

لو عيب ما عابه شيء يـَزَنُ به   مـن النقيصـة الا انـــه بشــرُ
حلا لـه الحمد حتى ماله ثمـــن   يغلو عليـه وحتى مالـه هـَـدرُ

وهو اقتباس واضح من قول المتنبي :

ان كنت تكبُر ان تختال في بشـر   فـان قدرك في الأقـدار يختـــال

وقولــه :

تملّـك الحمد حتى ما لمفتخــر   في الحمد حاء ولا ميـم ولا دال(٣٤)

ومهيار لا ينظر الى معاني المتنبي مرة واحدة لتدخـل في باب السـرقات الشعرية ،فهو يعجب بهذه المعاني ، ويولع بها ، ويكثر من اعادتها ، وقد نظر مهيار في قول المتنبي :

ومالك تعنـى بالأسـنة والقنـا   وجَدُك طعّان بغير سـِنان(٣٥)

فقال مهيار في مدح جلال الدولة :

اذا طلب الأعـداء انفــذ جحفــلا   لُهاما من الاقبـال يتبـع جحفـلا
كفاه مكانَ السيف والرمحَ جـَدُه   فلو شاء يوم الروع حارب اعزلا(٣٦)

---

(٣٤) ديوان المتنبي طبعة عزام ص ٥٠٣ـ٥٠٤ .
(٣٥) المصدر نفسه ص ٤٧٤ .
(٣٦) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ١٩٤ـ٢٠٠ .

وقال فيه مرة اخرى مادحـا :

ولو أن حـد السيف خانك دونـه وفي لك جَدٌ لم يَعقُهُ عِثار[٣٧]

والامثلة على التزام مهيار هذا النهج اكثر من ان تحصى ، وهي دلالة على اشتراك مهيار والرضي في اعجابهما بالمتنبي كجزء من التلمذة الفنية التي نشأ عليها مهيار .

اما مظاهر التلمذة الاخرى فنجدها في فنون الشعر المختلفة التي قال فيها مهيار ، وتكاد تكون واضحة جلية في رثائه ومديحه ونسيبه الحجازى وقد فصلنا سابقا الى اى مَدى التصق رثاء مهيار برثاء الشريف الرضي ، وكيف ان قصيدة الرثاء بقيت مظهر تقليد واضح لاسلوب الرضي في الشكل والمحتوى والتقاليد الفنية للقصيدة[٣٨] .

أما مديح مهيار فان مظاهر التقليد فيه تبدو واضحة في الشكل الفني للقصيدة وفي محتواها وافتتاحها وخاتمتها رغم اختلاف موقف الشاعرين من الممدوح كما يظهر في ابا الشريف الرضي ورجولته وتوسل مهيار وأستجدائه . ويظهر الاختلاف ايضا في محافظة مهيار على التقاليد الثابتة لقصيدة المديح وتكرارها ومحاولات الشريف في تنويع محتوى قصيدته وطبعها بطابعه الذاتي كما في حديثه عن نفسه وآماله وعن عائلته وأمجادها .

والملامح المشتركة التى تجمعهما تبدو في المقدمة النسيبية واشاراتها الى مواضع الحجاز والبادية من زرود وسلع وقبا وجمع ومنى والخيف .. الخ وما يتبع ذلك من حنين شوق لمعاهد البادية ونفحات نجد والبروق التي تثير الشوق والوجد . ويبدو الاختلاف ايضا في ميل مهيار الى توسيع مقدمته النسبية ، وبينما يبدو الشريف اكثر ميلا الى ايجازها او دخول غرضه بدون مقدمة .

---

(٣٧) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٨٥ .

(٣٨) البحث المفصل لرثاء مهيار للدكتور احسان عباس .

وسار مهيار شوطا بعيدا في التقليد باحثا عن تقاليد قصيدة استاذه ، مولعا بها مثبتا اجزاء منها في قصيدة المديح ، ومن هذه التقاليد الفنية ما أولع به الشريف الرضي من قسم بالنوق المسافرة الى بيت الله الحرام التي اصبحت مثالا لحنينه وأشواقه البدوية ، كما استغلها الرضي كأسلوب لحسن التخلص في قصيدة المديح .

وقد اعتبر بعض الباحثين هذه الظاهرة في شعر الرضي بسبب زيارته الى بيت الله وقال في تحديد ظهورها في شعره : « وقد ظهرت بعد ان عاد من حجه سنة ٣٩٤ للهجرة كثرة الحلف بالايمان المغلظة المستطيلة ، وتناول شعائر الحج والاماكن المتصلة بمكة »(٣٩) .

ولاشك في ان ارتباط الرضي بهذه الاماكن ليس امرا غريبا على رجل دين هام بالحجاز واهل الحجاز وظمت جوانحه لهذه الاماكن هوى وتقديسا اما ولع مهيار بهذا القسم التفصيلي ، فهو ضرب من التقليد لشاعر لم يعرف الحج ، ولم تتحمل عيناه بمرأى البيت الحرام ، ولم يفكر بتقبيل الحجر الاسود مرة في حياته .

وقد ابعد الدكتور واحسان عباس في تحديده للمرحلة التي بدأ فيها الشريف ولعه بهذا القسم . واقد رأيت الشريف الرضي مولعا به في وقت مبكر وقبل التاريخ الذى وضعه الدكتور عباس بدايا لهذا الولع . وقد وضع الرضي قسما تفصيليا جاء استهلالا لقصيدة مدح فيها والده سنة ٣٨١ للهجرة وقال فيها :

حَلفتُ بها صِيدَ الرؤوس سَوام ... طِوالَ الذُرَى يَمدُدْن كُلَّ زِمام
بكل غلام حَرّمَ النومَ هِزةَ ... الى بلدٍ نائي المزار حَرام
لأستمطرن العِزَ نفسا مُريغةَ ... ورودَ علاءِ أورودَ حِمامِ(٤٠)

---

(٣٩) الشريف الرضي دراسة الدكتور احسان عباس ص ٢٤١ .
(٤٠) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد ٢ ص ٤١٩ .

وكان القسم التفصيلي في شعر الرضي كما قلت سابقا مظهرا من مظاهر حسن التخلص في القصيدة وقد تداوله في قوله مادحا الطائع سنة ٣٧٩ للهجرة:

حلفت بها كَقَسِي النُباعِ تحسَبُ اعناقهن السهاما
كحافلةِ المُزنِ آنستُها مُسَمحةً في قيادِ النعامى
وكلُ فنيقٍ الى ناقةٍ يساقِطُها زبدا او لُغاما

. . . .

لأنتم اعز على مهجتي من الماء ينقعُ منه الأُواما[41]

والقسم التفصيلي كثير في شعر الشريف ، نجده في مدائحه للخليفة الطائع والامير البويهي بهاء الدولة ، وقد تميز هذا القسم بالاشارة الى رحلة النوق الى بيت الله الحرام ، وما تلاقي في سفرتها الطويلة[42] .

ومهيار اولع بهذا الاسلوب وكرره في قصائد المديح حتى اصبح هذا القسم جزءاً اساسا في قصيدة مهيار واسلوبا من اساليب التخلص والانتقال من مقدمة قصيدة المديح الى اغراضها ، وقد كرر صور استاذه الرضي كما يظهر في هذا القسم الذى جاء في مدحته لابي طالب ابن ايوب :

حلفت بالحُلْقِ الطِلاحِ صَعُبتْ على الوَجى صوقا ولانت ارؤسا
مثل القِسيّ كلُّ ظهرٍ فوقَه ظهرٌ بأدمانِ السُرى قد قُوّسا
من كل فتلاءَ تطيع المَرِسَ المُثنىَ عليها او تعود مَرِسا
تُقامُر الأخطار في نفوسها على الطلاب ان زكاً وان خسا
يخبطنَ يطرحْنَ الرُبى عَجْرفةً في الوفد يطلُبْنَ العتيقَ الأملسا
اذا فرَقْنَ الموتَ لمَ يفرَقْن مما دُيّث من أرض وما توَعسّا
حتى يؤدين الشخوص بمِنىً مكبّرا لله او مُقدّسا

(٤١) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٤٢٢ـ٤٢٣ ، النبع : شجر تتخذ منه السهام والقسي والفنيق : الفحل المكرم .

(٤٢) المصدر نفسه مجلد ٢ ص ٣٣٥ ، ٣٥ ، مجلد ١ ص ٤١٤ .

لا ضاع من يعتمد الحظ له   من قِسْمةٍ على « عميد الروسا »[٤٣]

وصورة مهيار في القسم التفصيلي تبقى مكررة معادة ، لتصبح تقليدا فنيا يعتمد ، مهيار لتحقيق حسن التخلص يبدو في قوله يمدح ابا المعالي بن عبدالرحيم :

اقسمتُ بالمُحرِمين شُعْثاً   بين المصلى والمأزمين
وما أحلّوا وما اهلّوا   بحِجةٍ او بعُمرتين
لا قاد ذلُ الأطماع رأسي   ما دام لي ذو الرئاستين[٤٤]

لقد فاق مهيار استاذه الرضي في اعتماده هذا القسم التفصيلي ، وفي كثرة ترديده له في قصائد المديح ، وقد توسع فيه بشكل ظاهر ليحقق له توسع القصيدة وتطويلها[٤٥] .

وكان اسلوب التفدية بالحساد والاعداء من اجزاء المهمة عند الشريف الرضي ومهيار وقد قلت فيما سبق ان مهيار تداول اسلوب التفدية في المديح والرثاء ، واشرت الى اثر الوضع السياسي والاجتماعي في نمو هذه الظاهرة في عصر يسوده الحسد والتباغض والوشاية ، وتتلون فيه العلاقات الاجتماعية والسياسية بالنفاق والمكر والخداع .

وقد تناول الرضي اسلوب التفدية في مدح الوزراء في وقت مبكر من نشأته الشعرية كما يبدو في مدحه للوزير ابي منصور بن صالح حيث قال :

فداؤك قومٌ انت عالٍ عليهم   شِدادٌ على بذل النوال صِعابُ
اذا بادروا مجدا برزت وبلّدوا   وان طالعوا عزا شِهدتَ وغابوا[٤٦]

---

(٤٣) ديوان مهيار ط دار جـ ٢ ص ١٤٢ ، المرس : الحبل ، الوجى ، الحفا .
(٤٤) ديث : ذلك ، توعس : تعسر .
(٤٥) المصدر نفسه جـ ٤ ص ١١٣ ، المصلى : مصلى الرسول بالعتيق ، ومأزما : منى بين عرفة والمزدلفة
(٤٦) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد ١ ص ٦٧ .

وقال في مدح الصاحب بن عباد سنة **٣٧٥** للهجرة :

فـدى لأبن عبّادٍ ضنينٌ بنفسـه ... اذا نَقَضَ الروعُ الطِرافَ المَمدَّدا
ودبّـر اطـراف الرمـاح وانمـا ... يُدبّرُ قبل الطعن رأيا مُسدَّدا[٤٧]

وقد أولع الشريف بأسلوب التفدية ، وأعاده في كثير من مدائحه لابيه وخاله وأصدقائه[٤٨] • وكذلك مهيار اعتاد هذا الاسلوب في بداية نشأته الشعرية كما يظهر في قصيدته التي مدح فيها الكافي الاوحد وقال :

فدى الأوحـد الكافي جبـانٌ لِسانُه
شـجاعٌ بحيثٌ القـولُ غـير مصوَّبِ
بخيـلٌ لـو ان البحـر بـين بنانـه
فـرقهـا عـن قَطْـرِهِ لـم تَسـرّبِ
يساميـه تغـريرا بـرأيِ مُشَـعَّثٍ
يكُدُّ ولا يُجدى وعِرضٍ مَشَعَّبِ[٤٩]

وقد بقي هذا الاسلوب قائما في شعر مهيار يتلزم به ويكرره في مختلف مراحله الشعرية[٥٠] •

وقد طور مهيار ختام القصيدة الملتزم بالدعاء ، واعتبره تقليدا ثابتا في القصيدة• وكان الشريف الرضي قد سبق مهيار الى ممارسة هذا الاسلوب في قسم من قصائد المديح ، ولكنه لم يلتزم به التزام مهيار ، وفضل ان يختتم قصيدته مفتخـرا •

ومهيار كان يجمع بين الفخر لقصيدته ومطالبته بالثمن والدعاء بطول العمر والبقاء للممدوح ، وكان التشبه بالشاعر زهير وغيره من الشعراء خطا مشتركا بين الرضي ومهيار ، وقد قال الرضي في مدح ابيه :

---

(٤٧) المصدر نفسه مجلد ١ ص ٢٨١ •
(٤٨) المصدر نفسه مجلد ١ ص ٩٨ ، ٣٠٣ ، ٦٠٨ ، مجلد ٢ ص ١٦٣ ، ١٧٠ •
(٤٩) ديوان مهيار ط دار جـ ١ ص ١٧ •
(٥٠) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٥٧ ، جـ ٤ ص ٣٩ ، ١٢٩ •

بزّ زهيرا شعرى وها انا ذا   لم ارض في المجد أنه هَرِمُ

وقال مفتخرا :

انا زهير فمن لي في زمانك ذا   ببعض ما افترقت عنه يدا هرم[51]

ونجد هذا التقليد الشعرى في قول مهيار وهو يحذو حذو استاذه ويقول :

قد شرَعت مذهبا لكم نسخ الشعر على المحدثين والقدما
لو نَبَشتْ عن صدى زُهيرٍ زقَا   يحلفُ قد فَضَلتُم هَرِما[52]

ويقول ايضا في قصيدته :

قد ملأت بوصفكم عَرْضَ الفلا   وطبَقّتْ اقاصي الدنيا بكمْ
منحتكم فيها صفايا مهجتي   جُهدَ زهيرٍ قيل في مدحِ هَرِمِ[53]

ولم تكن تلمذة مهيار للشريف مقتصرة على الشكل الفني لقصيدة المديح او الرثاء فمهيار تابع صور استاذه وتشبيهاته ونظر اليه دائما في كثير من قصائد المديح .

وكانت صورة الغصن الذى ينمو بروافد عذبة من يد الممدوح من الصور التي اولع بها الشريف ، واحبها ، واعطاها لمدوحيه الكبار اعترافا بالجميل ، وقد اعتادها الرضي في مدائحه للخليفة العباسي والامير البويهي فهو يقول للخليفة القادر :

اورِق امينَ الله عودى إنما   اغراسُ اصلك في العلى اغراسي[54]

ويقول في مدح بهاء الدولة سنة **٣٩٧**للهجرة :

انا غرسٌ غَرَستَه واجلُّ الغرس ما قررتَ نِراه يداكا
لم اجد صانعا سواك ولا اعرف ، في الناس مُنعِماً ما سواكا

---

(٥١) ديوان الشريف الرضي مجلد ٢ ص ٣٦١ ، ٣٨٨ .
(٥٢) ديوان مهيار طبعة دار ج ٣ ص ٢٤٨ .
(٥٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٥٣ .
(٥٤) ديوان الرضي طبعة بيروت ج ١ ص ٥٤٦ .

في حمى طولك اهتَـزت واورقت قـريبَ الجَنَــى بصوبِ نداكا[٥٥]

وقد اعاد الرضي هذه الصور في الغصن والغرس والسقيا واللون الاخضـر في قصائد كثيرة من مدائحه[٥٦] . وكان مهيار ايضا كثير الولع بهذه الصورة وفي ذكر الغصن والدوحة النضرة التي تسقى بمكارم الممدوح وروافده كما يبدو في قوله مادحا الوزير الرخجي :

مكـارم خفّـرت عـودي روّت ... ثراه وقد تعـاوره الجدُوب[٥٧]

وقوله في مدح الصاحب بن عبدالرحيم :

وكيف تروني قاعداً عن فريضة ... قيامي بهـا حـق لـكم ووجوب
وفيكم نما غصني وطالت اراكتـي ... وغودر عيشي الرف وهـو قشيب

وقوله مادحا الوزير الرخجي :

انا غرس نعمتك ارتوب بـك ايكى ... بعد الجُفوفِ وقام عندك موسمي[٥٨]

كما قال للصاحب بن عبدالرحيم :

وكنت انت ناشـلي ورافِعـي ... من خَفضةِ المـال الى العـز الأشم
وغـارسي من قبـل ان تمسَّـني ... يـدٌ وساقيَ غصني قبـل الديـم[٥٩]

وقد اعاد مهيار هذه الصور بشـكل واسـع ، وخص بهـا الصاحب بن عبدالرحيم وابنائه[٦٠] .

ويبدو لنا ان مهيار في مدائحه حاول ان يقلد نهج الشـريف الرضي في تقاليد قصيدة المديح الفنية وفي محتواها ، كما حاول اقتباس الصورة ، الا ان مهيار لم يستطع بأسلوبه ان يرتفع الى مستوى قصيدة الرضي في المديح .

---

(٥٥) ديوان الرضي ط بيروت مجلد ٢ ص ١٠١ .
(٥٦) المصدر نفسه مجلد ١ ص ٢٧٦ ، ٥٥٣ ، ٦٠٥ ، مجلد ٢ ص ٨٦ .
(٥٧) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٧١ .
(٥٨) المصدر نفسه ج ١ ص ١١٢ ، ١٥٨ ، ج ٢ ص ٣١ ، ٤٩ ، ٢٢٦ .

ولكنه طور هذا الاقتباس وأخضعه بأسلوبه المتسع القائم على تطويل القصيدة ذات التقاليد الثابتة •

اما حجازيات الشريف الرضي فانها مصدر اساس لصور مهيار النسيبية والحجازية ، ولو ان مهيار لا يقدم لنا صورة حجازية مستقلة عن القصيدة • فهو يضعها مع قصيدة المديح ، وقد يخلط بينها وبين اساليب النسيب الاخرى كمتابعة الكوكب ، وذكر الشيب ، والحنين الى الصحراء ، او متابعة البرق وما يثير من شوق ووجد(٦١) •

وقد سار مهيار على نهج الرضي في الصورة الحجازية القائمة على اللقاء في موسم الحج حيث يحلو للعيون ان ترمي سهامها وتصطاد وهي التي تصاد وتنتهي هذه الصورة بأنتهاء الموسم بحب يمزق شغاب القلب ويلهب الضلوع بالوجد ، كما تلونت هذه الصورة بصبغة دينية يدور فيها الحديث عن الدماء الدماء التي تسفك والقلوب التي تصاب بالسهام وعن الفتيات اللواتي يرمين العشاق بدلا من رمي الجمرات وهن يؤدين شعائر الحج •

وقد عارض مهيار قصائد الشريف وأعاد اساليبها وفنونها كما يبدو ذلك في قول مهيار :

ايوما مثل يوم الجزع تنساه وان قَدمُا
وتكفُره وقدْما كنتَ ممن يشكرُ الحُلمُا
ملاعبُ صبوةٍ وهوىً ودارُ ملامةٍ وحمى
رُزقِنا منه صَيْدَ العِين والقنّاصُ قد حُرِما
جاذرُ من ظِباء الأمس كن دُماً ولسن دمىً
قنصناهن دون منى ولم نَتَحرجْ الحَرمَا
ومِنهن المنىُ صفراء يُفتل كشُحها هَضمَا
تريك بحسن صبغتها سلامةَ لونِها سَقمَا

---

(٦١) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٢٦٨ـ٢٦٧ •

تَلفتَتْ عن وميض البرقِ عارضةً ومبتَسما
اصاب بها بصيرتَه غوىٌّ يعبُدُ الصنما
رمتني يوم ذى الجمرات عن طرف رنا فرمى
وكان لسهمها ما شاء من قلبي وما احتكما
نَعِمتُ بها على إضَمٍ ويشقى بعد من نَعِما
يد للحج شلّ النفرُ بسطتَها وما علِما[٦٢]

وهذه الصورة الحجازية اقتباس واضح من حجازية الشريف الرضي الشهيرة التي يقول فيها :

مَنْ معيدٌ لي ايامي بجِزع السَمُرات
وليالي بجَمع ومنى والجمرات
وظباءً حاليات كظباءً عاطلات
رائحاتٍ في جلابيب الدجى مختمرات
راميات بالعيون النجل قبل الحَصَيات
العقرِ القَلبِ راحوا ام لعَقر البَدنَات
كيف اودعت فؤادى اعيناً غيرَ ثقُات
ايها القانص ما أحسنت صيد الظَبيَات
فاتك السرب وما زُودّت غير الحسرات[٦٣]

ويبدو انا اجزاء الصورة الحجازية بين الرضي ومهيار متشابهة الى حد بعيد ، كما تشترك الصورتان في ذكر الاماكن الحجازية ، وفي انتهاء الموقف الحجازى بأنتهاء موسم الحج •

ومهيار في تقليده لحجازيات الشريف الرضي لا يقف عند حدود اقتباس

---

(٦٢) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ٣٠٠ •

(٦٣) ديوان الشريف الرضي ط بيروت مجلد ١ ص ٢١٧ـ٢١٨ ، الجزع : منعطف الوادى وجزع السمرات من نواحي العقيق ، وجمع : المزدلفة ،

الصورة ، فهو يعارض قصائده في الوزن والقافية احيانا ويتابع استعارة الصور الحجازية التي أولع بها الرضي ٠

وقد قال الشريف الرضي في احدى حجازياته :

عارضا بي ركب الحجاز اسائله متى عهده بسكان سَلْع[٦٤]

وعارضه مهيار في قوله :

هلْ معي لا عليك ضرى ونفعي نسأل الجِزع عن ظباء الجِزع[٦٥]

ونظر في قول الرضي :

فاتني ان ارى الديار بطرفي فلعلي ارى الديار بسمعي

فقال فيه :

غنياني بأم سعدٍ وقلبي معها أن قلبي اليوم سمعي

وقد عرف مهيار بقصيدة رقيقة ذات مقدمة حجازية طويلة مدح فيها الامير البويهي جلال الدولة ومطلعها :

بطرفك والمسحور يقسم بالسحر اعمداً رماني ام اصاب ولا يدري ؟

وقال فيها :

خليلي هل من وقفةٍ والتفاتة الى القبة السوداء من جانب الحِجر
وهل من ارانا الحج بالخيف عائد الى مثلها او عدّها حِجّةَ العمر
فلله ما أوفى الثلاث على منىً لأهل الهوى لو لم تَحِن ليلةُ النَفْر
لقد كنت لا أوتي من الصبر قبلها فهل تعلمان اليوم اين مضى صبري[٦٦]

وفي هذه الابيات كثير من عواطف الرضي وصوره وأساليبه ونجدها بوضوح في قوله :

---

(٦٤) ديوان الشريف الرضي ط بيروت ج ١ ص ٦٥٧ ٠
(٦٥) ديوان مهيار ط دار ج ٢ ص ٣٣٢ ، الجزع : اسم وارد ديار باليمن ٠
(٦٦) المصدرنفسه ج ٢ ص ٧٦-٧٧ ٠

الا ياليالي الخَيْفِ هل يرجعُ الهوى اليكن لي لاجازَكنَ ندَى القَطْرِ
فيا دينَ قلبي من ثلاث على منى مضين ولم يُبقِن غَير جوى الذِكر
ورامين وهنا بالجمار وانما رَموْا بين احشاء المحبين بالجمر
وقالوا غداً ميعادُنا النَفر عُن منى وما سرني أنَّ اللقاءَ مع النَفْرِ (٦٧)

والاقتباس تحوير الصورة واضحان لا يحتاجان الى دليل • والظاهر أن مهيار يلاحق حجازيات الرضي ويطبعها بطابعه ، فهو شاعر بعيد عن التجربة مقلد لاجزائها معيد صورها ، وقد وثب على حجازية الشريف التي قال فيها :

ايها الرائح المُغذَ تحمّلْ حاجةً للمعذبِ المشتاق (٦٨)

وفيها طلب الشريف من صاحبه ان يبكي عنه فقال :

ضاع قلبي فانشده لي بينَ جمعٍ ومنىً عند بعضِ تلك الحِداق
وابك عني فطالما كنت من قبلُ أُعيرُ الدَموعَ للعشاق

فقال فيه مهيار :

نَشدْتُك بالقرابة يا ابن ودي فانك لي من ابنِ ابي احقُ
اسل بالجزع عينَك إنْ عيني اذا استبرتُها وقتا تَعُق
وان شقَّ البكاءُ على المُعافى فلم اسألْكَ الا ما يشُق (٦٩)

والقصائد التي عارض فيها مهيار حجازيات الرضي وغيرها كثيرة ، وهو في معارضته كما يبدو يتابع صور استاذه ومعانيه واسلوبه ، وقد قال مهيار معارضة الرضي :

ايـن ظباء المنحنى سوالفا وأعينا
اكان من صفث الكرى يوم تسنحن لنا (٧٠)

---

(٦٧) ديوان الرضي ط بيروت مجلد ١ ص ٥١١ ، الخيف : خيف منى وينسب اليه المسجد المعروف •
(٦٨) ديوان الرضي ط بيروت ج ٢ ص ٧٩ •
(٦٩) ديوان مهيار ط دار ج ٢ ص ٣٥٧ •
(٧٠) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٤٢ـ١٤٤ •

وهي معارضة في الوزن والاسلوب العام لقصيدة الرضي التي يقول فيها :

اعاد لي عيدَ الضنى جيرانُنا على منى
مواقِفٌ تُبدِل ذا الشيبِ شيطاطا بحِنى[71]

وقد فطن مهيار الى مقدمات قصائد الرضي الاستنهاصية التي عرف بها ، ونظر مهيار في قول الشريف الرضي :

نبهتهم مثل عوالي الرماح الى الوغى قبل نَموم الصباح[72]

فقال مهيار :

نبهته فقام مشبوحَ العَضُد اغلبَ لو سِيمَ الهوان مارقد[73]

واصبحت الغارة التي دعا اليها الشريف الرضي في قصيدته من اجل المجد غارة كلامية عند مهيار وحربا شعرية على اعداء الشاعر وحساده • وقد قلد مهيار ايضا الشريف الرضي في افتتاح القصائد بالدعوة الى ركوب المخاطر والسفر من اجل المجد ونظر في قول الشريف :

اثرْها على ما بها من لَغَبْ تقلقل اغراضها والحقبْ
ولا تَرقُبِ اليومَ مُيْط الأذى عن اخفافها واندمال الجلَبْ[74]

فقال مهيار :

عجِلت بحطك فيها الرحالا اثرها امنتُ عليك الكلالا
وقُدها مُحدَبة كالقَسي من الضال تُسبي الفيافي نضالا[75]

وقد تابع مهيار اسلوب الشريف في افتتاح القصائد بالحديث عن الناقة وغلاء ثمنها ، وقد قال الرضي :

---

(٧١) ديوان الرضي ط بيروت مجلد ٢ ص ٤٨٠ـ٤٨٣ •
(٧٢) ديوان الرضي ط بيروت ج ١ ص ٢٥٤ـ٢٥٦ انظر القصيدة •
(٧٣) ديوان مهيار ط دار ـ القصيدة ج ١ ص ٢٧٦ـ٢٨١ •
(٧٤) ديوان الرضي ط بيروت مجلد ١ ص ١٢٨ •
(٧٥) ديوان مهيار ط دار ج ٣ ص ٣٨ •

غالى بهـا الزائـدُ حتى ابتاعَـها بادِنةً قـد ملأتْ انسـاعَـها[٧٦]

وقد نقل مهيار هذا المطلع ووضعه في قالب جديد ابقى لـه الوزن وغـير القافية فقـال :

غالِ بهـا فيما تُسام واشـترِطْ فلأ َها فضلا على البيع الشطط[٧٧]

وعرف مهيار بمقدمة طريفة عن البرق جاءت في افتتاح احدى قصائده ، وقد اعجب بها الصوفيون وتداولوها في مجالسهم وهي التى يقول فيها :

من ناظر لي بـين سـلع وقبـا كيف اضاء البرق ام كيف خبـا
نبهنـي وميضـه ولم تنـم عيني ولـكن رد عقـلا عزبـا
قرّت لـه بـنات قلبـي خافقـا واستبردته اضلعـي ملتهبـا[٧٨]

وفي هذه المقدمة مظاهر اقتباس من احدى قصائد الشـريف الرضي التي قال فيها عن البرق :

مـن رأى البـرق بغـورى السند في اديـم الليـل يفرى ويقـد
كلمـا انجـد عُلـويُ السـنا قـام بالقلب اشـتياقا وقعد[٧٩]

ويظهر لنا ان مهيار اولع بشعر الشريف الرضي ، وتعمـد تقليـده ، وتتبع اساليبه ، يعيدها ويكررها بشكل واسع يدعو الى العجب ، الا ان هذا التقليـد لم يفقد مهيار اسلوبه الخاص على عيوبه في ليونته وانبساطه في التعبير ، واحتفاله بالقيم الحضرية رغم الطابع البدوى المقصود .

---

(٧٦) ديوان الرضي مجلد ١ ص ٦١٥ .
(٧٧) ديوان مهيار ط دار ج ٢ ص ١٥٧ .
(٧٨) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ١٢٠ ، قباء : موضع في طريق مكة من البصرة وقبا : في المدينة ايضا .
(٧٩) ديوان الرضي ط بيروت مجلد ١ ص ٢٧٣ ، السند بلد في البادية ، وعلوى : موضع بنجد ، وعلوى : نسبة الى عالية نجد ، يقال علوى الرياح .

لقد جاء اسلوب مهيار البدوى برقته الحضرية اسلوبا جديدا ، وتمثلت فيه بداية النهاية للشعر العربي في تحوله الى قصيدة قوالب وتقاليد فارغـــة المحتوى واضحة التقليد ، واذا كان الشريف الرضي قد حفظ للقصيدة العربيـــة كرامتها باللفظ العربي الاصيل وبقوة الشاعرية ، فان مهيار لم يستطع ان يقف بوجـــه عيوب الحضارة ، وجاء طابعه البدوى مفتقدا لقوة النسج وحدة التعبير والنغـــم الموسيقى القوى التي تميز به الشعر العربي الاصيل ، الا ان مهيار كما قلت كان له اسلوب تميز بالحلاوة والرقة والانسياب •

الفصل التاسع

منزلة مهيار

كان مهيار الديلمي على حق في ادعائه المجد الشعرى ، وانفراده بـه بعـد وفاة ابن نباته السعدى والشريف الرضي سنة ٤٠٦ للهجرة ، الا ان مهيـار لم يستطع ان يحافظ على هذا المجد الادبي ، ولم ينهض بأمره ويحفظه مـن بوادر السقوط والتحول الى قوالب مكررة ، وتقاليد ثابتـة تضيق بهـا نفس القـارىء المتذوق ، ويغلب عليه الملل فيها من اسهاب ونثرية وابتذال .

لقد حرم مهيار من ان يأخذ مكانه (في يتيمة الدهر) مغمورين لم يكتبوا الا مقطوعات وأبياتاً متناثرة وقد قلت فيما سبق ان تاريخ تأليف يتيمة الدهر سبق شهرة مهيار وذيوع شعره .

الا ان هذا الاغفال لم يستمر طويلا ، فنجد الخطيب البغدادى يشير الى هذا الشاعر بعبارات الاعجاب والتقدير ، ويقول عنه انه « كان شاعرا جزل القـول مقدما على أهل عصره »(١) ، وبقيت عبارات الاعجاب تتناقلها كتب التاريخ والتراجم.

ونجد هذا التقدير لمنزلة مهيار في رأى ابن بُطـلان الطبيب البغـدادى ورجل العلم ، الفضل المتوفى سنة ٤٤٤ هـ حيث يقول : « ومن متقدمي علـــوم الادب والكتابة علي ابن عيسى الربعي وابو الفتح النيسابورى ، ومهيار الشاعر... وأبو العلاء المعرى . فأنطفأت سُرُجُ العلم ، وبقيت العقول بعدهم في الظلمة »(٢).

ومهيار في نظر الباخرزى : « شاعر له في مناسك الفضل .. وقصائده مصبوبة في قوالب القلوب »(٣) .

هو عند ابن خلكان كان شاعرا مقدما على اهـل وقتـه ، رقيـق الحاشـية

---

(١) تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٢٧٦

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ احمد بن قاسم بن خليفه الخزرجي ط بيروت ١٩٥٧٧ جـ ٢ ص ٢٤١

(٣) دمية القصر ص ٧٦

طويل النفس »[٤] وتبقى هذه العبارات قائمة في كتب التراجم والتاريخ •

وكانت قصائد مهيار تطلب ، وتبذل من أجلها الاموال ، ومهيار مفتخر بهذا المجد الشعري الكبير • والذين يطلبون اشعار مهيار لم يكونوا من الثلة الذين وثبوا على دست الحكم ، فأكثرهم كما رأينا من ذوى العلم والثقافة والادب •

ومهيار كان يعرف علو منزلته ، ويتيه فخرا وعجبا بها • فهو شاعر بغداد الذى لا يجد من يجاريه ، ويباريه بشعره الرقيق السهل ، ويغالي مهيار بموهبته الشعرية ، فيرى نفسه مبدع معان وصور لم يعرف التقليد والاجترار ، أما الشعراء الآخرون فهم في نظره مقلدون مجترون بألفاظهم الخشنة وسرقاتهم الظاهرة ، فهو يقول :

يقول الشعر ان حضروا وغبنا	فدى الغُيّاب ما قال الحضورُ
يكرر غابرٌ ما قال ماض	وقد ما أخلَقَ المعنى الكُرُورُ
وأحلى القول اسلمهُ منالا	فما هذى الشقائِقُ والهديرُ[٥]

ويظهر ان مهيار يهاجم الشعراء الآخرين ، ويتهمهم بالتقليد والسرقة والتكرار ، ويقول عنهم : انهم يأتون بهذه المعاني المكررة بألفاظ رنانة تغلب عليها والصلابة ، ويدعو الى مذهبه الشعرى فى التزام السهولة والبعد عن التعقيد • وهو مخلص في قوله ، وفي التزامه الليونة والرقة والسهولة ، الا ان هذه المظاهر قادته الى نثرية مفرطة فرضتها مطولاته التي كانت مطلب الممدوحين الذين فرضوا على مهيار احيانا شكل القصيدة ومحتواها •

وكان هذا التحكم في قصيدة مهيار دافعا لتوجيهها في شكلها ومحتواها ، وتحولت هذه القصائد بتأثير العصر الى قصائد مناسبات وتهانٍ ، فعصر مهيار ليس عصر أمجاد وحروب وأحداث عظيمة ، بل هو عصر مظاهر وتفخيم ،

(٤) وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٤١
(٥) ديوان مهيار ط دار ج ١ ص ٣٦١

ووزارات تذهب بجفوة ، ومنصب يشترى بمال ، وأمداح تقدم بمناسبة مولود ، وتهنئة بخلعة قدمت بقاء لوزير او قائد •

ويبدو لنا ان ذوق العصر كان له التأثير الكبير على محتوى قصيدة مهيار التافه الخالي من المعنى الجليل والحدث العظيم • ولم يكن مهيار وحده مسؤولا عن التدهور الفني والفكرى لقصيدة المديح ، فأستاذه الرضي لا تخلو قصيدته من بعض هذه المظاهر ، الا انه استطاع ان يحفظ وجه الشعر العربي من السقوط النهائي بعبارته العربية الاصيلة ، وعاطفته الشخصية ، وتراثه العظيم ومطامحه وآماله •

اما مهيار فقد تحمل مساوى عصره في شعره ، ومثل بداية النهاية للفن الشعرى في زيفه الغرامي ، ومبالغاته ومكرراته ، وبقيت القيم البدوية وما تحمل من أيحائاتو ما تصطنع من اشواق المانع الوحيد من انهاء القصيدة فنيا • والقارىء المتذوق يستطيع ان يجد الروح الشعرى في مقدمات مهيار النسيبية والالفاظ المبتذلة والنثرية في مدائحه عندما يبتعد الشاعر عن الصورة المدحية المقتبسة • وقد صدق الشاعر في قوله :

يشهد لي مفتاحها وختمها بأنني المشعراء خاتم (٦)

فشعر مهيار وثيقة فنية تمثل ضحالة ثقافة الشاعر الفكرية ، وضياع الطابع الشعرى ، وانتهاء الابداع ، وتحول القصيدة الى صورة من صور التقليد تتداخل فيها اساليب الشعر والنثر وتتميز بتقاليدها الجامدة •

ويبدو لنا ان الاعجاب بقصيدة مهيار ، وتداول عبارات التفخيم في تقديرها ابعد عنها النظرة النقدية الفاحصة التى تقدر اهمية هذا الشعر ومنزلته • فمهيار كما يقول الدكتور شوقي ضيف : « استحوذ على اعجاب كثير ممن عاصروه ، وجاؤوا من بعده ، واستمر ذلك الى عصرنا الحديث ، وأكبر الظن انه يحسن ان

---

(٦) ديوان مهيار ط دار ج ٤ ص ٢١

لايسرف المعجبون بـه على انفسهم فيتخذونه مثلا من امثلة الثقافـة والبلاغـة العربيـة »[٧] •

والحقيقة ان اهمية مهيار متأتية من كونه اول مـن فتح البـاب للقصيـدة العربية لتأخذ قالبها واسلوبها وافتتاحها وختامها ، واذا كان الشريف الرضي قد هيأ لها الطابع البدوى الحجازى ، فمهيار طبع شعره كله بهذا الطابع الحزيـن برقته الحضرية وجوه البدوى ، وأصبحت هذه القصيدة صورة تقليد تتداولهـا الشعراء بعد مهيار الى نهاية القرن التاسع عشر الميلاد وقبل بداية النهضة الشعرية الحديثة ، وأنتباه الشعراء الى النماذج الشعرية العربيـة الاصيلـة في الشـعر العباسـي •

لقد كانت قصيدة مهيار اكثر انتشارا من قصيدة الرضي في مجال التقليـد وأصبحت نماذجه الرقيقة بموسيقاها العذبة ، وجوها البدوى ، وطابعها الحزين مطلبا لشعراء القرن الخامس والسادس للهجرة ، ومحط اعجاب النقاد في ليونتها وطراوتها وسهولة الفاظها •

وشهد القرن الخامس والسادس للهجرة مظهرا من مظاهر التقليد الواسعة لاسلوب قصيدة مهيار من ناحية الشكل العام ومعارضة لقصائده الرقيقـة التـي قلدت بشكل واسع مع اعجاب مدهش مع مهيار وشعره[٨] •

ويقول عماد الدين الاصبهاني الكاتب في ترجمته للشاعر ابي البدر ظفر ابن الوزير يحيى بن هبيرة :« وقد اثبت له قصائد انشد فيها لنفسه ، نظمها على اسلوبه الرائق مجريا مهر خاطره الماهر في مضمار مهيار » ، ويذكر قصيدة ابي البدر في مدح الخليفة المستنجد بالله ومطلعها :

---

(٧) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٣٦٦

(٨) ديوان مهيار يمثل الشاعر سبط ابن التعاويذي (ت ٥٥٣ هـ) في شـعره النموذج الواضح للقصيدة المهيارية ذات التقاليد الثابتة رغم عدم معارضته الصريحة لقصائد مهيار

طُـلَّ دمٌ بالعتـــاب مطلـــوبٌ   وطاح دمعٌ في الرَبعِ مسكوب[٩]

والقصيدة معاضة لقصيدة مهيار التي مطلعها :

استنجد الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ   وأسأل النومَ عنكم وهو مسلوبُ

ويقول الاصبهاني ايضا : « ودخلت عليــه يومـا ببغداد قبل نكبته بســـنة في صفر تسع وخمسين وخمسمئة فأنشدني قصيدة عملها على وزن قصيدة مهيار التي اولها :

بكــــر العارُض تحدوه النُعامــى   فســـقاك الغيــث يا دار أُمامــا

وقد نظم العماد وغيره قصائد على وزنها كما يبدو في قوله : « ونظم ابـن الخراساني ايضا على وزنها وجماعة من الشعراء اقترح ذلك عليهم ، ولم يبلغ احد منا شأن مهيار » كما عارض شرف‌الدين بن هبيرة قصيدة مهيار التي مطلعها :

اروِض الوادى ام ابيضّ الغسقْ   ام طيف لميـاء عـــلى النأى طرقْ

فقال على وزنها :

اســـلمني الى الغـــرام والأرقْ   طيف متى شاء على النأى طرقْ[١٠]

ويظهر لنا من المطلع ان القصيدة ليست معارضة في الوزن والقافية فحسب، وانما هي تكرار للاسلوب والالفاظ المحتوى فكأنها صورة منسوخة من قصيـدة مهيـار •

ويذكر لنا العماد الاصبهاني صورة لاتساع هذه المعارضة لقصائد مهيـار فنجد في شعر مقــدار بن بختيار ابى الجوائز المطامـيرى قصـائد عارضت شـعر مهيار وزنا وقافية وروحا[١١] ، كما تابع العماد ملاحظة هـذه الظاهـرة الفنية وذكر لنا ان الشاعر التراب السوسي في المغرب من المعجبين بشعر مهيار ولـــه

---

(٩) خريد القصر القسم العراقي جـ ١ ص ١٠٢
(١٠) خريدة القصر القسم العراقي جـ ١ ص ١٠٣ ـ ١١٧
(١١) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٩٦ ـ ١٩٧

قصيدة على وزن قصيدة فمهيار (بكر العارض ...) ويذكر العماد هـذه القصيدة وهي كما تبدو صورة لقصيدة مهيار الشهيرة(١٢) .

وليس غريبا ان يعجب عماد الدين الاصفهاني بشعر مهيار ، ويكثر من متابعة هذه الظاهرة الفنية على تقليد شعر مهيار فقد اصبح هذا التقليد طابعا فنيـا عاما . والعماد نفسه جرى مجرى مهيار ، « وهو في طريقته ـ كما يقول الاثرى من الرقة والسلاسة والاتساع في العبارات وأمتداد النفس كان يجرى مجـرى مهيار ، ولعل في شعره لو مزج بشعر مهيار لالتحم به ، وما بان غريبا عنه »(١٣) .

ويظهر لنا ان مهيار لم ينفصل فنيا عن استاذه الرضي عبر العصور الادبية وقد عورضت قصائد الشريف الرضي ومهيار معا ، ونجد صورة لهذه المعارضة في شعر الابيوردى اذ يعارض مهيار والشريف في مقدماته الاستنهاضية ويتـابع الحجازيات في اوزانها وقوافيها وصورها(١٤) ، ويظهر لنا هذا الارتبـاط بين الرضي ومهيار في وصف شاعرية المؤرخ ابن الجوزى ، فشعره كما وصفه ابن جبير في رحلته : « اما نظمه فرضي الطباع مهيارى الانطباع »(١٥) .

ولن ينتهي اعجاب النقاد وأهل الشعر بمهيار ومعارضـة قصائـده . وفي القرن التاسع للهجرة نجد اعجاب ابن حجة الحموى لاحد ود له ، فقصائد مهيار في نظره سارت بمحاسنها الركبان ، وانسجاماته ينسجم الدمع لرقتها ، وقـد ادى هذا الاعجاب بأبن حجة الى كتابة قصائد عديدة يعارض فيها مهيار في روحه وأسـلوبه(١٦) .

ولا نعجب بعد هذا اذا عرفنا ان الاعجاب بقصائد مهيار امتد الى الاستهلال والمقدمة النسيبية والختام القائم على الدعاء والاتساع في التعبير ومراعاه السهولة

---

(١٢) المصدر نفسه القسم الرابع شعراء صقلية والمغرب ج ١ ص ١٥٤ ـ ١٥٨
(١٣) المصدر نفسه ـ القسم العراقي ج ١ مقدمة الأثري
(١٤) الأبيوردي ـ دراسة ممدوح حقي ص ١٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٢٥
(١٥) رحلة ابن جبير ـ تحقيق حسين نصار ص ٢٠٧
(١٦) خزانة الأدب ص ٦٠ ، ١٩٥ ، ٢٢١

والميونة • وفي شعر عبدالغفار الاخرس نماذج واسعة للمعارضة وتقليدالاسلوب، وامتداد جذور التقليد للاساليب المهيارية ، ونجد صورة واضحة المعارضة في قول الاخرس :

بـارق لاح فأبكانـــي ابتســـاما   نبّـــه الشوق من الصب وناما[17]

وهي تقليد لقصيدة مهيار الميمية الشهيرة اقتبس منها الشاعر اســـلوبها وصورها ومعانيها ، كما قلده في قصائد اخرى نجدها في ديوانه[18] •

وهذا الاعجاب الواسع بقصائد مهيار واسلوبه ليس دليلا على شاعرية فـذة وابداع ، فهو تطور طبيعي للشعر العربي وهو يأخـــذ طريقه في خط للتقليد والتقولب ابتداء بالشريف الرضي الذي حمل تلميذه اثقال التقليد ، وقـد ساهمت ضحالة الثقافة العربية في نمو مظاهر التقليد والتكرار ، وهي ان بدأت بشعر مهيار فان الذين جاؤا بعده اوضحوا هذه الظاهرة في شعرهم • ولاشك في ان التأثيرات الصوفية قد اثرت بشكل واضح في نمو الاسـلوب المهيـاري بطابعه الحجازى العقيف عبر هذا التاريخ الطويل من الجدب الفني •

والواقع ان مهيار اعطى للشعر العربي مفهوما جديدا في التزام التقاليد العربية واصطناع اصولها ، ولم يكن هذا الالتزام باللفظة العربية الاصيلـة او الصورة المركزة ، وانما كان بالاكثار من مواضع البادية والحنين اليها وتتبـع الركب فيهـا •

وكان هذا الشعر الجديد هو الشعر الحضرى المتبدى التي امتدت جذوره الى بداية عصر النهضة ، واستطاع الشعراء المجدون ان يعرفوا طريقهم بالنظر في اساليب الشعر العباسي المتمثلة بالبحتري وأبي تمـام وغيرهـم ، وقـد بـدأ البارودى هذه النهضة ليجدد الشعر متخلصا من تقاليد مهيـار وقوالبـــه التي اصبحت الصورة الفنية عبر قرون طويلة •

---

(١٧) ديوان عبدالغفار الأخرس ـ استنبول سنة ١٣٠٤ هـ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣
(١٨) المصدر نفسه ص ٢٦ ، ٢٤ ، ٣٤ ، ٣٦

ولابد من القول ان مهيار ليس شاعرا غير جدير بالاهتمام والدراسة ، وليس الشك في اعجاب الناس به دليلا على ضالة قيمة هذا الشاعر ، فهو يبقى صورة حسنة لعصره في غلوه الشيعي وتعصبه الشعوبي وفي خضوعه لتقاليد العصر .

وهو بعد ذلك مثال للشاعر الغريب على لغة العرب ، وكان لهذه الغربة أثرها في ضياع الاسلوب الاصيل والاخذ بأسلوب التوسع والاسهاب ، وهو ايضا مثال نادر للتلمذة الشعرية لن تجود بها العصور ، وكأني به افتتح باب المعارضة لقصائد الرضي لتكون من بعده نشاطا شعريا واسعا .

ويستطيع المتفحص للنصوص الشعرية المتناثرة في الخريدة وخزانة الادب وغيرها من الكتب والدواوين ان يقدر ان هذه النماذج المقلدة لشعر مهيار من الممكن ان تضم الى قصائد مهيار لولا كثرة الصناعة اللفظية وتخفف مهيار من اعبائها .

لقد كان مهيار شاعرا مقلدا قليل التنوع والابتكار شهدت قصيدة المديح على يديه بداية النهاية في الشكل والمحتوى ، الا انه بقي يثير الاغراء والاعجاب برقة شعره ، وسهولة الفاظة وموسيقاه ، وأحتفظ لنفسه بأسلوب خاص يصح ان نطلق عليه الاسلوب الحضرى المتبدى في الشعر ، وهو اسلوب ظل قائما في الشعر العربي فترة طويلة .

الملحق

نظرة في مصادر البحث ومراجعه

مهيار الديلمي من الشعراء الذين لم تنصفهم المصادر على مختلف اتجاهاتها التاريخية والفنية والمذهبية ، وبقيت اخبارها القليلة النادرة تتناقلها هذه المصادر دونما تقديم اية حقائق اساسية عن حياة الشاعر وما يحيط بها ، ويبقى ديوان الشاعر الكبير مصدرا رئيسا عن حياته رغم قلة التفات مهيار الى اخباره الشخصية في شعره .

ومن الممكن تصنيف هذه المصادر والمراجع اعتمادا على تسلسلها الزمني واتجاهاتها المذهبية ، وطريقتها في التأليف مجموعة في الابواب التالية :

اولا ـ كتب التراجم والتاريخ .

ثانيا ـ الكتب المعنية بالظواهر الفنية .

ثالثا ـ كتب تاريخ الادب العربي .

رابعا ـ الدراسات الحديثة التي درست الشاعر منفردا او مع الظواهر الفنية العامة .

واول ترجمة للشاعر في كتب التاريخ هي الترجمة الموجبة التي كتبها الخطيب البغدادي (ت ٤٦٢ هـ) في تاريخ بغداد ، وأهم ما فيها ان الشاعر له طلابه ومعجبوه يدرسون شعره عليه ، وأكد الخطيب رؤيته للشاعر في جامع المنصور ، ولم يسعفه الوقت للاستماع في حلقته(١) .

وأهمية ترجمة الخطيب البغدادى في كون المؤلف معاصرا للشاعر ، وصاحب اقدم ترجمة له . وقد الحق بمهيار اقب الشاعر والكاتب على عادة الخطيب في بيان ما يشتهر به المترجم له . ولن نستطيع مطالبة الخطيب بترجمة واسعة عن الشعراء ، فهم آخر من اهتم بهم المؤلف في تاريخه .

وفي القرن السادس للهجرة تطالعنا ترجمتان مختلفتان في الموقف تجاه الشاعر : الاولى كتبها المؤرخ ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ) في كتابه معالم

---

(١) تاريخ بغداد جـ ١٢ ص ٢٧٦

العلماء[٢] ، وهو خاص بتراجم الشيعة وفيه فصل عن الشعراء • وجاءت ترجمة لمهيار موجزة قصيرة اشار فيها المؤلف الى ان مهيار من شعراء آل البيت المجاهدين ومن غلمان الشريف الرضي ، ويظهر ان مفهوم (الغلمنة) هو الرعاية التي اسبغها الرضي على تلميذه مهيار • وليس معقولا ان يقصد بها غير ذلك ، فالمؤلف من مؤرخي الشيعة المعروفين بالتقوى والصلاح وصدق الرواية وكثرة الخشوع[٣] • وقد نقل ابن شهر آشوب حادثة مهيار مع الفقيه الحنفي ابن برهان بشكل يخدم اتجاهه المذهبي ، وأثبت كنيته (ابو الحسين) وهي الكنية التي تناقلتها كتب التراجم الشيعية •

اما الترجمة الثانية فهي ترجمة ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) في كتابه المنتظم ، وهي ترجمة حسنة واسعة فيها تفصيل لقصة مهيار مع ابي القاسم بن برهان حول سب الصحابة ، وهي القصة التي تبقى متداولة في كتب التراجم والتاريخ ، كما ان المؤلف اوضح مجوسية الشاعر وأسلامه ورافضيته ، وأشار الى محل سكناه ووفاته ، ونقل حادثة اعتقال مهيار في عهد جلال الدولة[٤] •

وكان من المنتظر ان نجد عند ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) ترجمة واسعة في معجم الادباء تليق بمهيار اسوة بزملائه الذين ترجم لهم ياقوت • ولكن ياقوت لم يذكر لنا مهيار بترجمة غفلة او تعمدا ، الا انه ذكر مقطوعات من شعره في الترجمة التي كتبها عن الوزير احمد الضبي[٥] •

وفي القرن السابع للهجرة كان اهتمام ابن الاثير واسعا بمهيار ، حيث كرر ذكره في تاريخه كشاعر يرتبط اسمه ببعض الحوادث التاريخية ، وترجم له ترجمة موجزة في حوادث سنة (٤٢٨ هـ) •

وقد اشار ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) الى مجوسية الشاعر واسلامه وحدد

---

(٢) معالم العلماء ص ١٤٦
(٣) لسان الميزان ـ ابن حجر العصقلاني طبعة الدكن ١٣٣١ هـ ج ٥ ص ٣١٠
(٤) المنتظم ج ٨ ص ٩٤
(٥) معجم الأدباء ج ٢ ص ١١٢ وما بعدها

اعلان اسلامه ، وأكد صحبته للشريف الرضي ، كما اعـاد قصته مع ابـن برهـان[٦] .

وكانت ترجمة ابن خلكان في وفياته اوسع ترجمة كتبت عـن الشاعر ، نقل فيها المؤلف الاخبار التي وردت عند البغدادي والباخرزى وابن بسام ، وقدم ملاحظات نقدية حسنة عن شعر مهيار وموازنته لقصائد الرضي وتلمذته لـه كما نقل ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) خبر اسلامه على يد الرضي ، وأثبت كنيته (ابو الحسين) ، وحدد اجزاء ديوانه ، واستشهد بمقطوعات من شعره ، وثبت نصا شعريا نسب لابن مهيار خطأ[٧] .

وتبقى ترجمة ابن خلكان ذات اهمية كبيرة باخبارها وملاحظاتها النقدية ، لانها مصدر اساس لكتب التراجم والتاريخ التي ترجمت لمهيار بعد ابن خلكان ، كما اعتمدت كتب الرجال الشيعية هذه الترجمة الحسنة .

اما القرن الثامن للهجرة فكان حافلا بتراجم كثيرة عن مهيار . وقـد اهتمت كتب التراجم والتاريخ في هذا القرن اهتماما واسعا ، وان كانت هذه التراجم قد اعتمدت على النقل من الكتب السابقة ، ولم تقدم جديدا عن حيـاة الشاعر وأخباره .

ومن ترجمات القرن الثامن ترجمة أبى الفدا (ت ٧٣٢هـ) وهي صـورة حرفية قريبة من ترجمة ابن الاثير في الكامل ، وزاد عليـه ابو الفـداء في نقـل احدى قصائد مهيار الشعوبية المشهورة[٨] .

وكان الحافظ الذهبي اكثر المؤرخين في القرن الثامن اهتماما بمهيـار ، وقد خصه بترجمة موجزة في كتابه (العبر في خبر من غبر) وسماه بالكاتب الشاعر المشهور ، واكد على تلمذته للشريف الرضي وأسلامه على يديه ، كما

---

(٦) الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ١٤

(٧) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٤٤١ ـ ٤٤٤

(٨) المختصر في اخبار البشر جـ ٢ ص ١٦٠ ـ ١٦١

ذكر ديوانه وأجزاءه ، وأشار الى تطرفه في تشيعه[٩] •

وضبط الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) اسم مهيار في كتابه (المشتبه في الرجال) ، واعاد رأيه في كون مهيار شاعر زمانه[١٠] • ووضع المؤلف ترجمة موجزة لمهيار في كتابه الثالث (سير اعلام النبلاء) ذكر فيها خبر اسلام مهيار تلمذته للشريف الرضي ، ووصف ديوانه[١١] •

وهناك ترجمتان متقاربتان في تسلسل المعلومات واسلوب العرض والنص احيانا : الاولى لابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) في كتابه عيون التواريخ ، والثانية للصفدى (ت ٧٦٤ هـ) في كتابه الوافي بالوفيات • وقد اعتمد المؤلفان على المصادر التاريخية السابقة امثال تاريخ بغداد ودمية القصر ووفيات الاعيان والكامل فيي التاريخ •

وقد اشترك المؤلفان في نقل خبر جديد عن ممارسة مهيار للكتابة ، وذكرا ما نصه « وقيل انه ـ اى مهيار كاتب درج بدمشق » • ومهيار كما بدأ لـي من حياته وديوانه لم يعرف دمشق ، ويبقى هذا الخبر مقتصرا على هاذين المصدرين اللذين وقعا في وهم مشترك • وقد امتاز هذان المصدران بكثرة النصوص الشعرية المشتركة التي رويت من شعر مهيار[١٢] •

ونستطيع ان نضع مع هذه التراجم ما كتبه اليافعي في مرآة الجنان ، وقد اعتمد في ترجمته الموجزة على ابن خلكان ونقل عنه اخبار مجوسية مهيار واسلامه على يد الرضي[١٣] • اما ابن كثير الشامي (ت ٧٧٤ هـ) فكانت

---

(٩) العبر في خبر من غبر جـ ٣ ص ١٦٧
(١٠) المشتبه في الرجال جـ ٢ ص ٥٨٢ ، ١١٩
(١١) سير اعلام النبلاء جـ ٢٦ ورقة ١٠٣
(١٢) الوافي بالوفيات جـ ٢٦ ورقة ١٢١ ـ ١٢٥ ، وعيون التواريخ جـ ١٣ ورقة ١٦٦ ـ ١٧٧
(١٣) مرآة الجمان وعبرة اليقان ـ اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) طبعة الدكن ١٣٣٨ جـ ٣ ص ٤٧

ترجمته اعادة لاخبار ابن الجوزى ونقلا للنصوص الشعرية التي اوردها[١٤] •

ومن الممكن ان نضع مع هذه التراجم الترجمة التي كتبها ابن تغرى بردى الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ) في كتابه النجوم الزاهرة • وهي اعادة للاخبار التي تناقلتها الكتب التاريخية عن مهيار ، ولم يأت المترجم بجديد[١٥] •

وتبقى اخبار مهيار معادة مكررة لا جديد فيها ، ونجد صورة لهذه الاخبار مجموعة بشكل واسع في (شذرات الذهب في اخبار من ذهب) لابن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩) ، وقد حاول المؤلف ان يضم في ترجمته اهم ما جاء عن مهيار عند المؤرخين السابقين[١٦] •

وفي الفترة نفسها نجد ترجمة اخرى كتبها مؤرخ شيعي هو سيد نورالله شوشترى (ت ١٠١٩ هـ) في كتابه مجالس المؤمنين• ويلاحظ ان هذه الترجمة التي كتبها مؤرخ فارسي باللغة الفارسية اعتمدت المصادر العربية كالمنتظم ومرآة الجنان والبداية والنهاية • ولم يضف المؤلف شيئا سوى تأكيد نسب مهيار الكسروى والاشادة بشعره وموقفه المذهبي[١٧] •

وتتوارد التراجم المكررة عن مهيار ، تتناقلها كتب الرجال الشيعية معتمدة على المصادر التاريخية السابقة • وفي القرن الثاني عشر للهجرة وضع يوسف بن يحي الصنعاني (ت ١١٢١ هـ) ترجمة واسعة لمهيار في كتابه نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر »[١٨] •

وقد بدأ الصنعاني ترجمته بمقدمة تقرير مسجوعة اشار فيها الى اسلام مهيار وتلمذته للشريف الرضي • ووضع الصنعاني مهيار مع شعراء يتيمة

---

(١٤) البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٤١

(١٥) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٦

(١٦) شذرات الذهب جـ ٣ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣

(١٧) مجالس المؤمنين جـ ٢ ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣

(١٨) نسمة السحر خا (كاشف الغطاء) ص ٤٢٠ ـ ٤٢٥ جـ السماوي ص ٤٨٥ ـ ٤٨٩

الدهر ، وهو خطأ واضح ، فالثعالبي لم يذكر مهيار اصلا في يتيمته • وقد قدم الصنعاني بعد ذلك اقوال المؤرخين في مهيار امثال البغدادي والباخرزي وابن خلكان ، وحفلت هذه الترجمة بكثرة النماذج الشعرية وبالاهتمام بالنواحي الفنية في تقدير فنون الشعر عند مهيار ، وتأكيد تلمذته للرضي ، كما اكد المؤلف اتجاه مهيار الامامي في المذهب •

ولم يضع علي خان الشيرازي (ت ١١٢٠ هـ) ترجمة لمهيار في كتابه « الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة » رغم اعجاب المؤلف بقصيدتي مهيار في رثاء الرضي ، حيث تحدث عنهما في الترجمة الخاصة بالشريف الرضي ، وقد جاء اسم مهيار معرفا (بآل) لاول مرة[١٩] •

اما كتب التراجم الحديثة التي اهتمت بمهيار ، فهي فقيرة في اخبارها تعتمد على النقل دائما ، ويبدو ان هذه الكتب اعتمدت على الترجمة الموجزة التي كتبها ابن شهر آشوب عن مهيار ، وظلت تردد اقواله ، كما اعتمدت على التراجم التي كتبها البغدادي والباخرزي وابن الجوزي وابن خلكان •

ومن هذه التراجم الترجمة التي كتبها ميرزا محمد استرابادي (ت ١٣١٣ هـ) في كتابه منهج المقال في احوال الرجال[٢٠] • والترجمة نقل حرفي لما جاء في كتاب معالم العلماء ، وزاد عليه في اثبات رأي نقدي عن مهيار يقول « قال بعض العلماء خيار مهيار خير من خيار الشريف وليس للشريف رديء أصلا » • ويبدو ان هذا الرأي حديث النشأة ، حيث انه لم يرد في كتب النقد والتاريخ •

اما الظاهرة الثانية في هذه الترجمة فهي كثرة الاستشهاد بشعر مهيار الشيعي ، كما اشارت هذه الترجمة الى الاخبار التي جاءت عن مهيار في تاريخ بغداد ودمية القصر ووفيات الاعيان • وهذه الظاهرة تكاد تكون عامة فكتب

---

(١٩) الدجات الرفيعة ص ٤٧٨ ـ ٤٧٩

(٢٠) منهج المقال في احوال الرجال ـ طبعة حجرية طهران ١٣٠٧ ص ٥١١

التراجم الشيعية اعتمدت على هذه المصادر الى حد كبير في ترجمة الشاعر •

وكان الشيخ عباس القمي من اكثر المصنفين المحدثين اهتماما بمهيار وقد كتب ترجمة له في كتاب (فوائد الرضوية) معتمدا على ابن شهر آشوب في معالم العلماء والحر العاملي في (أمل الآمل)(٢١) ، وكانت الترجمة الثانية في كتابه (سفينة البحار) وهي صورة حرفية بما جاء في كتابه الاول من نقول عن البغدادى وابن شهر آشوب وابن خلكان والعاملي ، واعاد النماذج الشعرية المذهبية التي وردت في (منهج المقال) كما كرر الرأى النقدى الذى يدور حول مقارنة شعر مهيار بشعر استاذه الرضي(٢٢) • ولا يضيف القمي جديدا عن مهيار في كتابه الثالث (الكني والالقاب) الذى نقل فيه اعجاب علي خان الشيرازى بقصيدتي مهيار في رثاء الرضي ، واعتمد اخبار البغدادى والباخرزى وابن خلكان(٢٣) •

وقد اهتم الشيخ الاميني اهتماما واسعا بمهيار في كتابه (الغدير في الكتاب والسنة والادب) ، وخصص صفحات واسعة عن الشاعر اعتمد فيها المصادر التاريخية المعروفة ، وحاول ان يجمع الاخبار الخاصة به بشكل واسع ، وناقش المؤلف قضية ضعف الاخبار عن مهيار محاولا ان يفسر هذه الظاهرة تفسيرا مذهبيا ، مؤكدا التعمد في اغفال شأن مهيار نظرا لموقفه المذهبي الصريح وقرر ان تلمذته كانت على يد الشريفين الرضي والمرتضى والشيخ المفيد دون الاعتماد على سند تاريخي يؤكد هذه التلمذة ، كما اكد نسبه الكسروى واستشهد بنماذج واسعة من شعره • ورغم سعة هذه الترجمة تبقى احكام الاميني بعيدة عن الموضوعية في معالجة الحقائق المتعلقة بحياة الشاعر وأخباره(٢٤) •

---

(٢١) فوائد الرضوية خاص بعلماء الجعفرية ـ بالفارسية كتبخانة مركزي طهران ١٣٢٩ ص ٦٨ وانظر (أمل الأمل) القسم الثاني ترجمة مهيار ص ٣٢٩ ـ ٣٣٢ طبعة الآداب نجف ٣٨٥ هـ

(٢٢) سفينة البحار المطبعة العلمية نجف ١٣٥٥ جـ ٣ ص ٥٦٣ ـ ٥٦٤

(٢٣) الكنى والألقاب مطبعة العرفان صيدا ١٣٥٨ ص ٢٤٥

(٢٤) الغدير في الكتاب والسنة والأدب ـ عبدالحسين الأميني ط طهران جـ ٤ ص ٢٣٢ ـ ٢٦١

ومن التراجم الحديثة التي اعتمدت على النقل بعيدة عن التدقيق والتفحيص الترجمتان اللتان كتبهما السيد حسن الصدر في كتابيه (تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام) ومختصره (الشيعة وفنون الاسلام) • وقد اعتمد على تاريخ بغداد ودمية القصر ووفيات الاعيان ، وفضل ان يكنى الشاعر بـ (ابو الحسين) مسايرا ابن شهر آشوب ، كما اكد نسب مهيار الكسروى نقلا عن نسمة السحر ، ونقل عن الباخرزى القصيدة التي نسبت الى مهيار في ترجمة موجزة عن ابنه دون الالتفات الى مناقشة ابن خلكان لهذه النسبة[٢٥] •

وكان من المنتظر ان يقدم الشيخ محسن العاملي ترجمة واسعة عن مهيار في موسوعته التاريخية (اعيان الشيعة) ، الا انه اشار اليه في خبر موجز ضمه الجزء الاول من كتابه ونقل اخباره من نسمه السحر ووفيات الاعيان ، وقد وعد العاملي بترجمة واسعة عن الشاعر في الاجزاء القادمة ، الا ان ورقة مهيار بقيت بيضاء ، ولم اجد في الاجزاء التي صدرت بعد وفاة المؤلف ترجمة للشاعر[٢٦] •

ولدينا ترجمة لمهيار كتبت بالفارسية في كتاب (تاريخ كيلان) لمؤلفه حسن كيلاني ، وقد ضم الكتاب تراجم لاهل كيلان من علماء وكتاب وشعراء ، واعتبر مهيار واحدا من أهل هذه المدينة[٢٧] • وقد نقل المؤلف اخبار ابن خلكان في وفياته ، ولم يأت بجديد عن مهيار • وأهم ما في هذه الترجمة اعتبار مهيار من اهل كيلان • اما الاخبار الاخرى فهي معتمدة على المصادر التاريخية العربية •

ويظهر ان الكتب الفارسية التي اهتمت بمهيار اعتمدت على المصادر العربية في اخبارها ، كما يبدو في ترجمة سيد نورالله الشوشترى وترجمة حسن كيلاني

---

(٢٥) تأسيس الشيعة لعلوم الأسلام ـ حسن الصدر شركة النشر والطباعة بغداد سنة ٩٥١ ص ٢١٤ ـ ٢١٥ والشيعة وفنون الأسلام ط العرفان صيدا ١٣٣١ هـ ص ١٠٧

(٢٦) اعيان الشيعة ـ محسن العاملي ط ابن زيدون دمشق ١٩٧٥ ـ جـ ١ ص ٣٩١

(٢٧) تاريخ كيلان ـ حسن كيلان ط طهران سنة ١٣٢٨ هـ ص ١١٤

في كتابه المحدث عن أفاضل كيلان •

ولابد من الاشارة الى ترجمتين موجزتين كتبنا عن مهيار : الاولى في كتاب الاعلام لخير الدين الزركلي تميزت بحسن النقول والمصادر المعتمدة[٢٨]، والثانية لعمر رضا كحالة في كتابه معجم المؤلفين ، بأشاراتها الواسعة الى مصادر دراسة مهيار المطبوعة والمخطوطة[٢٩] •

المصادر التي اهتمت بالنواحي الفنية :

اقرب مصدر الى مهيار اهتم بالنواحي الفنية هو (يتيمة الدهر) وقد اغفل الثعالبي ذكر مهيار رغم انه استشهد بنماذج كثيرة من شعراء عصره امثال الرضي وابن نباته والسلامي وغيرهم من شعراء عصر بني بويه • وقد اشرت سابقا الى وضع يتيمة الدهر وزمن تأليفها ، وكونه تم قبل اكتمال شاعرية مهيار وشهرته ، الصعوبة ان نفترض اسبابا اخرى لهذا النكران ، فليس مقبولا ان يكون تشيعه سببا في هذا الحرمان ؟ فيتيمة الدهر حافلة بشعراء الشيعة ونماذج شعرهم

وقد انصف ابو الحسن الباخرزى (ت ٤٦٧ هـ) الشاعر مهيار وقدم له ترجمة حسنة اشاد فيها بفضله كاتبا وشاعرا ، وأطراه كثيرا ، وذكر مقطوعة من شعره ، واتبع هذه الترجمة بكلمة موجزة عن ابن مهيار ، ونسب اليه احدى قصائد مهيار الشهيرة[٣٠] • وقد تميزت هذه الترجمة بطابعها الفني ، فهي تزودنا بشيء جديد عن اخبار مهيار •

ويبدو اثر التيارات المذهبية والفنية واضحا في عدد من الكتب التي الفت في القرن الخامس للهجرة وتعرضت لفنون الشعر والنثر مستشهدة بأمثلة واسعة من شعر الشعراء المحدثين • فمهيار لم يستشهد بشعره في زهر الآداب ولا في العمدة في الشعر ، بينما يستشهد بشعره ويهتم به في كتب بعض المؤلفين المتشعين

(٢٨) الأعلام ـ خير الدين الزركلي ط ٢ جـ ٧ ص ٢٦٤

(٢٩) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ط الترقي سنة ٩٦١ جـ ١٣ ص ٣٢ ـ ٣٣

(٣٠) دمية القصر ـ ابن الحسن الباخرزي المطبعة العلمية حلب ٩٣٠ ص ٧٦ ـ ٧٧

امثال ابن سنان الخفاجي في (سر الفصاحة) واسامة بن منقذ في كتابه (البديع في الشعر) .

وتدل ملاحظات ابن سنان الخفاجي على اطلاع واسع ودراسة دقيقة لديوان مهيار ، حيث تتبع ظواهر التكرار فيه ووجد تبريرا فنيا مقبولا لها[٣١] كما اعجب اسامة بظرافة شعر مهيار وسهولته واورد شواهدا منه[٣٢] .

وكانت التفاتات العماد الاصبهاني (ت ٥٩٧ هـ) بارعة ومفيدة في أجزاء الخريدة ، وقد اشار الى شعر مهيار كمثال يحتذى ، ويقلد في اسلوبه وطابعه البدوى ، واورد امثلة كثيرة من قصائد مهيار التي عورضت بشكل واسع في القرن السادس للهجرة ، وكان العماد كما يظهر كثير الاعجاب بشعر مهيار وسهولته وظرافته[٣٣] .

وبقي مهيار بعد ذلك بعيدا عن متناول كتب الشعر والادب ما عدا الاشارات العابرة التي ذكرها ابن الاثير (ت ٦٣٧ هـ) في كتابه المثل السائر مستشهدا بمهيار كشاعر موفق في ابتداءاته الشعرية[٣٤] .

وكان ابن حجة الحموي (٨٣٧هـ) في كتابه (خزان الأدب) كثير الاهتمام بمهيار معجباً به ، معتبراً شعره مثالا حسناً في براعة الاستهلال وحسن الالتفات كما اشاد بغزله وأنسجام شعره ، وبعده عن التعقيد ، وقارنه بشعر استاذه الشريف الرضي [٣٥] .

وقد اعاد بعضا من هذه الملاحظات الفنية السيد علي خان في كتابه خطى

---

(٣١) سر الفصاحة ط محمد علي صبيح سنة ٩٦٢ ص ١١٩ ، ٢٣١ وغيرها
(٣٢) البديع في نقد الشعر تحقيق احمد بدوي ـ طبعة الحلبي ٩٦٠ ص ١١٧ ، ١٣٩
(٣٣) خريدة القصر وجريدة العصر ـ عماد الدين الأصفهاني قسم العراق جـ ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣ ـ ١١٧ ، جـ ٢ ص ١١٦ ـ ١٩٧
(٣٤) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ـ ضياء الدين بن الأثير مطبعة الحلبي ٩٣٩ جـ ٢ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦
(٣٥) خزانة الأدب ـ المطبعة الخيرية ص ٦ ، ٩ ، ٥٩ ، ١٥٣ ، ١٩٥ وغيرها

استاذه الرضي ، كما اشاد به شاعرا اجاد حسن الالتفات ووفق في تحقيق الانسجام في شعره ، وابتعد عن التكلف والتعقيد[٣٦] .

اما الدراسات الفنية الحديثة ، فقد اهتمت بمهيار بقدر ما تقتضيه طبيعة البحث ووجهته ، وكان الدكتور سيد نوفل موفقا في ملاحظاته عن مهيار ، وفي تحليله للظاهرة البدوية في شعره ، وتأثير التقاليد الشعرية والتشيع في هذا الاتجاه[٣٧] .

وقد درس الدكتور جميل سعيد وصف مهيار في كتابه (الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع للهجرة) ، واعتبر مهيار من الوصافين ، واكد نهجه البدوى ، اتفق مع سيد نوفل في تأكيد التزام مهيار بالتقاليد البدوية في وصفه لمظاهر الحياة الجديدة . وقدم الدكتور سعيد ملاحظات نافذة عن اهتمام مهيار بالطير والحمام والعصفور ، واشار الى اثر الطبيعة الفارسية في هذا الاتجاه[٣٨] .

وكان رأى الدكتور غناوى في كتابه (الادب في ظل بني بويه) متفقا مع رأى الدكتور جميل سعيد والدكتور سيد نوفل في ملاحظته لوصف السفينة في شعر مهيار والنهج البدوى الذى سار عليه الشاعر ، هذا الوصف . وقد اهتم الدكتور غناوى بمهيار في الفصل الخاص بأثر الروح الفارسي في الادب البويهي ، واعتبر اهتمال الشاعر بالنيروز والمهرجان من دلائل فارسيته ، ورد بعض اسباب بداوة شعره الى تقليده للشريف الرضي .

وقد اغفل الدكتور غناوى ذكر مهيار في الفصل الخاص بالاديب الرسمي في الوقت الذى يعتبر مهيار وجها شعريا رسميا في عصر بني بويه ، ولم يأخذ مهيار مكانة في بحث الدكتور غناوى كشاعر كبير له اتجاهه الخاص في تشيعه وتعصبه في هذا التشيع[٣٩]

---

(٣٦) انوار الربيع ــ ط ايران حجرية ص ٥ ، ٨٩ ، ١٢٣ ، ٤٢٠

(٣٧) شعر الطبية ــ سيد نوفل ط مصر ٩٤٥ ص ٣٤١ ــ ٣٤٢

(٣٨) الرصف في شعر العراق ص ١٧٨ وما بعدها

(٣٩) الأدب في ظل بني بويه ص ٨٤ ، ٨٥ ، ١٥٢ ، ١٧٠ ، ١٨٩

وكتب الدكتور زكي مبارك في كتابه (المدائح النبوية في الادب العربي) فصلا عن شعر مهيار في هذا الباب فيه كثير من الجدة والطرافة • وقد اعتمد الدكتور مبارك على النص الشعرى في تأكيد ولاء مهيار وصدق تشيعه ، وصوفيته في هذا التشيع ، كما اعتبر فارسية مهيار سببا من اسباب اندفاعه المذهبي(٤٠) •

وكان الفصل الذى كتبه الدكتور شوقي ضيف من اوسع الدراسات التي كتبت عن مهيار ، وقد اعتبر الدكتور ضيف مهيار انموذج الواضح للتلفيق الشعرى ، وأكد صحة تلمذة مهيار فنيا ، واستبعد وجود الآثار الفارمية الملموسة في شعره • وقد حدد ملامح شعر مهيار بالنثرية وضعف العاطفة والتطويل ، واتفق مع سيد نوفل في تقدير اثر التصوف والتشيع في شعره واعتبر العناصر البدوية من القيم الفنية الاساسية في شعر مهيار(٤١) •

ورغم اهتمام الدكتور ضيف بملامح الفشل في قصيدة مهيار بحكم منهج دراسته فان الفصل الذى كتبه الباحث يبقى فتحا جديدا في تقويم شعر مهيار وتجديد سماته الفنية ، وتمثيله لظاهرة السقوط الفني للقصيدة العربية •

اما المقدمات التي كتبت عن مهيار في طبعات الديوان المختلفة فقد اعتمدت على النقل ، واحفلها المقدمة التي كتبها الشيخ محمد رضا الشبيبي تحت اسم (ابن الاعرابي) لطبعة الديوان ببغداد ، وقد اعتذر الشبيبي بضيق الوقت ، ووعد بمقدمة واسعة عن مهيار في الجزء الثاني من الديوان ، الا ان هذا الجزء لم يكتب له الظهور(٤٢) •

اما كتب تاريخ الادب العربي فلم تضف شيئا مهما وأساسيا عن حياة مهيار واخباره وشعره ، ولم تات بدراسة ناضجة عن النواحي الفنية ، وكانت كتب المستشرقين اكثر دقة وملاحظة من غيرها •

---

(٤٠) المدائح النبوية في الأدب العربي ــ الدكتور زكي مبارك مطبعة الحلبي ٩٣٥ ص ١٣٢ ــ ٢٤٠

(٤١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ــ ط ٤ ص ٣٥٥ ــ ٣٧٢

(٤٢) ديوان مهيار مطبعة الشابندر بغداد ١٣٣٢ هـ ج ١ ــ المقدمة

ومن المستشرقين الذين اهتموا بمهيار بروكلمان الذى كان كثير الحذر في معلوماته عن مهيار وحياته قبل اسلامه ، الا انه امدنا بمصادر حسنة عن دراسته[٤٣] . اما المستشرق براون فقد اعتبر قضية اسلام مهيار على يد الرضي مسألة ممتعة ، ورأى في انتشار ذكر مهيار الشعرى دليلا على التسامح الديني ، واكتفى بذكر سنة وفاته في ترجمته الموجزة ، ولم يشر وهو يدرس الادب العربي في ايران الى فارسية مهيار وحياته الأولى أو تأثره بالفرس واتجاهاته[٤٤] .

وكان المستشرق الفرنسي كليمان هوار اكثر سعة في اخباره عن مهيار ، قرر ولادته في كيلان وأشار الى ممارسته الكتابة في الديوان ، وأورد خبر مجوسيته واسلامه ، وأكد اعجاب الناس برقة شعره[٤٥] .

وكانت تراجم المؤلفين العرب في كتب الأدب العربي موجزة وفقيرة ، اعتمد أكثرها على النقل والملاحظة العابرة . ومن الاطالة ان نستعرض كتب تاريخ الامة العربية جميعها فكثير منها يغلب عليه الطابع المدرسي .

ونجد مثالا لهذه التراجم في ترجمة جورجي زيدان عن مهيار التي كتبها في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) ، وقد اعتمد على ترجمة ابن خلكان في اخباره وفي وصف شعره[٤٦] ، كما نجد شبيها لهذه الترجمة في كتاب (المنتخب في ادب العرب) لاحمد الاسكندرى وجماعته ، التى اقتصرت على اشارة عابرة اتكسب مهيار في الكتابة ، وغلوه في تشيعه ، وتقليده للشريف الرضي[٤٧] .

وكتب أحمد الاسكندري مصنفاً خاصاً به عن تاريخ الأدب العربي ، نقل

---

(٤٣) تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان جـ ٢ ص ٦٥ ـ ٦٦

(٤٤) تاريخ الأدب في ايران ـ براون ط السعادة مصر ٢٥٤ هـ ص ١٣٠

(٤٥) Luterature Arabe Cl. Huart — P. 87.

(٤٦) تاريخ آداب اللغة دار الهلال ٩٥٧ مراجعة شوقي ضيف ص ٣٠١ ٣٠٢

(٤٧) المنتخب في ادب العرب ـ المطبعة الأميرية مصر ٩٤٦ جـ ٢ ص ٦

فيه اخبار مهيار عن ابن خلكان ، وتصرف برأى صاحب الوفيات حول تلمذة مهيار للرضي ، وقرر ان قارىء ديواني الرضي ومهيار يظنهما واحدا ، وهـو رأى مغالى فيه لا يعتمد على الدراسة الهادئة والرأى النقدى السليم(٤٨) •

وقد تميزت كتب تاريخ الادب العربي التـي كتبت حديثـا بالاهتمـام بالدراسات المحدثة التي كتبت عن الشاعر ، وكان حنا فاخورى اكثـر المؤلفـين اهتماما بالدراسات الحديثة عن مهيار في الترجمة التي كتبها عنه ، وقد نقـل فيها اكثر آراء الدكتور شوقي ضيف في كتابه وعبدالرحمن شكرى في مقالتـه عن مهيـار(٤٩) ر•

وكان ما كتبه السباعي البيومي من أوسع التراجم التي قدمتها كتب تاريخ الادب العربي عن مهيار وقد ثبت في فصله هذا جهالة المؤرخين لمولده ونشأته ، واستعرض ديوانه وقصائده بإحصائيات واسعة طريقة ، ودرس مديحه كغرض اسـاس •

وقد درس السباعي تشيع مهيار وفارسيته ووصفه ، وانفرد برد ملامـح غزله الى تقليده للمتنبي ، واكتفى بتقرير المظاهرة العامة الاخرى لشعر مهيـار معتمدا على مقدمات القصائد(٥٠) •

اما الدكتور البصير فقد عقد فصلا واسعا لمهيار في كتابـه (في الادب العباسي) اعتمد فيه على جهده الشخصي في احكامه ودراسته للنص الشعرى ، وتناول أخطاء المطبوع ، ودرس فنون شعره ، ووضع الاصـناف العامـة لغـزل مهيار ، ووصفه بدقة التصوير وسعة الخيال ، وقد أكثر الدكتور البصير مـن الاحكام الحاسمة التي اعتادها في دراساته(٥١) •

---

(٤٨) تاريخ آداب اللغة العربية ط السعادة سنة ١٩١٢ ص ٢٥٥

(٤٩) تاريخ الأدب العربي ـ المطبعة البوليسية بيروت سنة ٩٥٣ ص ٧١٩ ـ ٧٢٠

(٥٠) تاريخ الأدب العباسي ـ الدكتور محمد مهدي البصير مطبعة النجاح بغـداد ٩٤٩ ص ٤٥١ ـ ٤٩٠

اما المقالات التي كتبت عن مهيار فأقدمها المقال الذى كتبه اسماعيل مظهر في كتابه تاريخ الفكر العربي - ويكاد يكون الكاتب من الاوائل الذين اهتموا بمهيار وكتبوا عنه ، وقد اشار الكاتب الى قلة الآهتمام بهذا الشاعر محاولا تأكيد الظواهر الفارسية في شعره مؤكدا على جنسه الآرى وأثره في الادب والشعر • اما تحديده لملامح شعر مهيار فكان وصفا عاما مكررا بعيدا عن التحديد الفني ، وقد ضاعت خبرة الكاتب الفنية في تطرقه ، واعتماده لنظرية الجنس الآرى ، وتبرير مميزات شعر مهيار على اساسها(٥٢) •

اما مقال الاستاذ عبدالرحمن شكرى فيكاد يكون مناقضا لطريقة الاستاذ مظهر في دراسته • وقد اهتم الاستاذ شكرى بالنواحي الفنية في شعر مهيار ودرسه بروح الناقد المنصف المتذوق ، وقرر صحة تلمذته للرضي ، وأظهر دهشته من ضعف تأثير العنصر الفارسي في شعره ، واعتبر طابعه البدوى من تأثير أستاذه الرضي • ولم يغفل الباحث اللون الموسيقى لشعر مهيار ، والاناقة المميزة له ، كما اكد ملاحظات طيبة حول ضياع معاني مهيار في سهولة شعره وتطويل قصيدته(٥٣) •

والمقال الثالث كتبه كاتب عراقي هو الشيخ عبدالحسين الحلي • واهم مافيه محاولة الكاتب ليدفع الشعوبية عن مهيار وأعتبار فخره بفارسيته امرا طبيعيا كما رد شعوبيته الى الفترة التي سبقت اسلامه(٥٤) •

وقد كتبت عن مهيار دراستان : الاولى بعنوان (مهيار الديلمي وشعره)(٥٥) كتبها الاستاذ علي علي الفلال ، ونال بها جائزة مجمع فؤاد الاول للغة العربية ، وهي دراسة حسنة بذل فيها الكاتب جهدا واضحا رغم عدم التزامه المنهج المحدد الواضح ، وكثرة الاحكام الافتراضية ، وقلة المصادر التي اعتمدها المؤلف •

---

(٥٢) تاريخ الفكر العربي ص ١٥٢ - ١٦٢

(٥٣) مجلة الرسالة المصرية السنة السابعة عدد ٢٨٩ - شعر مهيار

(٥٤) مجلة الأعتدال العدد العاشر - النجف سنة ٩٣٦ مقال على هامش الشعوبية

(٥٥) مهيار الديلمي وشعره - علي علي الفلال مطبعة الأعتماد مصر ١٩٤٨

وقد وفق الباحث في اعتماده على النص الشعرى الذى اصبح معتمده الاساس ، وبدأ دراسته بمقدمة موجزة لعصر مهيار ، ودرس شعوبيته وتشيعه ومديحه دراسة موسعة ، واعتمد فيها على ذوقه وجهده الشخصي ، كما درس فنون مهيار الاخرى وتطرق الى سرقاته ، وقد اعتبر الباحث شعوبية الشاعر العنصر المهم في حياته وشعره ، كما اهتم اهتماما عارضا لتلمذة مهيار للشريف الرضي رغم اهمية هذه الناحية وطرافتها •

ورغم العجالة التي كانت سمة البحث فأن لهذه الدراسة مكانتها في تقدير مهيار والاحاطة بشعره وفنونه •

اما الدراسة الثانية فهي التي كتبها السيد محمد علي موسى بعنوان (مهيار الديلمي) وقد بدأها بدراسة موجزة لعصر مهيار اتسمت بالطابع المدرسي ، وقد اعتمد على كتاب كتاب الفلال في كثير من احكامه • ويكاد يكون فصل المديح مشابها الى حد بعيد لملاحظات السيد الفلال وطريقة دراسته • ولم يزد المؤلف شيئا على ما أورده الفلال عن تشيع مهيار وشعوبيته ، وقد اعتمد المؤلف اسلوبا انشائيا في تحليل مقطوعات مهيار ، واختتم كتابه بوصف عام لشعر مهيار ومنزلته[٥٦] •

ويبدو لنا من هذا العرض ان مهيار لم يلق اهتماما واسعا قديما وحديثا وأكثر الكتب التي كتبت عنه اعتمدت على النقل من السابقين ، كما ان الدراسات الحديثة اقتصرت على مقالات متناثرة تفتقر الى العمق في النظرة والجرأة في البحث وتقرير الحقائق مما يجعل النظر في مهيار ودراسته تاريخيا وفنيا امرا لازما لتقدير منزلته واتجاهاته الفنية والفكرية •

---

(٥٦) مهيار الديلمي ـ محمد علي موسى دار الشرق الجديد بيروت ٩٦١ ط ١

المصادر والمراجع

(١) الابيوردى : الدكتور ممدوح حقي ـ دمشق دار اللقظة العربية بـــدون تاريخ •

(٢) ابن الرومي حياته من شعره : عباس محمود العقاد ـ القاهرة مطبعة السعادة الطبعة الرابعة ١٥٩٧ م •

(٣) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجرى : الدكتور محمد مصطفى هداره ـ القاهرة دار المعارف ٩٦٣ م •

(٤) الآثار الباقية عن القرون الخالية : ابو الريحان محمد بن أحمـد البيروني بغداد طبعة مكتبة المثنى عن نسخة لايبزك ٩٢٣ •

(٥) الاجناب والشعوب : وليم بويد ترجمة ابراهيم عبود ـ دمشق دار اليقظة العربية ٩٦٠ م •

(٦) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم : للمقدسي المعروف بالبشارى ـ بغداد طبعة المثنى عن طبعة ليدن ٩٠٩ م •

(٧) اخبار البحترى : أبو بكر محمد بن يحيى الصولي تحقيق الدكتور صالح الاشتر دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي ٩٥٨ م •

(٨) أدب المرتضى من سيرته واثاره : الدكتور عبدالرزاق محي الدين ـ بغداد مطبعة المعارف ٥٩٧ م •

(٩) الادب في ظل بني بويه : محمود غناوى الزهرى ـ القاهرة مطبعة الامانـة ٩٤٩ م •

(١٠) أدب الشيعة الى نهاية القرن الثاني الهجـرى : عبدالحسيب طـــه حميدة القاهرة مطبعة السعادة الطبعة الاولى ٩٥٦ م •

(١١) الاذكياء : ابو الفــرج عبدالرحمن بن علي بن محمــد بن الجــوزى ـ القاهرة المطبعة الميمينية ١٣٠٦ هـ •

(١٢) أسرار البلاغة : الامام عبدالقاهر الجرجاني شرح أحمد مصطفى المراغي القاهرة مطبعة الاستقامة بدون تأريخ •

(١٣) الاعلام : خيرالدين الزركلي ـ الجزء الثامن دمشق مطبعة كوستاتسوماس وشركاه الطبعة الثانية ٩٥٦ م •

(١٤) أعيان الشيعة : محسن الامين العاملي ـ الجزء الاول دمشق مطبعة ـ ابن زيدون ٩٣٥ م •

(١٥) الاغاني : ابو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني (١-٢١ جزء) القاهـــرة طبعة الساسي •

(١٦) الامتناع والمؤانسة ابو حيان التوحيدى (جـ١ ، جـ٢) تحقيق احمد امين وأحمد الزين ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر • الطبعة الثانيـــة القاهرة ٩٥٣م •

(١٧) أنوار الربيع على أنواع البديع : السيد علي خان الشيرازي ـ ايران طبعة حجرية ١٣٠٤ هـ •

(١٨) انت والوراثة : امرام شانيفلد ترجمة بشير اللوس ـ بغداد مطبعة الرابطة

(٢٠) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : (جـ ، جـ٢) اســماعيل باشا البغدادى ـ استنبول مطبعة المعارف ١٩٤٥-١٩٤٧ م •

(٢١) أيام العرب في الجاهلية : محمد أحمد جاد المولى وجماعته ـ الجزء الاول القاهرة مطبعة الحلبى ١٩٦١ •

(٢٢) البداية والنهاية : عمـادالدين اســماعيل بن عمـــر بن كثير القرشي (١٤ جزء) ـ القاهرة مطبعة السعادة ٣٥١ ـ ٣٥٨ هـ •

(٢٣) البديع في نقد الشعر : اسامة بن منقذ تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوى والدكتور حامد عبدالمجيد ـ القاهرة مطبعة الجلبي ٩٦٠ م •

(٢٤) بلدان الخلافة الشرقية من الفردوسي الى سعدى ـ ادوارد جرافيل براون نقله الدكتور أبراهيم الشواربي ـ القاهرة مطبعة السعادة ٣٥٤ هـ •

(٢٦) تاريخ الادب العربي : كارل بروكلمان (جـ٢ ، ٣) نقله الدكتور عبدالحليم النجار ـ القاهرة دار المعارف ٩٦١ ـ ٩٦٢ م .

(٢٧) تاريخ الادب العربي ـ السباعي البيومي الجزء الثالث ـ القاهرة مطبعة الرسالة ٥٩٨ م .

(٢٨) تاريخ الادب اعربي : حنا الفاخورى ـ بيروت المطبعة البولسية ٩٥٣ م .

(٢٩) تاريخ اداب اللغة العربية : جرجي زيدان ومراجعة الدكتور شوقي ضيف ـ القاهرة دار الهلال ٥٩٧ م .

(٣٠) تاريخ الادب العربي : الدكتور شوقي ضيف (الجزء الثاني) القاهرة ـ دار المعارف ٩٧٣ م .

(٣١) تاريخ آداب اللغة العربية : أحمد الاسكندرى وجماعته ـ القاهرة مطبعة السعادة ٩١٢ م .

(٣٢) تاريخ التمدن الاسلامي : جرجي زيدان الجزء الرابع ـ القاهرة مطبعة الهلال الطبعة الرابعة ٩٣٥ م .

(٣٣) تاريخ بغداد او مدينة السلام : الحافظ ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادى ـ (١٤ جزء) القاهرة مطبعة السعادة ٩٣٥ م .

(٣٤) تاريخ الاسلام السياسي : الدكتور حسن ابراهيم حسن ـ (الجزء الثاني والثالث) القاهرة ـ مطبعة الشيكتي ٩٤٩ـ٩٤٨ م .

(٣٥) تاريخ ابي الحسين هلال بن المحسن الصابي : باعتناء امدروز ومزغلبوث ـ طبعة المثنى عن الطبعة المصرية ٩٣٩ م .

(٣٦) تاريخ الفكر العربي : اسماعيل مظهر ـ القاهرة مطبوعات مجلة العصور ٩٢٨ م .

(٣٧) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام : حسن الصدر ـ بغداد شركة النشر والطباعة ٥٩١ .

(٣٨) تاج العروس من جواهر القاموس : الامام محب‌الدين المرتضى الزبيدي ـ القاهرة المطبعة الخيرية ١٣٠٦ هـ •

(٣٩) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء (نصوص ضائعة) : ابو الحسين هلال بن المحسن الصابي ـ تحقيق ميخائيل عواد بغداد مطبعة المعارف ٩٤٨ م •

(٤٠) تجارب الامم : ابو علي احمد بن محمد المعروف بمسكويه (الجزء ٥ـ٦) باعتناء آمدروز القاهرة مطبعة التمدن الصناعية ٩١٤ـ٩١٥ م •

(٤١) تراث فارس : لمجموعة المستشرقين باشراف آربري وترجمة محمد كنفاني وجماعته ـ القاهرة دار احياء الكتب العربية ٩٥٩ م •

(٤٢) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق : الدكتور زكي مبارك (الجـزء الثاني) القاهرة مطابع دار الكتاب العربي الطبعة الثانية ٥٩٦ م •

(٤٣) ثقافة الناقد الادبي : الدكتور محمد النويهي ـ القاهرة لجنـة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الاولى ٩٤٩ م •

(٤٤) الجذور التاريخية للشعوبية : الدكتور عبدالعزيز الـدورى بيروت دار الطليعة ٩٦٢ م •

(٤٥) حديث الاربعاء : الدكتور طه حسين (الجزء الثاني) القاهرة دار المعارف ٩٥١ م •

(٤٦) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى : آدم متز نقلـه محمد الهادى ابو ريده ـ القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (جزءان) الطبعة الثالثة ٥٩٧ م •

(٤٧) جريدة القصر وجريدة اهل العصر : عمادالدين الاصبهاني الكاتب •

أ ـ القسم العراقي (الجزء الاول) تحقيق محمد بهجة الاثرى والدكتور جمل سعيد ـ مبعطة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ٩٥٥ م •

ب ـ القسم العراقي (الجزء الثاني) تحقيق محمد بهجة الاثرى ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ٩٦٤ م •

جـ ـ قسم شعراء صقلية والمغرب الجزء الاول القسم الرابع ـ تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبدالعظيم القاهرة مطبعة الرسالة ٩٦٤ م .

(٤٨) خزانة الادب وغاية الارب : تقي‌الدين ابو بكر علي المعروف بابن حجة الحموى القاهرة ـ المطبعة الخيرية ١٣٠٤ هـ .

(٤٩) الخوارج والشيعة : ابو ليوس فلهوزن ترجمة عبدالرحمن بدوى ـ القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ٩٥٨ م .

(٥٠) دراسات في العصور العباسية المتأخرة : الدكتور عبدالعزيز الدورى ـ بغداد شركة الرابطة ٩٤٥ م .

(٥١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ـ السيد علي خان الشيرازى ـ النجف منشورات المكتبة الحيدرية ١٩٦٢ م .

(٥٢) دلائل الاعجاز : الامام عبدالقاهر الجرجاني ـ القاهرة دار المنار الطبعة الرابعة ١٣٦٧ هـ .

(٥٣) دمية القصر وعصرة أهل العصر : ابو الحسن علي بن الحسن الباخرزى حلب ـ المطبعة العلمية ٩٣٠ م .

(٥٤) ديوان ابو تمام : القاهرة ـ مطبعة حجازى ٩٤٢ م .

(٥٥) ديوان ابي الطيب المتنبي : تحقيق الدكتور عبدالوهاب عزام ـ القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ٩٤٤ م .

(٥٦) ديوان البحترى : (جزءان) بيروت المطبعة الادبية الطبعة الثانة ١٩١١م .

(٥٧) ديوان جرير : طبعة صادر وبيروت ٩٦٤ م .

(٥٨) ديوان جميل بثينة : تحقيق الدكتور حسين نصار ـ القاهرة دار مصر للطباعة بدون تاريخ .

(٥٩) ديوان دعبل الخزاعي : تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم بيروت ٩٦٢ م .

(٦٠) ديوان ذى الرمه : تحقيق كادليل مكالانتي ـ كامبرج ٩١٩ م .

(٦١) ديوان السموأل : دار صادر وبيروت ٩٦٤م •
(٦٢) ديوان سبط ابن التعاويذى : اعتناء مرجليوث ـ القاهرة مطبعة المقتطف ٩٠٣ م •
(٦٣) ديوان الشريف الرضي : (مجلدان) طبعة بيروت وصادر بيروت ٩٦١ م
ديوان الشريف الرضي : الجزء الاول تحقيق محمد محيالدين عبدالحميد القاهرة دار احياء الكتب العربية ٩٥٨ م •
(٦٤) ديوان الشريف المرتضي : تحقيق رشيد الصفار (٣ أقسام) القاهرة دار أحياء الكتب العربية ٩٥٨ م •
(٦٥) ديوان الصاحب بن عباد : تحقيق محمد حسين آل ياسين ـ بغداد مطبعة المعارف ط١ ٩٦٥ م •
(٦٦) ديوان عبدالله بن الدمينة : تحقيق راتب النفاخ ـ القاهرة مطبعة المدني ٣٧٩ م •
(٦٧) ديوان ديوان عبدالغفار الاخرس : طبعة استنبول ١٣٠٤ هـ •
(٦٨) ديوان مهيارالديلمي : (مخطوط) مكتبة الاثار بغداد (رقم ٥٣٨) •
(٦٩) ديوان مهيار الديلمي : (مخطوط) الجزء الثاني مكتبة الاثار بغداد (رقم ٣٤٨) •
(٧٠) دايون مهيار الديلمي : (مخطوط) مكتب الاثار بغداد (بدون رقم) •
(٧١) ديوان مهيار الديلمي : بأشراف أحمد نسيم (٤ أجزاء) مطبعة دار الكتب العربية ٩٢٥ ـ الطبعة الاولى القاهرة •
(٧٢) ديوان مهيار الديلمي : الجزء الاول بيروت : المطبعة الانسية ١٣١٤ هـ •
(٧٣) ديوان مهيار الديلمي : الجزء الاول ـ بغداد مطبعة الشابندر ١٣٣٢ هـ •
(٧٤) ذيل كتاب تجارب الامم : ابو شجاع محمد بن الحسين الملقب بظهر الدين الروذداوری ـ القاهرة مطبعة التمدن الصناعية ٩١٤م •
(٧٥) ذكرى المتنبي بعد ألف : عبدالوهاب عزام ـ بغداد مطبعة الجزيرة ١٩٣٦م •

(٧٦) رحلة ابن جبير : محمد بن أحمد بـن جبير الكنانـي الاندلسي تحقيق حسين نصار ـ القاهرة دار مصر للطباعة ٩٥٥ م •

(٧٧) رسوم دار الخلافة : تأليف ابو الحسين هلال بن المحسن الصابي تحقيق ميخائيل عواد بغداد مطبعة العاني ٩٦٤ م •

(٧٨) زهر الآداب وثمر الالباب : ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصرى القيرواني (جـ١ ، ٢) تحقيق علي محمد البجاوى ـ القاهرة دار احياء الكتب العربية ٩٥٣ م •

(٧٩) سر الفصاحة : ابو محمد عبدالله بن سعيد بن سفان الخفاجي تحقيق عبدالمتعال الصعيدى ـ القاهرة مطبعة محمد علي صبيح ٥٩٢ م •

(٨٠) سفينة البحار : الشيخ عباس القمي ـ النجف ـ المطبعة العلمية ١٣٥٥ هـ •

(٨١) السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية ، فان فلوتن ترجمة الدكتور حسن ابراهيم وزكي ابراهيم ـ القاهرة ـ مطبعة السنة المحمدية ٩٦٥ م •

(٨٢) سير اعـلام النبلاء : شمس الدين محمد بـن احمد عثمـان الذهبـي (مخطوط) مصورة عن المجمع العلمي العربي بدمشـق (٢٠٩) ـ جـ ١١ الورقـة ١٠٤ •

(٨٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابو الفلاح عبدالحمي بن احمـد الحنبلي • الجزء الثالث ـ القاهرة مطبعة القدسي ١٣٥٠ هـ •

(٨٤) شرح المعلقات العشر : ابو زكريا يحي بن علي التبريزى : القاهرة مطبعة محمد علي صبيح (بدون تاريخ) •

(٨٥) شرح الهاشميات : تحقيق محمد محمود الرافعي القاهرة ـ مطبعة شركة التمدن الصناعية الطبعة الاولى (بدون تاريخ) •

(٨٦) الشريف الرضي : الدكتور احسان عباس ـ بـيروت دار ٣٥٧ بـيروت وصادر ١٩٥٩ م •

(٨٧) الشاهناهه : الفردوسي ـ مقدمة الدكتور عبدالوهاب عزام ـ القاهرة دار الكتب ١٩٣٢ م ٠

(٨٨) شعر الطبيعة في الادب العربي : الدكتور سيد نوفل : القاهرة مطبعة مصر ١٩٤٥ م ٠

(٨٩) الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجـرى : الدكتور احمـد

(٩٠) الشهاب في الشيب والشباب : الشريف المرتضى مطبعة الجوائب ١٣٠٢ هـ٠

(٩١) الشيعة وفنون الاسلام : حسن الصدر ـ صيدا مطبعة العرفان ٣٣١ هـ ٠

(٩٢) الصراع بين الموالي والعرب : الدكتور محمد بديع شريف ـ القاهـــرة دار الكتاب العربي ١٩٥٤ م ٠

(٩٣) الصلة بين التصوف والتشيع : الدكتور كامل مصطفى الشيبي ـ جزءان ـ بغداد مطبعة الزهراء ٩٦٣ـ٩٦٤ م ٠

(٩٤) ضحى الاسلام : أحمد امين الجزء الاول مطبعة لجنة التأليف والترجمـة والنشر الطبعة الخامسة ٩٥٦ م القاهرة ٠

(٩٥) طبقات الشعراء : عبدالله بن المعتز تحقيق عبدالستار فراج ـ القاهرة دار المعارف ١٥٩٦ م ٠

(٩٦) طيف الخيال : الشريف المرتضى : تحقيق الدكتور صلاح خالص ـ بغداد دار المعرفة ١٥٩٧ م ٠

(٩٧) ظهر الاسلام : أحمدامين الجزء الاول ـ القاهرة مطبعـة خلف ٩٥٨ م والجزء الثاني مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧ م ٠

(٩٨) العبر وديوان المبتدأ والخبر : عبدالرحمن بن خلدون ٠
(المجلد ٣ والمجلد الرابع) دار الكتاب اللبناني ٥٩٧ـ٥٩٨ بيروت ٠

(٩٩) العبر في خبر من غبر : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبـي الجزء الثالث كريت تحقيق فؤاد السيد ١٩٦١ م ٠

(١٠٠) العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والاساليب : يوهان فك نقلـــه الدكتور عبدالحليم النجار القاهرة مطبعة دار الكاتب العربي ١٥٩١ م ٠

(١٠١) العقد الفريد : احمد بن عبد ربه الاندلسي (جـ٢ ، ٣) القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠ م ٠

(١٠٢) العمدة في محاسن الشعر وادابـه ونقده : ابـو علي الحسن بـن رشيق القيرواني (جزءان) تحقيق محمد محيالدين عبدالحميد ـ القاهرة الطبعة الثالثة مطبعة السعادة ١٩٦٤ م ٠

(١٠٣) عيون الانباء في طبقات الاطباء : احمد بن القاسم بن خليفـة الخزرجي (الجزء الثاني) بيروت دار الفكر ١٩٥٧ م ٠

(١٠٤) عيون التواريخ : محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي مصورة خاصة عـــن المجمع العلمي العربي بدمشق الجزء الثالث عشر ورقة ١٦٦–١٧٧ رقم (٣٤١٤) عام ـ الظاهرية ٠٠

(١٠٥) الغدير في الكتاب والسنة والتاريخ ـ عبدالحسين الاميني الجزء الرابـع طهران الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ ٠

(١٠٦) الغزل في العصر الجاهلي : الدكتور محمد أحمد الحوفي ـ القاهرة ـ مطبعة نهضة مصر ١٩٦١ م ٠

(١٠٧) فرق الشيعة : ابو محمد الحسن بن موسى النوبختي باعتناء رتز ـ استنبول مطبعة الدولة ١٩٣١ م ٠

(١٠٨) في الادب العباسي : الدكتور محمد مهدى البصير ـ بغداد مطبعة النجاح ٩٤٩ م ٠

(١٠٩) في التصوف الاسلامي وتاريخه : نيكلسون نقله ابو العلا عفيفي القاهـرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ م ٠

(١١٠) في الادب الجاهلي : الدكتور طه حسين القاهرة ـ دار المعارف ٥٩٢ م ٠

(١١١) قصة الادب في العالم : تصنيف أحمد امين وزكي نجيب محمود الجـزء

الاول القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣ م •
(١١٢) الكامل في التاريخ : ابو الحسن عزالدين بن الاثير •
الجزء (٦-٧) المطبعة المنيرية ١٣٥٣ هـ القاهرة •
الجزء (٨-٩) مطبعة الاستقامة (بدون تاريخ) القاهرة •
(١١٣) لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي بن منظور : دار بيروت وصادر ١٩٥٥-١٩٥٦ م •
(١١٤) لسان الميزان : ابن حجر ابو الفضل شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني الجزء الخامس طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٣١ هـ •
(١١٥) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ابو الفتح ضياء بن الاثير (جزءان) تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - القاهرة مطبعة الحلبي ٩٣٩ م •
(١١٦) محاضرات في الشعر الفارسي والحضارة الاسلامية : الدكتور علي اكبر فياض •• الاسكندرية مطابع دار الاصلاح (بدون تاريخ) •
(١١٧) المختصر في اخبار البشر : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفدا ء القاهرة : المطبعة الحسنية (بدون تاريخ) •
(١١٨) المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ الدبيقي : انتقاء محمد بن احمد بن عثمان الذهبي تحقيق الدكتور مصطفى جواد الجزء الثاني بغداد مطبعة دار الزمان ١٩٦٣ م •
(١١٩) المدائح النبوية في الادب العربي : الدكتور زكي مبارك - القاهرة مطبعة الجبلي ٩٣٥ م •
(١٢٠) مروج الذهب ومعادن الجوهر : علي بن الحسين بن علي المسعودى (جـ٣ ، ٤) تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - القاهرة مطبعة السعادة ٩٤٨ م ط٢ •
(١٢١) مرأة الزمان وعبرة اليقظان : عبدالله بن اسعد بن علي اليافعي اليمني الجزء الثالث - حيدر آباد الدكن ١٣٣٨ هـ •

(١٢٢) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع : صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادى (ثلاثة اجزاء) القاهرة دار احياء الكتب العربية ١٩٥٤-١٩٥٥ م الطبعة الاولى ٠

(١٢٣) المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها : الدكتور عبدالله الطيب المجذوب (جزءان) القاهرة مطبعة الحلبي ١٩٥٥ م ٠

(١٢٤) مسالك الممالك : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بالاصطخرى ليدن ١٩٢٧ م ٠

(١٢٥) المشتبه في الرجال اسمائهم وألقابهم : ابو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (جـ١ ، جـ٢) تحقيق علي البجاوى ـ القاهرة دار احياء الكتب العربية ١٩٦٢ م ٠

(١٢٦) مظاهر الشعوبية في الادب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجرى الدكتور محمد نبيه حجاب ـ القاهرة مطبعة نهضة مصر الطبعة الاولى ٩٦١ م ٠

(١٢٧) معجم البلدان : ابو عبدالله شهاب الدين ياقوت الحموى : (المجلد الثالث والسابع) القاهرة مطبعة السعادة ١٩٠٦ م ٠

(١٢٨) معجم ما ستعجم من اسماء البلاد والمواضع : ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكرى الاندلسي تحقيق مصطفى السقا (الاجزاء ١-٣) القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٥-١٩٤٦ م ٠

(١٢٩) معجم الادباء (ارشاد الاريب الى معرفة الاديب) : ابو عبدالله شهاب الدين ياقوت الحموى القاهرة ـ نشر الدكتور احمد رفاعي ٠

(١٣٩) معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة : الجزء (١٣) دمشق مطبعة الترقي ٩٦١م ٠

(١٣١) معالم العلماء : محمد بن علي بن شهو اشوب المازندراني ـ النجف المطبعة الحيورية ١٩٦١ م ٠

(١٣٢) الملل والنحل : ابو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني (جزءان)

تحقيق محمد سيد كيلاني القاهرة مطبعة البابي الحلبي ١٩٦١ م •

(١٣٣) مناقب آل ابي طالب: محمد بن علي بن شهراشوب المازندراني (٣ أجزاء) النجف المطبعة الحيدرية ١٣٧٦ هـ •

(١٣٤) المنتخب من أدب العرب : احمد الاسكندرية وجماعته الجزء الثاني القاهرة المطبعة الاميرية ٩٤٦ م •

(١٣٥) من ادب الحركات الاسلامية : الدكتور بدير متولي حميد ـ القاهرة مطبعة دار المعرفة (بدون تاريخ) •

(١٣٦) المنتظم في تاريخ الملوك والامم : ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزى (الجزء ٧ـ٨) حيدر آباد الدكن ١٣٥٣ـ١٣٥٨ هـ •

(١٣٧) منهج المقال في أحوال الرجال : ميرزا محمد استرابادى : ايران طبعة حجرية • :

(١٣٨) الموازنة بين ابي تمام والبحترى : ابو القاسم الحسن بن بشر الاكدى تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد القاهرة مطبعة السعادة ط٢ ٩٥٣ م •

(١٣٩) مهيار الديلمي وشعره : على علي الفلال ـ القاهرة مطبعة الاعتماد (بدون تاريخ) •

(١٤٠) مهيار الديلمي : محمد علي موسى : بيروت دار الشرق الجديد (ط١) ٩٦١ م •

(١٤١) النثر الفني في القرن الرابع الهجرى : الدكتور زكي مبارك ـ القاهرة دار الكتب المصرية الطبعة الاولى ط١ ٣٩٤ م •

(١٤٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الاتابكي : الجزء الخامس القاهرة ـ دار الكتب المصرية ٩٣٥ م •

(١٤٣) نقد الشعر : قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد تحقيق كمـــال مصطفى القاهرة مطبعة السعادة ٩٦٣ م •

(١٤٤) نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر :

أ ـ مخطوطة مكتبة كاشف الغطاء (النجف) عن نسخة صفاء •

ب ـ مخطوطة مكتبة الشيخ محمد رضا فرج الله (النجف) بخط السماوى عن نسخة محمد بن يحي زيارة عن نسخة صفاء •

(١٤٥) الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين : الدكتور جميل سعيد بغداد مطبعة الهلال ط١ ١٩٤٨ م •

(١٤٦) وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان : ابو العباس شمس الدين احمد بـــن محمد ابي بكر بن خلكان تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد (٦ أجزاء) القاهرة ـ مطبعة السعادة ٩٣٨ـ٩٤٩ م •

(١٤٧) الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل الصفدى

أ ـ الجزء الثاني استنبول مطبعة المعارف ٩٤٩ م •

ب الجزء الثاني عشر (القســـم الثاني) مصوره مكتبــــة الجامعة المركزية ـ بغداد ٩٢٠ م •

جـ ـ الجزء السادس والعشرون (الورقة ١٢١ـ١٢٥) مصورة خاصـــة من المجمع العلمي العربي بدمشق (رقم ٢٨٤) •

(١٤٨) يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر : ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي تحقيق محمد محيالدين عبدالحميد ـ القاهرة (٤ أجزاء) مطبعة حجازى ط١ سنة ٩٤٧ م •

المقـــالات

١ ــ هل هامش الشعوبية : الشيخ عبدالحسين الحلي ــ مجلة الاعتدال النجف العدد العاشر السنة الثالثة ١٩٣١ النجف •

٢ ــ شعر مهيار عبدالرحمن شكري : مجلة الرسالة السنة السابعة العدد ٢٨٩ سنة ٩٣٩م القاهرة •

المصادر غير العربية

١ ــ تاريخ كيلان : حسن شمسي كيلاني طهران ١٣٢٨ ش (بالفارسية)

٢ ــ فوائد الرضوية خاص بعلماء الجعفرية : الشيخ عباس القمي طهران ١٣٢٧ ش (بالفارسية) •

٣ ــ مجالس المؤمنين : سيد نورالله شوشتري (الجزء الاول والثاني) طهران ٣٧٥ــ٣٧٦ هـ (بالفارسية) •

Literature Arab: Cl. Hurat — Paris 1912.
Encyclopaedia of Islam — London 1960.

المحتويات

دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م